

حاج میرزا جواد ملکی تبریزی

کتاب

اسرار الصلوة

دار الكتاب الاسلامي



Bibliotheca Alexandrina



0101099



هذا

کتاب اسرار الصلوة

از مؤلفات مرحوم جنت مکان
علم الاعلام حجة الاسلام المؤید بتأییدات ربانی
آية الله آقای حاج میرزا جواد ملکی تبریزی
طیب الله ربه



هذا كتاب اسرار الصلوة
من المؤلفات النفيسة لحجة الاسلام
و آية الله في الانام المرحوم
الحاج ميرزا جواد آقا
التبريزي نور الله
تلقاه الزكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في ذكر بعض اسرار الطهارة
أعلم ان الطهارة لما كانت من مفاتيح^(١) الصلوة كما هو مريح بعض
الروايات فقدمنا الكلام في بعض ما فيها من الاسرار وفي ذلك أبواب وفصول :

﴿ الباب ١ ﴾

في الاشارة الى ما يلزم على العاقل من التفكير
في هذا الحكم اجمالاً و هو ان يتفكر في حقيقتها و ثمراتها و إذا عرف
ان السعادة ظاهراً و باطناً في النظافة ، وتفكر فيما ورد فيها من الايات
القرآنية لاسيما قوله تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد

(١) كما في الوسائل باب الوضوء عن الكليني عن ابي عبد الله عليه السلام قال قال
رسول الله صلى الله عليه وآله : افتتاح الصلوة الوضوء العنق وكذا عن الصدوق عن
امير المؤمنين عليه السلام بعينه .
(٢) المائدة : الاية ٦ .

ليطهركم ، ويضم على ذلك قوله تعالى ^(١) : "والله يحب المتطهرين" ، ويعقل معنى حب الله ، وأنه أو ثمرته كشف الحجب عن قلب العبد ، فيلقى به كل نور ، وسعادة ، ثم في قوله ^(٢) الطهور نصف الايمان ، فيستشعر من ذلك ان المراد من الطهور إنما هو التحلى ، والتنظيف من موجبات الاكدار ، والقذارات عن الظاهر و الباطن ، ويكون النصف الآخر من الايمان عبارة عن التحلى ، والترين بالفواضل و ، الفضائل في الظاهر ، و الباطن ، مثلاً طهارة البدن بالوضوء ، واجتناب المعاصي وحليته بالعطر والاعمال الصالحة ، وطهارة القلب بتزكياته عن الاخلاق الرذيلة ، وحليته بالتخلق بالاخلاق الحسنة ، وطهارة السر بنسيان ماسوى الله ، وحليته بذكر الله ، و بعبارة اخرى نفى الموهوم . وصحو المعلوم ، وكشف سبغات الجمال .

فان قلت الطهارة ^(٣) تطلق في عرف الفقهاء بالتنظيف عن الاخباث ، والاحداث ، فمن اين يستشعر ان المراد منها هذا المعنى العام .

قلت يستشعر ذلك من النقل والعقل : أما النقل فيكفيك قوله تعالى في سورة و الشمس بعد تلك الاقسام العظيمة : قد أفلح من زكّيتها ، وقد خاب من دسيتها ، وهذا التأكيد العظيم ، إنما يدل على ان الأمر في طهارة القلب اهم بمراتب عن طهارة البدن ، والمناسب من الطهارة بكونها نصف الايمان هو الالهم ، وسيأتي في أخبار الباب ما يدل على ذلك صريحاً و أما العقل فأت فات إذا تأملت في لطفه تعالى ثم في طلبه منك طهارة مكانك الذي هو مجاور لك ، ثم لباسك الذي هو ملاصق لبدنك ، ثم بدنك الذي هو قشر لحقيقتك ، تعلم

(٣) التوبة . الآية ١٠٨ .

(٤) وسائل البقية باب الوضوء من ابي عبد السلام قال : الوضوء شطر الايمان .

(٥) كما ذكروه في تعريف الطهارة .

من ذلك بالعلم القطعي أنه لا يهمل طهارة قلبك ، و سترك من الاعتذار ، و
الارجاس المعنوية ، التي لا يقاس خبثها ، ورجاستها على الارجاس الظاهرية
بوجه .

﴿ الباب ٢ ﴾

في التخلي وفيه فصول

الفصل ١ في آدابها الظاهرية وجوبا و استحبابا وهي امور :
منها أن يجلس بحيث لا يرى هورته من يحرم نظره إليها ، و الأولى
في ذلك أن يستتر من السرة إلى نصف الساق .
ومنها غسل مخرج البول بالماء ، و الغايط بالاستجمار أولا ، ثم بالماء .
ومنها ارتياد ^(١) الموضع المناسب .
ومنها تغطية الرأس اقراراً بأنه غير مبرء نفسه من العيوب ، ولثلاً
تصل الرايحة الكريهة إلى دماغه ، متقنعاً إظهاراً للتحياء من الملائكة
الحاضرين .

ومنها تقديم الرجل اليسرى عند الدخول و اليمنى عند الخروج .
ومنها التسمية ، والدعاء عند الدخول يقول : بسم الله وبالله أعوذ بالله
من الرجس ^(٢) ، النجس ، الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ، وعند القعل

(١) الارتياح ، طلب الشيء وتلقاها فيه من العلاج .

(٢) الرجس : يطلق على القذورات الباطنية والنجس بالعكس و النجس يفتح

الجيم وكسرهما كلاهما صحيح .

والخبث بضمه الفاعل هو الذي اصحابه و احواله خبثاء .

وقيل : هو الذي ينسب الناس الى الخبيث .

وقيل : هو الذي يسلهم الخبيث و يوقعهم فيه ، ذكره الرمضاني في (الفائق)

اقول : ويمكن ان يقرء بضمه المفعول بمعنى من تأكدوا تراكم فيه القبيات فيدبر . و

هذا الدعاء ورد في كتب العامة والخاصة .

اللهم اذهب عني الازى وهناني طعامي ، وعند الاستنجاء : اللهم حصن فرجي واستر عورتى ، وحرّ مهاعلى النار ووقني ما يقرب منك يا ذا الجلال والاكرام وعند القيام ، وامرار اليد على البطن : الحمد لله الذى اعطى عني الازى وهناني طعامي ، وشرايى ، وعافاني من البلوى ، وعند الخروج الحمد لله الذى عرّفني لذته ، وأبقى في جسدى قوته ، واخرج عني اذى يالهائفة ، يالهائفة ، يالهائفة ، لا يقدر القادرون قدرها .
ومنها الاستبراء .

ومنها أن يتقى موارد المياه والطرق النافذة ، ومساقط الثمار ، ومواطن النزال ، ومواضع اللّعن ، وهي أبواب الدّور ، وعلى القبر وفي افنية المساجد أربعون ذراعاً في أربعين ذراعاً ، وفي الماء الجاري ، والرّاكد ، ويتأكّد في الثاني ، واستقبال القبلة واستدبارها بالبدن ، واستقبال الريح ، واستدبارها واستقبال النّسرين بالفرج والبول ، والبول في الصّلبة ، وقائماً ومطمحاً من الشيء المرتفع ، يرميه في الهواء ، وفي ثقب الحيوانات ، وطول الجلوس على الخلاء ، والاكل عليه ، والشرب . والسؤال والتكلم إلا لضرورة أو الذّكر والاستنجاء باليمنى ، ومسّ الذّكر بها بعد البول ، والاستنجاء باليسار ، وفيها خاتم عليه اسم الله ، ودخول الخلاء ، وهو عليه ، كلّ ذلك للنّس ، أو شيء من أسماء النّبي ﷺ ، والأئمة ﷺ ، أو القرآن الحاقاً لها باسم الله .

الفصل ٢ في عبره بالخصوص : أوّلها أن يتفكّر في عظم لطف الله ، وانه ما رضى أن يهمل هذه الأمة في الغفلة من فوايد الحكمة ، والذّكر والدعاء ، والغبر في مثل هذه الاحوال ، من جزئيات حرّكاته ، وسكناته فيستشهد منه على عدم اهماله في الاعمال الشامخة ، والاحوال العالية ، من صلواته ، وصومه

ونحوهما بوصدق ماورد^(١) عن رسوله ﷺ : انه سامن شيء يقر بكم من الله الجنة ، ولا يبعدكم من الله ، و يقر بكم إلى النار، الا وقد بينته لكم، حتى الارش في الخلدش ، ويبالغ في تفهم اعماله السابقة المؤثرة في توفيقه بمراقبة هذا الحال ، وذلك يلزمه في جميع الأعمال ، وإن في معرفة ذلك خيراً كثيراً لكل عبد مراقب، انفتح له هذا الباب ، مثلاً وفق الانسان لموافقة مراد الله في جميع وجوه الحكمة ، والذكر ، والتوجه ، والدعاء ، والعبرة في مخليته فانه يؤثر في التوفيق في غيره ، من حركاته ، وسكناته مما يناسبه بما يهيئ به على وفق مراد الله، وهكذا ، إلا أن يمنع منه مانع ، وهو أيضاً من أثر عمل بدني ، أو قلبي سابق أو حاضر ، وإذا راقب الانسان في هذه الاثار من أعماله ، يورث ذلك خيرات كثيرة في تصحيح أعماله ، وإذا صح العمل ، وخلص من الافات ، فله صور عالية هيئته في البرزخ والقيامة ، غير صورته التي في هذا العالم ، كصورة شاب حسن مؤانس لصاحبه ، وكصورة نعم الجنة ، والعلم بتفصيل هذا الاجمال وتصديقه يستدعي رسم امور .

منها ان لكل شيء^(٢) سبباً حتى ينتهي إلى مسبب الاسباب وعلّة العلل .

ومنها ان بين كل علّة ومعلولها مناسبة خاصة .
ومنها ان لكل^(٣) موجود في هذا العالم من الابعان والاحوال ، وجود في العوالم العالية السابقة ، بصور يناسب ذلك العالم .
ومنها ان لها أيضاً وجود أو أثراً في البرزخ ، والقيامة من العوالم المتعقبة بوجود ، وصورة تناسبها .

(١) كما في غطية جبة الوداع عند نزوله في غدیر غم الشهورة .

(٢) كل ذلك مذكور في العلم الإلهي ومبرهن عليها .

(٣) في السلسلة النزولية كما ان تاليه في السلسلة الصعودية .

ومنها ان العمالة في حفظ العوالم كلها ، وأجلها ، وربط بعضها ببعض
و أفاضه خيرات الله تعالى في ممالكه تسمى ملائكة .

ومنها ان جميع حركات الانسان ، وسكناته الاختيارية منشائه عزمه
وارادته، وحبته وبغضه ، واستشعار السعادة والشقاوة ، وبالعجلة بجميع حركات
الاعضاء و سكناته ناشية من أثر أحوال القلب ، وصفاته و أحوال القلب أيضاً
منشائه ، أما ما يؤثر فيه من الظاهر من أعمال الجوارح، لا سيما العواص وأمن
الباطن فالخيال، والشهوة والغضب، والأخلاق المركبة في مزاج الانسان فإنه
إذا أدرك بحواسه شيئاً حصل منه أثر في القلب، ان خيراً فنور بوصفه، وان شراً
فظلمة بوجوهه، وكذا إذا هاجت الشهوة مثلاً بكثرة الأكل وبوقوع المزاج، فإن
لها أثراً في القلب وهذه الآثار تبقى، وتؤثر في انتقال الخيال من شيء إلى شيء ، و
بحسب انتقالها ينتقل القلب من حال إلى حال ، و القلب دائماً في التغير ، و
التأثر مما يرد عليه من آثار الأسباب ، المذكورة ، وأخص الآثار الحاصلة فيه
هي الخواطر، واعنى بالخواطر ما يمرض فيه من الاخطار، والاذكار أمعا على سبيل
التجديد ، او التذكير، ومنها يحصل الشوق والنفور، ومنها ينبعث إرادة الجلب
و الدفع ، فإن النية و الإرادة والعزم ، إنما يحصل بتأثير الخواطر، فمبدء
الأفعال الخواطر، وهي تحرك الرغبة والرغبة ، تحرك النية، والعزم، والعزم
يحرك العضلات ، وهي تحرك الأعضاء ، فيحصل منها الأفعال .

ثم الغاطر على قسمين : قسم يدعو إلى الشر وهو ما يضر بضرر لا
ينتج خيراً أقوى منه .

وقسم يدعو إلى خير لا ينتج ضرراً لاخير فيه أزيد من ضرره .

فالخواطر المحمود الداعي إلى الخير فيضه الباري تعالى بواسطة الملائكة
يسمى هو الهام ، والذي يدعو إلى الشر بواسطة الشيطان ، ويسمى هو وسوسة .

و اللطف الذي يتهيأ به القلب لالهام الملك ، و قبول الهامه يسمى
توفيقاً .

والذي يتهيأ به لوسوسة الشيطان ، و قبول وسوسته يسمى خذلاناً
فالملك خلق خلقه الله تعالى لافاضة الخيرات ، من العلم و كشف
الحق ، و الوعد بالمعروف ،

و الشيطان خلق خلقه الله ، شأنه الوعد بالشر ، والامر بالفحشاء ،
و التخويف عند الهم بالخير و بالفقر و الفحشاء .

و القلب دائماً متجاذب بينهما ، فاذا عرفت ذلك بوجودك ، تعرف
قطعاً انّ للاممال بدياً كان أو قليباً ، تأثيراً في التوفيق و الخذلان ، و
لهما تأثيراً في الالهام وقبوله ، و الوسوسة وقبولها ، وهما منشأ الافعال والحركات
المتعقبة ، فاذا اظلم عبد موثق قلبه ، وراقب ربه يعلم من حاله الحاضر ، وتهيؤ
أسباب الخير ، وأسباب الشر نوراً عماله الساجدة ، وظلمته ويستشهد منه لما يأتي
عليه ، و يبتلى به من التوفيق و الخذلان في أحواله الائمة ، فيؤثر هذه المراقبة
و المواظبة مع هذه المعرفة ، أن يتدارك ما سبق بالاستغفار ، والتوبة ، و يغير ما
يأتي بالاستعانة والدعاء ، وهذا هو الوجه فيما وصيت به من المبالغة في تفهم
آثار الاعمال ، ومن وفق لذلك الخير يجد خير المحاسبة التي فيها ورد عن
الائمة عليهم السلام : ان ليس منّا من لم يحاسب نفسه .

وثالثها ان يتذكر بتخليته لقضاء الحاجة ، نقصه واحتياجه وما يشتمل
عليه من الاقدار وإنه كيف يستسلم لتحمل ما يتأذي به في دفع ما أورثه أكله
و شربه من القذارات ، و العفونات ولا يتوقع من الله جلّ جلاله أن يبدل
حكيمته فيما أودع مخلوقاته استعداد ذواتها من الصفات ، و التأثيرات ، ولا
ينظر أن يكون ربح قاذوراته طيبة ، فكذلك ليس له أن يتوقع مثل ذلك

فيما أودعه في الأعمال القبيحة من التآثيرات ، و ينتظر أن يكون نتيجة ظلمة
مثلا نور فإين أثر الظلم ليس ^(١) إلا الظلمة ، فلما جعل الانتظار انتاجه النور
فكيف يعد الانسان من زرع حنظلا ، و ينتظر أن يحصد سكرامنه ، ورزقا
حسنا سفيها فكذلك فليحذر المسكين ، أن يكون هو هذا السفه و الاحق .
ان قلت : فعلى ما ذكرت فأين الرجاء ؟ و أين قوله ﷺ يا مبدل
السيئات ^(٢) بأضعافها من الحسنات ؟

قلت : هذا الايراد أيضاً من الجهل ، فان الرجاء ^(٣) غير الآمال ، و
الآمال غير الأماني ، و الأماني غير الحق هذه مراتب انتظار الخير .
فمن زرع حنطة في أرض سالحة ، و سقى زرعه عند اقتضائه ما يقتضيه السقي ،
و اطلب تعهده بما هو معمول فيه ، و انتظر من الله أن ينبت زرعه ، و يعطيه
من هذا الزرع أجود ما يحصد من أمثال هذا الزرع ، فهذا هو الرجاء .

ومن زرع حنطة في أرض سالحة ، و سقاها بعض سقيه ، و انتظر أن يكمل
سقيه بالانتظار الذي ينتظر مثلها إلا في بعض السنين فهو مؤمل .
و أمّا من زرع مثل زرعه و لم يسقه أبداً و انتظر أمطارا تسقيه ، و كان
ذلك في بلد لم يرفيه مثل هذه الأمطار ، لا بعد انتظاره للزرع الصالح الطيب
رجاء ولا أملا بل أمنية .

ومن زرع شعير أولم يتعاهد زرعه أبداً ، و انتظر أن يحصد حنطة ، فهذا
هو الحيق و السفه .

و أمّا قوله ﷺ يا مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات ، فإنه

(١) كما في الكافي باب الظلم من رسول الله (تقوا الظلم فإنه من ظلمات يوم
القيامة .

(٢) كما في الدعاء والاية الشريفة : (أولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات)

(٣) فسر قد في ذيل كلامه .

ليس من قبيل ما يجري من طرق الاسباب المتعارفة ، ولكن له أيضاً سبباً لطيفاً معنوياً ، طرف منه بيد المكلف ، وهو أن لا يرى الخير من الاسباب ، بل ولا الشر ، ولا يكون عنده ضار ولا نافع إلا الله ، لا في الدنيا ولا في الآخرة فيتوسل بدعائه إلى باب فضله ، ليستجلب خيره من باب العناية المحضة ولكن ذلك إنما يجري لاحالة فيمن يعتقد هذه الصفة في الله ، وهذا الانسان المعتقد لربه هذه الكريمة ، لا بتفاوت حاله فيما يرجوه من ربه من تبدل السيئات بالحسنات في الامور الدنيوية ، والاخرية كليهما وأنت إذا أشقبه عليك أنك تعتقد في ربك هذه الصفة ، وصادق في عقيدتك ، فأمتحن نفسك الغرور في شيء من محاورجك الدنيوية ، هل تترك التسوسل إليه من الاسباب ؟ لا سيما الاسباب البعيدة التي زجر الشارع عن التمسك بها وتوكل على الله ؟ أم لا فإذا تعرف أنك لست بصادق في دعويك بأن الله مبدل السيئات بأضعافها من الحسنات فدع الايراد لمن يعتقد ذلك صادقاً وأن يذكر مما يراه من تبدل المطاعم ، والمشارب بالاقذار ، والادناس ساير التغيرات الواردة عليها . وعلى ساير حطام الدنيا التي يعشق عليها ويقتل نفسه في حسانتها ويستشعر من ذلك هوان الدنيا وخستها وإلى مجمل ما ذكرنا وغيرها يشير .

ما في مصباح الشريعة .

قال الصادق (عليه السلام) : سمى المستراح مستراحاً لاستراحة النفوس من افعال النجاسات ، وإستفراغ الكشافات والقذائفها ، والمؤمن يعتبر عندها أن الخالص من حطام الدنيا كذلك يصير عاقبته ، فيستريح بالعدول عنها فيتركها ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ويستنكف عن جمعها واخذها استنكافه من النجاسة والنايط والقذر ، ويتفكر في نفسه المكرمة في حال ، كيف يصير ذليلة في حال ، ويعلم أن التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين

فإن الراحة في هوان الدنيا و الفراغ من التمتع بها ، وفي إزالة النجاسة من الحرام والشبهة ، فيغلط على نفسه باب الكبير بعد معرفته أيتها ، ويفر من الذنوب ويفتح باب التواضع ، والتقدم ، والحياء ويجتهد في أداء أوامره وإجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب ، و طيب النفس ، و يسجن نفسه في سجن الخوف والصبر ، والكف عن الشهوات إلى أن يتصل بامان الله في دار القرار ، وينوق طعم رضاه ، فإن المحقول ذلك ، وما عداه لاشيء .

أقول : أول المراد أن المؤمن عند ما رأى أنه إذا تلدّذ قليلاً بخالص حطام الدنيا ، فصار عاقبته إلى ما تأذي منه ، ومن آفته ، ولم يسترح إلا بدفعه وأنه صار سبباً لوقوعه ، في هذه الذلة فيعلم منه أن عاقبة لذات الدنيا إنما هو ذلك فيترك التلذذ بها ، وجمعها إلا بقدر الضرورة ، طلباً للاستراحة القلبية والنفسية بالفراغ من ثقل تعلّقها ، في الحلال منها ، واذى حرامها ، و شبهاتها ، فيتقى عنها اتقائه من التجاسات ، ويعلم عجزه ، واضطراره بالطبع إلى ذلة التحمل بدفع أذى ما يضطر إليه مما به قوامه ، و بقائه فيترك التكبر ويتواضع ويندم على ما فرط في ذلك من قبل ، ويستحي عن ربه في ترك إجابة وصاياه ، فيما يتعلّق بطهارته ، وراحته ويقطع بأن هذه اللذات الدنية الدنيوية يجب الصبر عنها السوء عاقبتها ، وأن اللذة الخالصة الحقيقية لا توجد في حطام الدنيا ، فاللذة بعد الوصول بامان الله في دار القرار في طعم رضاه الله جلّ جلاله .

ورابعها أن يتفكر في لطيف صنع الله تعالى به ، في بناء أعضائه كيف وضع في تعديل صورته ، عورته في موضع مناسب لها ، ويعرف وجوه حكمة كونها في هذا المحلّ ، من تيسر دفع الأذى ، والتطهير مع قربته عن مستقرّ الأقدار و كونه تحت المعدة ، و في استر موضع من بدنه ، كما قال الصادق

في توحيد المفضل بقوله : اعتبر يا مفضل بعظم النعمة على الانسان في مطعمه
وتسهيل خروج الاذى ، وليس في خلق القدير في البناء ، ان يكون الغلاء في استر
موضع منها ، فكذلك ^٣ جعل الله تعالى المنفذ المهيبا للخلا من الانسان في استر
المواضع ولم يجعله بارزاً من خلفه ولا ناشراً من بين يديه ، بل هو مغيب في
موضع غائض من البدن مستور محبوب يلتقي عليه الفخذان ، ويحجبه الاليتان
بما عليهما من اللحم فيوار يانه إذا اجتاج الانسان ، وجلس مصباً مهيباً تلك
الجلسة ، القى ذلك المتقذر منه لاحدار الشغل فتبارك من تظاهرت آلاؤه ،
ولا يحصى نعمائوه ، فعلى العبد بعد معرفة ذلك الفضل في ستر عورته ، أن
يستحيي لا محالة من ظهور سوء الصفات الرذيلة منه ، التي هي عورات في
الحقيقة لروحه ونفسه فيسترها عن الظهور والبروز في الاعمال والافعال .

و خامسها أن يتفكر في نعمة الله في خلق أسباب التطهير من الماء ، و
وجه الارض ، وكثرتهما ، وبذلتهما .

وسادسها أن يتفكر في منة الله على هذه الامة بالسماحة السهلة ، من
الشرعة فلا يكفرها بتجاوز حدود الله تعالى بالوسوسة ، والتضييق على نفسه
فإن الوسوسة من أضر الصفات ، و الامراض القلبية ويتأدب من أئمة الدين
حيث لم يجوز والنا المبالغة في الاحتياط في هذا الباب بل زجروا عنه بالقول
والفعل وإذا عرف الانسان الاداب الواردة في الاخبار بالنسبة إلى التطهير ،
علم أن الاحتياط الذي شرعوه في سائر المقامات ، زجروا عنه في هذه المسئلة
بخصوصها ، وعرف وجه الفرق ، وعلم منه ميزان جزئيات احكام الشرع المقدس
وإنها في آية درجة من الحكمة .

ولابأس أن نذكر ماسنح بخاطرنا من وجه الفرق ، وهو إن الطهارة و
النجاسة ليست لها كسائر الاحكام اهمية لقلة تعلقها بالجهات القلبية ، والاحتياط

فيهما موافقة لطباع أهل الدنيا فلا يشكل عليهم المبالغة فيها لاجل موافقة طباعهم
وأما الاحتياط في حقوق الغير من المال والجاه ، والأمور التبعديّة التي
يعسر للمعاقلة التعمّد بها ، فهي من الأمور المهمة المؤثرة في الجهات القلبية
والعمل بالاحتياط فيها يخالف لطباع أهل الهوى فصار لحاظ ضرر الوسواس
فيها الزم من لحاظ الاحتياط والدليل على ما ذكرناه من أن الاحتياط فيها
موافق لأغلب الطباع بخلاف سائر الأحكام ما فراه بالبيان أن الوسوسة فيها
مع زجر الشارع من زيادة الاحتياط أكثر مما منع عنه في غيرها بين الناس
بمراتب الأثرى أنه لا يوجد من يوسوس في أداء قروضه فيؤدي ثلث مرّات
ولكن ترى أكثر الناس يوسوس في عدم استباغ الماء في الوضوء و تطهير
الأعضاء فيغسل أكثر من ثلاثين مرّة وهذا هو الوجه في الفرق ولعلّ له وجوها
غيره .

وسايعها أن يتفطن في حكم الشرع في التطهير من الاخباث الظاهرية
هذه الدرجة لدرجة أهميّة تطهير القلب عنده بل الذي يظهر من بعض الاخبار
مثل ما يأتي من رواية مصباح الشريعة في أسرار السواك ومثل ما حكوا في
من مواظب عيسى عليه السلام و سنشير إليهما انشاء الله أن المقصود الأهم من هذه
الأحكام التنبيه و الإيقاظ لآمر الباطن وإن كانت هي في أنفسها أيضاً مطلوبات
للشارع ولها تأثيرات أيضاً في طهارة القلب كما يجده أرباب القلوب من الفرق
بين حال الحدث و الطهارة في قلوبهم .

ثم أن للقاضي سعيد القمي كلاماً في المتخلى لأبأس بنقله ، قال لما
كان الله دعى العبد في صلوته إلى قرب ، و مناجاته فينبقى للعبد ان يسيط عن
نفسه كلّ أذى ، و يسبح بعبده عن ربّه ، فمن ذلك تطهير جوفه بتخليته عن
فضلة طعامه و شرابه التي هي رجز الشيطان ، حيث لم يكن لها في تلك

المدينة منفعة ، بل هي مثيرة للفتن ، و العمل ومنشأ الآلام ، و الاسقام في هذا الهيكل و يغسل موضع خروجها حتى لا يبقى أثر من آثارها ، أما بالماء الذي هو أصل الحياة إذا الموضع لاقي الميت البعيد عن تصرف الروح فيه أو الاستجمار حيث كان الحجر الة لدفع كل ما يقصد تبعيده فيقوى بذلك على التطهير من رؤية الاسباب ، والمسببات كما هو فائدة الوضوء و يصير هذا عنواناً لتطهير قلبه من جميع الادناس ، وللبرائة من نفسه و من الناس لنزول سلطان القرب بلا قياس .

أقول ولقد أفاد ، واجاد شكر الله سعيه ، ولكن لو بدل ما ذكره في تأويل الاستجمار بقوله أو بالتواضع بمس الأرض ليستعد بالفناء عن ايته لدرك الطهارة من الله ذي الجلال ، كان أولى ، إذ الاستجمار ليس منحصرأ بالاحجار بل بمطلق الأرض وما يخرج منها أيضاً على اختلاف الفتاوى .
ثم ان أراد العبد ان يتم مراقبته في الفكر فليتنفكر في بعض آدابها مثل التفتع و الذكر .

فان التفتع للحياة من الملائكة لما رواه ^(١) في البحار عن المجالس ، و المكارم في وصية النبي ﷺ لابي ذر قال ^(٢) يا أباذر استحي من الله تعالى ، والذي نفسي بيده لا ظل حين اذهب الى الغايطة متفتحاً بشوي استحياء من الملكين الذين معي إلى أن قال استحي من الله حق الحياة .

و إذا تفكر الانسان في هذا الحكم ، و هذه الرواية ، و علم حقيقة الحياة ، و استحي من ربه حق الحياة ، يسلم بذلك عن حياء ، يوم العرض على الله و من عذابه و قد روى عن الصادق عليه السلام ما معناه : انه لو علم الناس ما في حياء العرض على الله لما سكنوا العمران ، و اختاروا رؤس

(١) كما في الوسائل باب استحباب تعظية الرأس و التفتع منه قضاء الحاجة .

الجبالي وما اكلوا وما شربوا ، الا عن اضطرار وقد نقلته بالمعنى ، ولا يحضرني لفظ الرواية و ان شئت ان مسلم لم هذا الامر ، فاعلم ان شدة الحياء يكون من شدة القبح في العمل ، ومن كثرة العمل ، القبيح و شدة القبح لها أسباب وجميع أسبابها موجودة بما لا يتناهي في قبائح أعمال العبد مع خالفه ، ووجه ذلك يعلم بالقياس إلى القبائح المعمولة بين الناس ، فان الانسان إذا أتى بمنكر و خلاف لرجل فله قبح ما في نظر العقلاء وعليه الحياء من الرجل بقدر ذلك القبح وإذا كان الرجل من معارفه يزيد قبح هذا الخلاف و الحياء و إذا كان من الاشخاص الاجلاء يزيد درجة القبح و الحياء فكلما يزيد الجلالة في الرجل يزيد القبح و الحياء حتى يصل إلى أجل رجل في العالم فكيف اذا فرض ذلك مع من لانهاية لعظمته وجلاله فان قبح كل خلاف و منكر بالنسبة إليه في درجة غير متناهية وأيضاً إذا فرض لهذا الرجل ولاية له في جهة من الجهات فان ذلك يزيد في قبح الخلاف وفي الحياء فهي أيضاً تزداد بزيادة الجهات ، حتى ينتهي إلى ولاية الإيجاد وأيضاً إذا فرض زيادة على ذلك كونه منعماً على هذا المخالف ، فانه أيضاً يزيد في قبح المخالفة و الحياء ، وذلك أيضاً يزداد حتى يصل إلى ما لا يحصى من النعم وأيضاً إذا فرض للمخالف جنابة غير هذا أيضاً فانه يزيد في جهة القبح و الحياء و ذلك أيضاً يزداد حتى يصل إلى جنابات لا تعد ولا تحصى و بالجملة إذا جاء يوم القيمة و بدالهم من الله ما لا يحاسبون و بدالهم سيئات أعمالهم ووجد كل امرء ما عمل محضراً فحينئذ ينكشف حقايق الامور ويعلم ميزان الحسنات و السيئات و فرضنا ان هذا الرب العطوف طالب عبداً عن عبادته واجب حقه من شكر نعمه وقال : يا عبيد ألم تذكروا نعماً عظماء فوجدتمكم من غير ان انتفع بوجودكم و ايجادكم بل لمحض انتفاعكم مني و جعلت كل مملكتي وجميع ممالكها بخدمتي في

محاو بجك و كمالاتك من قبل وجودك ولم بمنعني معصيتك لي في جميع نسمي
التي لا تحصى بالكفران، عن ان احفظك وجميع ما أنعمت به عليك، من رزقك و
اعزازك وتربيتك و كمالاتك في جميع وجوه نعمي عليك ، وادعوك باللطف و
حسن الطلب حتى ارسلت إليك في كل ليلة ملكا كريماً، يدعوك إلى التوبة
و بعدك غنى قبولها، ويخبرك اني اجيبك إذا دعوتني، وافر ح بتوبتك اشد فرح و
يدعوك إلى انسى ومناجاتى وقربى ووصالى وأنت تردّ رسولى وتطيع عدوى
ومع ذلك كله لا أمنع عنك نعمتى ورحمتى وحسن صنعى بك ولا يزيد ذلك كله لك
إلا اعراضاً عنى وأدباراً منى ولي إلا تلتطفأ لك وانعاماً عليك واصراراً في دعوتك
وحسن طلبك حتى بلغ الامر إلى أن صار الوقت الليلة الغلاية مثلاً ارسلت
إليك واحداً من عيالى وفقراء عبيدى وإماني يسألك شيئاً من نعمى العظيمة
الموجودة عندك وقد اخبرتك قبل ذلك إنك أن اعطيته شيئاً فقد اقرضتني و
أنا الآخذ منك والمؤدّي لك اخرج ما تكون عليه من الحال وان رددت رددي
فكفرت بنعمتى عليك ولم تعطه شيئاً ورجع من عندك خائباً ونام جاعاً يا عبدى
لأى شيء رددتني وما اقرضتني اخفت لي الفقر او خفت ان اخونك و اكذب
لك في مواعدي عبيدي لاي شيء كنت تعامل عبيدى واماني معاملته الوفاء
ولم تعاملني معاملة معكم فكيف صرت أهون عليك من جميع مخلوقاتى و
عبيدى ، وما كنت تستعنى من الاعراض عن اعدائك إذا أقبلوا عليك بصورهم و
ان علمت عداوتهم لك في قلوبهم ولا تستعنى منى وقد علمت اقبالي عليك
منذ خلقتك و قبل خلقك بايجاد مواد نعمى عليك و انتاج فروعها وحفظها
حتى تنتفع منها حين حاجتك فتكفر لي فأننى قد خلقت لاجلك سماء وأرضاً
وشمساً وقمرأ وماء وتراً بآوملائكة قبل خلقك كلهم يعملون لك ويخدمونك
في أصول نعمى عليك من مأكلك ومشربك وملبسك ومسكنك وغيرها مما
لا يعد ولا يحصى من النعم و كيف لا تستعنى منى في اعراضك عنى بعد

هذا الأقبال التام والامام العام والتجسب الكامل واللطف الفاضل فتتبعض
إلى بالذنوب والمعاصي وطاعة عدوى وبالجملة إذا كان يوم تبلى السراير
وكشف للإنسان عن حقيقة نفسه ورأى ما كسب فيها من تفاصيل هذه الأحوال
وهذه المخالفات والكفران والتبعض مع هذا الرب الرؤف والملك الجبار
المنعم العطوف حصل له ما ذكره الامام من الحياء والخجل والافتضاح وتألم
منه فوق تألمه من النار كما أشير إلى ذلك في بعض الاخبار ان الله يقول
لبعض عبده يوم القيمة أما فعلت أما فعلت حتي يحصل له من الخجل ما
يستدعي منه جل جلاله ان يأمره إلى النار ليخلص به من شدة ألم هذا الخجل
ولا يذهب عليك ان عدم حياتنا اليوم عمّا نحن فيه من مسائة الحال وقبائح
الاممال وحياتنا يوم القيمة لوجود لا تخفى على المتأمل او لها جهلنا في الدنيا
بمبلغ نعم الله التي لا تحصى من وجود عديدة وثانيها جهلنا بجميع مسائنا و
افعالنا القبيحة ودرجة قبحها وثالثها وهو العمدة ضعف الايمان بمقامات
الدين من العلم بالله وملائكته وأنبيائه ورسله وكتبه وشرائعه وأمّا في
القيمة فيكون الغيب عياناً ويكون العبد حاضراً عند ربه و يكشف له عن
جزئيات نعم الله الظاهرية والباطنية كلها بحيث يراها ويرى أنها من الله
ويكشف لجميع جزئيات سيئاته وقبائح أعماله وسيئاته التي لا تحصى
أيضاً بالكشف الالهي ويكون الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله
شهوداً وعياناً و يرى عباد الله المتقين المراقبين في معاملتهم مع ربهم باحسن
المراقبات فيخجل لا محالة لنظير ما يراه كل واحد منّا في مخازي التي
عند حضور الاشهاد من أعيانها فان كان له شوهة في وجهه أو جرح قبيح
عليه أو كان مكشوف العورة أو خلق الثياب او كان مكشوف الرأس يخجل

من حضور مجلس أعيان بلده اورآه أحد وهو يأكل الخبزة أو شيئاً رديئاً لا يأكله الناس مثل الميته فلا محالة يستحي ممن رآه في ذلك الحال وليس الحياء في اختيار الانسان لانه صفة انفعالية منشأها استشعار انكشاف صفة قبح في النفس عند الغير لاسيما إذا كان ممن يعرفه و يخلف هذا التأثير في القبايح الشرعية عدم الاعتقاد بقبحها أولاً فإن المغتاب لا يرى الغيبة اكلاً للحم الميث و ان سمعه من لسان الانبياء يفرضه امرأ خيالياً من باب الامثلة مخالفاً للعيان وهكذا لا يرى غضبه مغيراً لصورته الانسانية إلى صورة الكلب ولا يرى معاصيه شوهة لوجه روحه ثم انه لا يرى حضور ربه عياناً بل شيئاً سمعه و غفل عنه فاتته لا يورث الحياء وأما إذا كان يوم القيمة يرى ربه حاضراً و الانبياء و الملائكة و المؤمنين شهداء مكرمين على هيئات حسنة عليهم ثياب النور مقدسين من كل شين وعلى رؤسهم تاج الكرامة قد غشيهم النور وجوههم ناضرة مستبشرة ورأى نفسه اشعث أغبر عليه ثياب خلقه ممزقة بل مقذرة وعلى يديه جراحات منكورة؛ سيل منها الصديد^(١) بل رأى وجهه ممسوخاً على وجه الخنازير وبدنه على صورة القردة قد غشيه ظلمة الذنوب ورأى برأى العين ان اللطيف تعالى امره أن يختار زى الانبياء المقرين و الشهداء و الصالحين وصورة هؤلاء المكرمين وهو بنفسه اختار هذه الهيئة القبيحة والصورة المنكرة فلا محالة يخجل و يستحي مما أوقع نفسه فيه و اختاره من الزى القبيح و يتحسّر من مخالفة ربه الكريم الرحيم .

فاذا تمهد لك ذلك فتفكر في نفسك حضورك في يوم عظيم ومحضر عظيم لامر عظيم و ظهور سلطان الله الذي لا يقدر قدره القادرون ويعجز هن درك شدته العالون و حزنك في مثل هذا المقام الهائل و افرض أهواله و

(١) المبيد : بالفتح القبيح المعتلط بالدم

انكاله و عتابه و خطابه و حياته و حسرته و حرارته و فزعه و جوعه و عطشه و عرقه و خضائه و زبانيته ثم تفكر فيما أنت عليه في هذه الدنيا في عالم التكليف ، من لطفه و عزته و شرفه ، ونعمه و تأمل في معاملة سلطان المعاد معك في هذا المقام ، و تشریفك بخلق التكليف الجميلة و إكرامك بدعوته لك إلى مناجاته ، و مجلس انسه و قربه و جواره ، بهذه الكيفيات الجميلة ، و تأمل في قوله : أنا فرح^(١) بتوبة عبدی من رجل ضلّ مراكبه و زاده في سفره ، و بأس منه و نام مسلماً نفسه للهلاك ، ثم استيقظ و رأى مراكبه ، و زاده حاضرأ عنده .

وفي قوله الكريم في الحديث القدسي : لو علم المدبرون عني كيف انتظاري بهم ، و شوقي إلى توبتهم ، لما تروا شوقاً إليّ و لتفرقت أوصالهم من أجل محبتني .
و قوله : يا عيسى كم اطليل النظر ، و احسن الطلب ، و القوم لا يرجعون .

وقوله : عبدی بحقك عليّ إني أحببك ، فبحقني عليك احبني .
وقوله : بلسان الملك الداعي . أنا جليس من جالسيني ، أنا ذا كر من ذكرني ، أنا غافر من استغفرتني ، أنا مطيع من أطاعني ، و أمثال ذلك ، ثم تأمل بماذا ، و بأيّ لذة و لأيّ كرامة ترضى به تبديل هذه التشريفات الفاخرة ، بمخازي يوم القيامة ، و انظر إلى ما روى من ذلك .
في قول مالك بعد المعاح ألف سنة : انكسك^(٢) ما كنتون ،

(١) كما في اصول الكافي في باب التوبة .
(٢) الورع . الآية ٧٧ ، و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك . قال : انكم ما كنتون .

وقول الجبار تعالى : اخسئوا ^(١) ولا تكلمون ، وانظر في قيامك لصلواتك في الدنيا ، يحقك الملائكة من قدمك إلى عنان السماء ، وينظر عليك الجبار بنظر اللطف ، ويحييك فيما تقوله من قليل وكثير ، ويباهي بك ملائكة المقرّبين ، ويقول في كل ما عمله في صلاتك من استقبالك إلى سلامك : أما ترون عبيدي ، أما ترون عبيدي ؟ ويعد لكل واحد من ذلك كرامة لك ، وقبوله وجزاءه ورضاه ومقامك يوم العرض على الله مكبلاً ، مغلولاً أزرق العين ، أسود الوجه ، مصفداً مقترناً مع شيطان ، يقال لك : يا غادر ، يا فاجر ، يا مرائي أما استحييت مني ؟ ثم يصدر من سلطان جلال الله خطاب خذوه ^(٢) فغلّوه ، ثم الجحيم صلّوه ، ثم في سلسلة ذرعتها سبعون ذراعاً فاسلكوه ، كيف يتصدّع قلبك من استماع هذا الخطاب ، ولعمري إنّ هذا ما لا تقوم له السموات والأرض ، فكيف بك يا مسكين ، فيأخذك الزبانية ، ويجرك على وجهك إلى نار حشرها شديد ، وقمرها بعيد ، ومقامها حديد ، وشرابها الحميم والصديد ، واستمع قول الإمام البصير ، واعمري لا ينبئك مثل خبير ، حيث يقول : كيف استطيع ناراً لو قذفت بشرارة على الأرض لأحرقت نبتها ، ولو تمسك إنسان بقلة لانفجته ، وهبج النار في قلبه ؟ وانظر يا عاقل في أحوال قوم مستقرّهم الجحيم ، وطعامهم من ضريع ^(٣) وشرابهم الحميم ، الزبانية تقمعهم ، والهاوية تجمعهم ، أمانيهم فيها الهلاك ، وما لهم منها فكاك ، قد شدّت أقدامهم بالنواصي ، واسودّت وجوههم من ظلمة

(١) المؤمنون . الآية ١٠٨ .

(٢) العاكة . الآية ٣٠ .

(٣) الضريع : قيل هو نبت بالعجاز له شوك كبير ، يقال له الشرفه و عن رسول الله صلى الله عليه وآله الضريع في النار يشبه الشوك امر من الصبر واتن من البيفة واحد حرام من النار .

اللعاصي ، ينادونهم من أكثافها ، ويصيحون من نواحيها وأطرافها ، يا مالك قد حق علينا الوعيد ، يا مالك قد أثقلنا الحديد ، يا مالك قد فضجت منّا الجلود ، يا مالك اخرجنا منها ، فأتا لا تعود ، فيقول : الزبانية هيات هيات ، لات حين مناص ، لا خروج لكم منها ، ولا خلاص فاختسؤا فيها ، ولا تكلمون ، ولواخرجتم منها لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعبدون ، فعند ذلك يقنطون ، وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأئین يكتبون على وجوههم ، مغلوبين ، وفي انفسهم مغلولين ، النار من فوقهم والنار من تحتهم ، والنار عن ايمنهم ، والنار عن شمائلهم ، وهم غرقى في النار طعامهم النار ، شرايهم النار ، لباسهم النار ، مهادهم النار ، وهم بين مقطعات النيران وسراييل القطران ، ولثقل السلاسل يتجلجلون في مضايقها ، و يتحطمون بمقامعها ، ويضطرخون بين غواشيتها ، أو يضطربون في حواشيتها تغلى بهم النار كغلى القدور ، ويهتفون بالويل والثبور ، ومهما دعوا بالعويل يصب من فوق رؤسهم الحميم ، يصهر به ما في بطونهم والجلود ، ولهم مقامع من حديد ، تهشم بها جباههم ، تنفجر الصدود من أفواههم ، و يتقطع من المعطر أكيادهم ، وتسيل على الخدود أحداقهم ، وتسقط من الوجنات لحومها و يذاب من الظهور دسومها ، و يتمتع من الأطراف شعورها ، و جلودها ، فكلمت فضجت جلودهم بدلوها جلوداً غيرها ، قد عريت من اللحم عظامهم قد اسودت وجوههم واهمت أبصارهم ، وابكمت ألسنتهم و قصمت ظهورهم ، وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ، ومزقت جلودهم ، و غلّت أيديهم إلى أعناقهم ، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم ، يمشون على النار بوجوههم ، ويطئون حاك الحديد بأحداقهم ، والحيات يلسعهم والعقارب تلدغهم ، وهم معذاك

يُتَمَنُّونَ الموتَ ، فلا يموتون وهذا بعض ما نصَّ عليه الكتاب والسنة من أخبارهم وأحوالهم .

الفصل ٣ - في الوضوء ، وفيه أبواب :

﴿ الباب ١ ﴾

في بعض آدابها الظاهرية ، وجوباً واستحباباً ، يستحبُّ قبله السواك والتيامن ^(١) في غير ما يجب أيضاً من أفعاله ومقدّماته ، وزيادته التنظيف في مائه ، وغسل الكفين قبل ادخالهما الاثناء ، من حدث النوم والبول مرّة ومن الفايط مرتين ، والمضمضة ، والاستنشاق ، وتثليثهما ، بل تقديم المضمضة على الاستنشاق ، وفتح العين عند غسل الوجه ، والدعاء بما يأتي عند أفعاله وأمرار اليد بالغسل على أعضائه ، وتخليل شعر الوجه ، وبدئة الرجل بظاهر ذراعيه ، والمرّة يباطنهما ، والأسباغ بمدّ الأولى وحده الغسل بفرقتين اسباًغاً ، وترك الاستعانة في مقدّماته وترك استعمال ، الاجن ^(٢) والمشمس ونزول الحايض الغير المأمونة ، واليهودي والنصراني ، والمجرك والناسب ، وولد الزنا على القول بطهارته ، وإلا فيجب ، وما أصابته الوزغة والحية والعقرب ، والقليل الذي أصابته النجاسة ولم يتغيّر على القول بطهارته ، وماء البئر الذي أصابه ما يوجب النزع ، ولم ينزح منه المقدر بعد ، والمستعمل في رفع الحدث الأكبر على القول بالجواز كما هو الأقوى ، كل ذلك عند الاختيار .

وأما تفصيل الدعاء فيه ، وفي مقدّماته ، ففي الصحيح ^(٣) عن أمير المؤمنين

(١) التيامن : هو جل الماء على اليدين و يأتي في الفصل الاثني الاشارة الى أهمية التيامن

(٢) الاجن ، الماء الذي تغير لونه او طعمه أو ريحه وغالب استعماله في الثالث

(٣) كما في الكافي والتهذيب من عبد الرحمن بن كثير .

أنه استدمى ماء فاكفا بيده اليمنى على اليسرى ، ثم قال :
 بسم الله و الحمد لله الذي جعل الماء طهوراً ، ولم يجعله نجساً ثم
 استنجى ، وقال : اللهم حصن فرجي ، و أعفه و استر عوزتي ، و حرمني
 على النار ، ثم تمضمض وقال : اللهم لقنني حجتي يوم ألقاك و اطلق لساني
 بذكرك ، ثم استنشق فقال : اللهم لا تحرم علي ريح الجنة ، واجعلني
 ممن يشم ريحها ، وروحها وريحانها ^(١) ثم غسل وجهه وقال : اللهم ييسر
 وجهي يوم تبيض فيه الوجوه ، و لا تسود وجهي يوم تسود فيه الوجوه ثم غسل
 يده اليمنى فقال : اللهم اعطني كتابي يميني و الخلد ^(٢) في الجنان بيساري
 و حاسبني حساباً يسيراً ثم غسل يده اليسرى فقال : اللهم لا تعطيني كتابي
 بشمالي و لا تجعله مغلولاً إلى عنقي ، و أعوذ بك من مقطعات النيران ، ثم
 مسح رأسه فقال : اللهم غشني برحمتك و بركاتك و صفوك ^(٣) ثم مسح رجله
 فقال : اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تزل فيه الأقدام ، واجعل سمعي
 فيما يرضيك عني يا أرحم الراحمين ^(٤)
 ثم قال لمحمد ابنه راوي الحديث : يا محمد من توضأ مثل وصوتي ،
 و قال مثل قلبي ، خلق الله عز وجل من كل قطرة ملكاً يقدره ، و يسمع
 و يكبره ، و يكتب الله له ثواب ذلك إلى يوم القيامة .

(١) وفي بعض نسخ الحديث (و طيبها) بدل (و ريحانها) وفي بعض كلاهما مذكوران
 و الريح : الرائحة و الروح ينتج الرائحة النسيم الطيبة .

(٢) و البراد بركات الخلد أى اعطني بركات خلودي في الجنان بيساري و له
 تفسيرات آخر أيضاً .

(٣) وفي بعض النسخ : ليس « بصفوك » موجوداً وفي بعض « و أعطاني تحت هزتك
 يوم لا ظل الاظلك .

(٤) و في بعض النسخ : « يا ذا الجلال و الاكرام » بدل قوله : (يا أرحم
 الراحمين » .

وفي تفسير الإمام من قال في آخر وضوئه وغسله «سبحانك اللهم»
وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت ، استغفرك وأتوب إليك ، وأشهد أن محمداً
عبدك ورسولك ، وأشهد أن علياً وليك ، وخليفتك بعد نبيك ، وأن أوليائه
خلفائك ، وأوصيائه أوصياءك » تحات عنه ذنوبه كورق الشجر وخلق الله بعدد
كل قطرة من وضوئه أوغسله ملائكة ، يسبح الله ويقدمه ، ويهلكه ويكبره
وصلّى على النبي وآله الطيبين ، وثواب ذلك لهذا المتوضي .

وروى في الفقيه : أن زكوة الوضوء ان يقول المتوضي : اللهم اني
أسألك تمام الوضوء ، وتمام الصلوة ، وتمام رضوانك والجنة .

﴿ الباب ٢ ﴾

في تفصيل السواك ، وفضلها وفوائدها ، وكيفيتها وأوقاتها وغيرها ،
أما فضيلتها وفوايدها فورد في ذلك أخبار كثيرة ، نشير إلى بعضها بمر\" كآ .
منها الخبر المشهور ^(١) المروي عن أبي جعفر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله
قال : قال : لولا ان اشق على امتي لأمرتهم بالسواك ، مع كل صلوة ،
ومنها ما عن النخصال مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وآله قال : في السواك
اثنتي عشرة خصلة ، مطهرة للفم ومرضاة للرب ، وتبييض للأسنان ، ومنه
الحفر ^(٢) ويقل البلغم ، ويشهى الطعام ، ويضاعف الحسنات ، ويصاب
به السنة ، وتحضر الملائكة ، ويشد اللثة ، وهو يمر ^(٣) بطريق القرآن ،

(١) كما في الوسائل عن عبادة بن ميمون القداح عن أبي عبادة عليه السلام .

(٢) الحفر ، يفتح الحاء والفاء : صقرة تملأ الاسنان ، و حفر حفرأ أى بتثليث
الفاء فسمت اصول استانه .

(٣) لان الفم طريق القرآن ، كما في الوسائل عن أبي عبادة عن النبي ص :
نظفوا طريق القرآن ، قيل : يا رسول الله وما طريق القرآن؟ قال : أفواهكم

وركعتين بسواك أحب إلى الله عز وجل من سبعين ركعة بغير سواك .
ومنها ما عن ثواب الأعمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال أبو جعفر عليه السلام : لو يعلم الناس ما في السواك لأباتوه معهم في لحافهم .

وأما كيفيتها وآدابها فيستحب أن يكون بالاراك فإن لم يوجد أو شق تحصيله ، فيغيره حتى ذلك بالابهام ، والمسبحة ، وإن يكون عرضاً وإن يدعو عنده بقوله : « اللهم أرزقني حلوة نعمتك ، وارزقني برد روحك واطلق لساني بمناجاتك ، وقر بني منك مجلساً ، وارفع ذكرني في الأولين اللهم يا خير من سئل ، وبأ أجود من أعطى ، حولنا مما تكره إلى ما تحب وترضى . وإن كانت القلوب قاسية ، وإن كانت الاعين جامدة ، وإن كانت أولى بالعذاب ، فأنت أولى بالمغفرة ، اللهم احيني في عافية ، وأمتني في عافية » .

وأما أوقاته فالذي وجدته في الأخبار ^(١) عند كل وضوء ، وعند كل صلاة ، وعند النوم في الليل ، وعند القيام منه ، وقبل الخروج إلى صلاة الصبح ، ويحتمل قوياً كناية ثلاث مرات في ليلة عن حق الوضوء والصلاة .

وأما غيرها يكفي فيها ما في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : السواك مطهرة للفم ، مرضاة للرب ، وجعلها من السنن المؤكدة ، وفيها منافع للظاهر والباطن ، مالا يحصى لمن عقل ، فكما تزيل ما تلوث من أسنانك من مطعمك ، ومشربك ، وما كلك بالسواك ، كذلك فأزل نجاسة ذنوبك بالتضرع ، والخشوع ، والتهجد ، والاستغفار بالألسنة ، وطهر باطنك وظاهره من كدورات المخالفات ، وركوب المناهي كلها خالصاً لله ، فإن ^(١) كل ذلك مروى في الوسائل وغيره فلا حاجة إلى نقل ما ورد فيها فليراجع

النبي ﷺ أراد باستعمالها مثلاً لأهل اليقظة ، وهو ان المسواك نبات لطيف نظيف ، وغصن شجر عذب مبارك ، والأسنان خلق خلقه الله في الفم آلة للأكل وأداة للمضغ ، وسبباً لاشتياء الطعام واصلاح المعدة ، وهي جوهرة صافية تتلوث بصحبة تمضيغ الطعام ، ويتغير بها رائحة الفم ، ويتولد منها الفساد في الدماغ ، فإذا استاك المؤمن الفطن بالنبات اللطيف ، ومسحها على الجوهرة الصافية ، وأزال عنها الفساد والتغير ، وعادت إلى أصلها ، كذلك خلق الله القلب طاهراً صافياً ، وجعل غذائه الذكر والفكر والهيبة ، والتعظيم وإذا شيب القلب الطافي بتغذيته بالغفلة والكدر ، صقل بمسحلة التوبة ، و نظف بماء الانابة ليعود إلى حالته الاولى ، وجوهريته الاصلية الصافية ، قال الله : « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » وقال النبي ﷺ عليكم بالسواك فان النبي ﷺ أمرنا باستواك ظاهر الأسنان ، وأراد بهذا المعنى المثل ؛ ومن أناخ تفكره على عتبة باب العبرة في استخراج مثل هذه الامثال في الأصل والفرع ، فتح الله له عيون الحكمة ، والمزيد من فضل الله ، والله لا يضيع اجر المحسنين انتهى .

أقول على المصدق بالنبي وآله ان يعتنى بامثال هذه كل الاعتناء ، ولا يهملها ولا يضيعها ، ويعامل معها معاملة الاسرار ، ويفتنم ما وصل اليه من هذه المعارف ، والتأويلات الحقبة بجزيئات العبادات الواردة في الشريعة القادرة ، ومقدّماتها ويشكر الله ورسوله المبلغ ، ولتلافاته الحافظين بل وعلى الجملة الرايين لها عنهم ﷺ ، فيؤدى حق شكر هذه النعم الباطنية الفاخرة ، ويفوز بانوارها ويصل الى ثمراتها وفوايدها ، والافمن غفل عن الجملة من النعم اللطيفة الحقيقية ، ولم يعظمها حق عظمتها ، فلا ينتفع منها بل ويزيده خساراً من جهة تضييعها بعد اتمام الحجة ، واما اذا آمن بها و

اعتمد عظمته ، فلا بد ان يواظب عليها ويجد في التامل فيها ، و في امثالها
كما اشير اليه في اخرها في مصباح الشريعة ، واذا اشتغل بهذه المراقبة ، وغاص
في التفكير فيها ، ربما ينكشف له عن حقايقها ، و يرى صورها المثالية ، و
اثراتها الباطنية ، وانقلب له الغيب عياناً ، و الرواية دراية والعلم وجداناً ،
فيكثر جدّه و اهتمامه في هذا الباب ، و يستغرق اوقاته و يصير همه همه
واحداً ، فينجرّ ذلك الى سائر المعارف ، حتّى يستغرق عقله بمعرفة الله ، واذا
يكون سائس اموره الدنيوية ، و شؤونه الظاهرية هو الله ، فلا يبقى له شغل
بسخلق ، وهم بغير الله ، وجدّ في غير لقاء الله ، فيزيد شوقه يوماً فيوماً ، حتّى
ينسلك في سلك المشتاقين ، وحينئذ يشتاق اليه ملائكة ربّه ، فيبشره ملك
الموت عند قبضه ، بقوله : ابشريا ولى الله ، ان الله اليك لمشتاق كما يأتى تفصيله
في حديث المعراج هذا ، و من اللوازم في عبر مسئلة السواك ، و امثالها من
الاداب الجزئية التى ورد فيها مثل ذلك ، من التاكيد والفضل . و الثوابات
الجليلة ، ان لا يستبعد ما وان كان بعيداً في عقله ، بل عليه حينئذ ان يتفكر في
حكمها ، حتّى يظهر له بنور الفكرة ما يزيل عنه ظلم الشكوك ، والارتياب
فان الله موفق للصواب ، مثلاً اذا لاحظ في مسئلة السواك هذه الفضيلة
العظيمة ، و استبعد عقله ان يكون لمثل هذا العمل البديّ الجزئى ، القفى
هو عبارة عن ذلك الانسان ، و تطهيرها من الفضل ان يزيد ثواب صلوته
بسبعين ضعفاً ، و آتاه ان يقبل عن عقله هذا الحكم الصادر من بادي نظره
بل عليه ان يمعن النظر و يغور في تفهيم حكم هذا الامر الجزئى ، و فوايده
واذا تفكر في ذلك ، و اجال نظره فيه ، رآى انه سبب لدفع فساد الدماغ
الذى هو مركب عقل الانسان ، واذا اختل ، اختل العقل باختلاله وفساده
والادراك للانسان اعظم من فساد عقله ، صدق قول الحكيم الصادق في الخبر

عليه ، وحق الحكمة الالهية في جعل هذه المثوبات الجزيلة له واذا زاد في الفكر ورأى انه سبب بقاء الانسان ، اذ الانسان له دخل عظيم في تحليل الغذاء ، الذي به قوام البدن ، الذي به حياة الانسان ، وطول عمره ، الذي به يفوز الى الدرجات العالية ، يزيد في تصديقه ، وايضا اذا امن النظر يرى ان ميزان حسن الاعمال ، والافعال وقبحها ليس بالكثرة والقلة ، بل باللطف والدقة ، فان شئت تصديق ذلك ، فانظر في خدام السلاطين ، فان الجندي خدمته المقاتلة آتتى قد ينجر الى القتل والهلاك ، واجرته شيء قليل و نذر يسير ، والوزير خدمته بعض التدبيرات والفكرات ، واجرته ووظيفته يزيد على وظيفة عشرة الاف جندي ، فالعبرة في الخدمة بلطف العمل ، لا كثرة وشدة ، فاذا كان الامر على ذلك ، فلم تستبعدان يزيد مراقبة العبد لمولاه في تطهير اسنانه ، عند صلوته في محل سبعين ضعفا ، فيكون هذا التضعيف في قبال لطف هذه المراقبة الدقيقة ، بان لم يرض العبد ان يكون عند حضوره في محضر ربه ، و مناجاته شيء من اعضائه ، لاسيما عضوه الذي هو طريق قراءة كلام ربه ، متلوثا باثر شيء من الدنيا المبنوضة ، فهذه مراقبة لطيفة يستحق كل نوع من المثوبات الجزيلة ، فلا استبعاد إلا في النظرة الاولى والحمقى ، والحمد لله .

فصل ٤ ورد في الاخبار ما يفهم منه ^(١) الترغيب في التيامن في الافعال ، و الاعمال الشريفة بل الوضيعة و البداءة باليمين عند الابتلا بكليهما ، فيعتبر العاقل عنده بان ذلك كله من شئون الحكمة الالهية ، وبعبارة اخرى من

(١) كما هو المشهور ، واستدل عليه بما روى عن النبي صلى الله عليه وآله انه كان يحب التيامن في طهوره وشفله وشائه كله ، و بما ورد في بعض الاخبار ان الله يحب ما هو الايسر والاسهل ، ولكن الروايتين مرسلتان ، والمدة في المسئلة الشهيرة المظنية والابحار بادلة السامع فراجع ،

شئوننا ترجيح يمين الله ، وإن كان كلنا يديه يميننا ، ولا يهمل المراقبة في شيء من أفعاله ، و أعماله ، فيبتلى بترجيح المرجوح ، ثم له ان يلتفت ان اليمين عبارة عن الطرف القوى من الطرفين كعالم الغيب بالنسبة الى الشهادة ، وعالم الارواح بالنسبة الى عالم الاجسام ، فلك ان تقوى في جميع حالاتك روحك ، و سرك و تخدمه حتى تكون من الرّوحانيين ، والكلمة الجامعة تجمع ما جاءت به الانبياء عليهم السلام من الشرايع ، انما هو ذلك ، فهم يريدون ان يعمروا عالم الغيب ويخدموه ، والناس باغواء الشياطين ، يريدون تعمير هذا العالم المحسوس ، فالمضادة بينهم دائمة ، ثم لا يخفى عليك انه قد يرى من الأنبياء ، والأولياء في بعض الاحيان التوجه في تعمير هذه الدنيا ، فهو أيضاً خدمة لعالم الغيب ، و تخريب لعالم الحس ، و وجه ذلك ان تعمير الآخرة ، و تحصيل المعرفة لا يكون إلا بالحياة الدنيوية ، فتعمير هذه بقدر الضرورة لبقاء الحياة ، وبقاء النوع ليحصلوا به المعرفة ، ويمعمروا فيها الدار الآخرة لازم ، ولكن لا يكون ذلك أزيد من قدر الحاجة ، فتعمير أهل الحق للدنيا واشتغالهم به من باب المقدمة بقدر الضرورة ، و تعمير أهل الدنيا من جهة انهم بنفسيها مطلوبة عندهم ، و معشوقة لهم ، يريدونها و يحبونها لنفسها ، لا بشيء سواها ، و يقدرونها بجميع ما سواها ، هذا كما قد يرى من ذكر أهل الدنيا و اشتغالهم بأمر الآخرة تقيّة من أهل الحق ، حيث يرون حفظ سعادتهم الدنيوية في ذلك ، فذكروهم الآخرة انما هو للدنيا .

فصل ٥ ومن العبر عند ملاحظة آداب الوضوء من الدعوات ، ان يتأدّب الانسان في جميع أحواله ، و أفعاله بما علّمه الشارع من ذكر الله بما يناسب هذا الحال وهذا الفعل والدعاء للمحفظ و البركة و لذكر ما يناسبه

من أمور الآخرة والدعاء لها ، ومن هذا الباب الأدعية التي أنشأها السيد ابن طائوس قدس سره لبعض الأحوال ، والأفعال ، فاته وإن لم يأخذها بالخصوص من الروايات ، إلا أنه أخذها مما يفهم من الروايات والعمومات.

فصل ٦ والعبرة عند رؤية الماء واستعماله ، ما في مصباح الشريعة قال الصادق إذا اردت الوضوء ، فتقدم إلى الماء يقدمك إلى رحمة الله ، فإن الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ، ودليلاً إلى بساط خدمته ، وكما أن رحمة تطهر ذنوب العباد ، كذلك النعاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غيره .

قال الله تعالى : « وهو ^(١) الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته » وقال : « أنزلنا من السماء ماءً أطهروا ^(٢) » ، وقال : « وجعلنا ^(٣) من الماء كل شيء حيّ أفلا تعلمون » فكما أحى به كل شيء من نعيم الدنيا ، كذلك بفضلته ورحمته جعل حياة القلوب بالطاعات وتفكر في صفاء الماء ورقته ^(٤) وبركته وطهوريته ، ولطيف امتزاجه بكل شيء ، وفي كل شيء ، واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمر الله بتطهيرها ، وأت بآدابها فرائضه وسننه ، فإن تحت كل واحد منها فوائد كثيرة ، إذ استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائد عن قريب ثم عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء ، يؤدي كل شيء حقه ، ولا يتغير عن معناه معتبراً لقول رسول الله ﷺ مثل المؤمن الغاس كمثل الماء ، ولتكن صفوتك مع الله في جميع طاعاتك كصفوة الماء ، حين أنزله من السماء وسماء

(١) الامران : الآية ٤٨ .

(٢) الفرقان : الآية ٤٨ .

(٣) الانبياء : الآية ٣٠ .

(٤) وتركته وطهوريته خ ل .

طهوراً ، وطهر قلبك بالتقوى ، واليقين عند طهارة جوارحك بالما .
وعن الرضا عليه السلام ^(١) . إنما أمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبار عند مناجاته إياه ، مطيعاً له فيما أمره ، نقيّاً من الأذنس والنجاسة ، مع ما فيه من ذهاب الكسل ، وطرده النعاس ، وتزكية القوادر للقيام بين يدي الجبار ، وإنما وجب الوضوء على الوجه واليدين ، والرأس والرجلين ، لأن العبد إذا قام بين يدي الجبار فأنما يكشف من جوارحه ويظهر ما وجب الوضوء ، وذلك أنه بوجهه يسجد ويخضع ، وبیده يستل ويرغب ، ويرهب ويتبتل ، وبرأسه يستقبله في ركوعه وسجوده ، و برجليه يقوم ويقعد الخ ، هذا .

ويلزم على العاقل بحكم عقله أنه إذا علم من الشريعة لزوم طهارة مكانه ، الذي هو طرفه الأبعد ثم ثيابه الذي هو غلافه الأقرب ، ثم جلده الذي هو قشره الأدنى ، فلا يسعه أن يغفل عن تطهير لبسه الذي هو ذاته وهو قلبه ، فعليه أن يجتهد في تطهيره أزيد من غيره لأنه موضع نظر ربه ، وتطهيره بالتوبة النصوح ، فإن الباطن أنما يطهر بها ، أما سمعت ^(٢) قول الصادق عليه السلام وطهر باليقين والتقوى قلبك ، فإن اليقين يورث التقوى ، والتقوى لا يكون إلا بالتوبة ، وإذا قد تمهد ذلك فاعلم إن التوبة أهم من الطهارة في الصلوة فيجب أن يعلم حقيقتها فأقول : حقيقتها فهو أن يرجع العبد من غير الله إلى الله وإن شئت قلت : من مكروه الله إلى رضاه ، وإن شئت قلت : من بعده إلى قربه ، وإن شئت قلت من الظلمة إلى النور ، وإن شئت قلت : من الجهل إلى العلم ، وإن شئت قلت : من العقادة إلى السعادة ،

(١) في العمود ، وعمل الشرايع للصدوق عليه الرحمة و إشارايه في الوسائل .

(٢) في حديث مصباح الشريعة الذي مر آنفاً .

وإن شئت قلت من المعصية إلى الطاعة .

و يكتمل من علم وحال وعمل ، ويتحقق بكل منها لأن كلَّها مطلوبة مستقلاً ، واضدادها بخلافها ، فالرجوع عنها يسمى توبة .

أمّا العلم فاجاله ان يعلم ان الحال الذي فيه هو ، مورث الشقاوة أو مانع من السعادة ، وتفصيله ان يعلم جميع مراتب العلوم الناعمة من العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخر مع استشعار الحرمان من السعادات اللازمة لها ، والكائنة فيها .

وأمّا الحال فالتحسّر بالشقاء ، وقصد ان السعادة في الماضي والحال والاستقبال والرغبة بالتدارك في الأحوال الثلاثة

وأمّا العمل فبالرجوع والخروج عما كان ، والعزم لادامته فيما يكون والرجوع اجمالاً ان يحصل معنى يتدارك به ما تحسّر بسببه للعاجل ، والآجل وهو ان كان متعلّقاً بحق من حقوق الله ، فله تداركه بالقضاء ومحو الآثار ، ومنه اذابة اللحم الناشئ من المعصية ، واذاقة النفس ألم الطاعة بقدر التذاذها بالمعصية ، وصفائها بالنور بقدر تكدرها بظلمة المعصية ، وإن كان متعلّقاً بحقوق المخلوق ، فإن امكنه الاداء فبادء حقوقهم ، ولو بالاستعفاء والاسترضاء مع محو الآثار كما مضى ، وإن لم يمكنه ذلك كما إذا خان مثلاً مؤمناً في عرضه ، فانه لا اداء له ، وقد يكون الاستعفاء والاسترضاء مورثاً للفتن ، فله ان يستغفر له ، ويعمل له اعمالاً صالحة بقدر ما يتدارك به الخيانة ، ثم محو الآثار وان كان من قبيل الحيوانات ، فإن امكنه أن يعوّضه من اضراره بنحو يقابله ثم محو الآثار ، فله ان يتداركه احتياطاً ، وهذا كلّه يفهم من التدبّر فيما روى ^(١) عن أمير المؤمنين ، أنه قال ، لقائل بحضرته استغفر الله شكلكتك

(١) كما في نهج البلاغة وغيره .

أُمتك ، أتعدي ما الاستغفار ؟ ان الاستغفار درجة العليين ، و هو إسم واقع على ستة معانٍ :

أولها الندم على ما مضى .

والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً .

والثالث ان تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم ، حتى تلقى الله أمس وليس

لك تبعه .

والرابع ان تعتمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها ، تؤدي حقها ،

الخامس ان تعتمد إلى اللحم الذي ثبت على السمحت ، فتذيب بالأحزان

حتى يلصق الجلد بالعظم ، فينبت بينهما لحم جديد ،

السادس أن تذيب الجسم ألم الطاعة ، كما أذفته حلاوة المعصية ، فعند

ذلك تقول : استغفر الله ، و في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : التوبة

جبل الله ، ومدد غنايته ولا بد للعبد من مداومة التوبة على كل حال .

وكل فرقة من العباد لهم توبة .

فتوبة الأنبياء من اضطراب السر .

وتوبة الأولياء من تلويين الخطرات .

وتوبة الأصفياء من النفس .

وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله .

وتوبة العام من الذنوب ، ولكل واحد منهم معرفة ، و علم في أصل

توبته ومنتهى أمره ، وذلك يطول شرحه ههنا .

فأما توبة العام فإن يغسل باطنه من الذنوب بماء الحسرة ، والاعتراف

بجنايته دائماً ، واعتقاد الندم على ما مضى ، والخوف على ما بقي من عمره ،

ولا يستصغر ذنوبه ، فيجمله ذلك إلى الكسل ، ويديم البكاء ، والأسف على ما

فأما من طاعة الله ، و يحبس نفسه من الشهوات ، و يستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته ، و يعصمه من العود على ما سلف ، و يروض نفسه في ميدان الجهاد والعبادة ، و يرضى الفوائت من الفرائض ، ويرد المظالم ، ويعتزل قرناء السوء ، و يسهر ليله ، و يظلم نهاره ، و يتفكر دائماً في عاقبته ، و يستعين بالله سائلاً منه الاستقامة في سرّاه و ضرائه ، و يثبت عند المحن والبلا كيلا يسقط عن درجة التوابعين هذا ، وقد ذكر بعض السلف^(١) من العرفاء للتوبة حقايق و اسراراً و لطايف الاسرار ، و ذكر في الأوّل ثلاثة أشياء : تعظيم الجناية ، و اتهام التوبة ، و طلب اعدار الخليفة ، والمراد من الأوّل ما أشار إليه الصادق عليه السلام من قوله : و لا يستصغر ذنوبه ، والمراد من الثاني ما أشار إليه بقوله : و يستغيث إلى الله ليحفظه على وفاء توبته والمراد من الثالث ما أشار إليه بقوله و يرد المظالم .

و ذكر في السرائر تمييز التقية من العزة ، و نسيان الجناية ، و التوبة من التوبة ، والمراد من الأوّل أن يخلص توبته من الرياء ، والمراد من الثاني أن يشتغل بذكر الله بعد التوبة ، حتّى ينسى جنايته ، و توبته من الجناية ، وهو و إن كان حالاً و مقاماً سنياً ، إلّا أنّه لا يدخل في التوبة ، والمراد من الثالث على الظاهر التوبة من التوبة لنفسها ، أو التوبة من التوبة التي

(١) وهو الماروف الكامل الفواجر عبد الله الانصاري الهروي ينتهي نسبه الى أبي ايوب الانصاري الصعابي المشهور ، صاحب التأليف و العافظ للاحاديث الكثيره المتوفى سنة ٣٨٣ او (٣٩٦) او (٣٩٧) ، و من تأليفه ، منازل السائرين الى الحق ، و المناجيات الفارسية المشهورة ، و نقل الكلام المذكور في المتن من كتابه منازل السائرين ، الذي شرحه الماروف كمال الدين ، المولى عبد الرزاق بن جمال الدين اسحاق النكاشاني ، صاحب تاويل الايات و اصطلاحات العرفاء ، و شرح نصوص الحكم ، و شرح منازل السائرين ، و غيرها المتوفى سنة ٨٨٧ .

يرأها بحوله وقوته ، وكلاهما جيد ، ولكن عد ذلك في تلو الثاني لا يخلو
عن شيء (١) .

وذكر في الثالث أيضاً ثلاثة :

الأول ان تنظر بين الجناية والفضية ، فتسرف مراد الله إذ خللك
وايمانها فان الله انما يخلي بين العبد والذنب لاحد معنيين :
أحدهما ان تعرف عزته في قضائه ، وبره في ستره و حلمه في امهال
راكبه ، و كرمه في قبول العذر عنه ، وفضله في مغفرته .

أقول : التفكر في هذه الأحوال اشتغال عن جهة الذنب ، والتوبة بالله
من جهة الصفات والأفعال ، وهذا من وجوه قوله ﷺ في بعض الروايات :
مشغولة عن الدنيا بحمدك و ثنائك ، قال : والثاني ليقم على العبد حجة
عدله ، فيعاقبه على ذنبه بحجته ، واللطفية الثانية ان يعلم ان طلب البصير
الصّادق سيئته ، لم يبق له حسنة بحال لأنه يصير بين مشاهدة المنّة و
تطلب عيب النفس والعمل ، يعني ان البصير الصّادق يرى جميع سيئاته من
جهة نفسه ، وخيراته من جهة الرب فهو أولى بسيئاته ، والله أولى بحسناته
فلا يبقى له حسنة ، إذا طلب حقيقة الحال .

قال : واللطفية الثالثة ان مشاهدة العبد الحكم ، لم تدع له استحسان
حسنه ، ولا استقباح سيئته لصعوده من جميع المعاني إلى معنى الحكم .

قال الشارح في شرح هذه الفقرة : مشاهدة الحكم ان لا يرى مؤثر

(١) اي سرائر حقيقة التوبة ، حيث قال ، وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة اشياء : تمييز
التوبة من العرة ، وبيان الجناية ، والتوبة من التوبة .

والمراد من العرة الجاه بين الناس ، بان يميز ان توبته منبت من التقوى والرياء
والجاه بين الخلق والعشة عندهم .

وان شئت توضيح كلامه وتفصيل مراده فراجع الى الكتاب المذكور وشرحه .

إلا الله ، ولا حكماً ولا أثراً ، ولا فعلاً إلا له ، فيتحقق العبد عياناً معنى قوله كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم .

أقول : يحتمل أن يكون المراد من الأولى قوله تعالى : « ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك » ، و من الثاني قوله : « كل من عند الله » ، وكل ناظر إلى جهة .

قال : فتوبة العامة لاستكثار الطاعة ، فانه يدعو إلى ثلاثة أشياء : إلى جود نعمة السر والامهال ، وروية الحق على الله تعالى ، و الاستغناء الذي هو عين الجبروت والتوكل على الله ، أي العامة تنزى التوبة من حسناته ، فيقدم عليها من جهة تحصيلها ، ولا ينظر إلى جهة جناياها ، و نعمة ستر الله عليه و امهاله ، حتى يتوب ، وأيضاً إذا نظر إليها من جهة انها من حسناته يرى له المنّة والحق على الله ، فيسغني عن الله من جهة قبولها ، وعفو آثار الجنايات ، قال : توبة الاوساط من استقلال المعصية ، وهو عين الجرئة والمبارزة ومحض التدنّس بالحمية ، والاسترسال للقطيعة ، والمراد من الأوساط الذين يعتقدون من بعض ما رأوا من الحالات ، بل و بعض ما سمعوا من الآيات والروايات ، ولم يصلوا إلى المراد منها : انهم مجبورون في أفعالهم ، و ان سيئاتهم بحكم الله وقضائه وقدره ، و ان ذلك يؤثر في عدم استحقاق المذمة لأنفسهم من جهة هذه الأفعال القبيحة ، وافترؤا ببعض أوائل المعارف ، و وقعوا في خطر عظيم أعظم من جهل العامة ، وهو عين الجرئة والمبارزة ، وعلّة وقوعهم في هذا الجهل حية أنفسهم من قبول نسبة القبيح ، وذل الاعتراف ، وهذا الحال استرسال للقطيعة .

قال : وتوبة الخاصة من تضييع الوقت ، فانه يدعو إلى درك النقيصة ويطفى نور المراقبة ، ويكدر عين الصحبة ، أي حال التوبة للخواص من جهة

در كهم نقيصة الذنب ، يكثر لهم صفاء المراقبة التي يكون للمقربين ، قال :
ولا يتم التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة مما دون الحق ، ثم رؤية علة تلك
التوبة من رؤية تلك العلة أي توبة أهل القرب يكون من كل ما يشغله
عن الحق ، حتى رؤية أنه تاب عن الاشتغال بغير الحق ، فيكمل لذّة
الوصال عند نسيان الغير والقفلة عن النسيان .

أقول : وللمقربين أيضاً درجات بعضها فوق بعض ، فيشبهه أن يكون
هذا ، مقام توبة الخواص في كلام الإمام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة ،
حيث قال : وتوبة الخاص من الاشتغال بغير الله ، ويمكن تطبيقه بتوبة الأولياء
أيضاً في كلامه ، وإن قد عرفت بعض ما فيها من الأسرار ، فأعلم أنه لا يغلو
أحد من الاحتياج إلى التوبة ، حتى الأنبياء ، والشاهد على ذلك ما يرى
من اختلاف أحوالهم ، فإن وجود الاختلاف ، دليل على أن لهم أيضاً أحوالاً
بعضها فوق بعض ، فيكون الرجوع عن الأدنى توبة ، وقد سمعت ما في
مصباح الشريعة : أن توبة الأنبياء من اضطراب السر ، وكان ^(١) رسول الله
يستغفر كل يوم مائة مرة من غير ذنب ، على ما في الرواية ، وأنت إذا تأملت
في معنى التوبة ، وكيفية خلق العباد وترفيعهم ، علمت وجه احتياج الكل
إلى التوبة فانتها عبارة عن الرجوع من حال أدنى إلى أعلا منه ، وليس في
الوجود إلا الذات الغني بالذات ، موجود وجد كاملاً بحيث لا يحتاج إلى
الترقي والتكميل ، وذلك يصحح معنى الحاجة إلى التوبة في الكل ، وأما
الأغلب فلأن العقل الذي به كمال الإنسان ، وطاعة الرحمن ، لا يكمل في

(١) في الكافي « باب الاستغفار من الذنب » من زيد الشحام عن أبي عبد الله
عليه السلام قال : كان رسول الله يتوب إلى الله عز وجل في كل يوم سبعين مرة الحديث .
وفي « ذي باب نادر » في رواية : أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يتوب إلى
الله ، ويستغفر في كل يوم وليلة مائة مرة .

المخلوق إلا بعد كمال الشهوة والغضب ، وسائر الأخلاق المذمومة ، والعلم لا يعمل إلا بعد الجهل ، ومعلوم أن الجهل وسائر الصفات المذمومة أسباب المعصية ، بل هي من المعصية يجب التوبة عنها ، فإن العقل يظهر مبادئه بعد سبع سنين ، وأصله عند مراقة البلوغ ، والشهوة موجودة قبل التولد ، والتوبة عبارة عن قبول حكم العقل في الزجر عن التوغّل في الشهوات ، هذا وجه حاجة الكل إلى التوبة ، وأمّا وجه دوام الحاجة إليها ، فهو أن البشر لا يخلو من معصية بجوارحه ، أو لهم بالمعصية والخواطر ، والوساس المذهلة عن ذكر الله ، أو غفلة وقصور في العلم بالله ، وصفاته وبآثاره بحسب الطاقة ، وكل ذلك نقص ولها أسباب ، ومن كها والاشتغال بأضدادها رجوع عن النقص إلى الكمال ، كل بحسبه كما سمعت أن الأنبياء أنما يمرض عليهم اضطراب السر ، فيتوبون عنه ، ثم أن قبول التوبة الصادقة من كل أحد ، حتّى المرء بقسميه ^(١) مقتضى الأدلة العقلية ، والنقلية ، وإنّما الكلام أنّها قد يكون الذنب بحيث يصير منه التوبة ، بل قد يعذر كما إذا انطبقت ظلمة المعاصي في القلب ، أو فعل فعلا لا يمكن تداركه كما إذا أضلّ المسلمين ، فكفروا باضلاله ، ومانعوا على الكفر ، نعوذ بالله وأمّا إذا أمكنه التوبة بشرائها ، فلا خلف في القبول ، هذا .

وروي عن أمير المؤمنين ^(٢) : أنّه قال الذنوب ثلاثة : فذنب مغفور ، وذنب غير مغفور ، وذنب يرجى لصاحبه ، ويخاف عليه ، قيل : يا أمير المؤمنين

(١) من النطرى واللى .

(٢) كما في نهج البلاغة ودواء في الكافي عن علي بن ابراهيم عن عبد الرحمن بن حماد عن بعض اصحابه روى قال : سمعت أمير المؤمنين بالكوفة النبي ، فعنده ، واثني عليه ، ثم قال : ايها الناس ١٠ باختلاف في بعض فقراته ، و سقط بعض جملاته ولم يذكر الذنب الثالث الذي يرجى لصاحبه ، ويضاف عليه فراجع .

فبيّنها لنا ، قال : نعم أمّا الذنب المغفور ، فعبد عاقبه الله على ذنبه في الدنيا والله تعالى احلم وأكرم من أن يعاقب عبده مرتين ، وأمّا الذنب الذي لا يغفره الله ، فظلم العباد بعضهم لبعض ، إن الله اذا برز لخلقهِ ، أقسم قسمًا على نفسه ، فقال : وعزّتي وجلالي لا يجوزني ظلم ظالم ، ولو كفّ بكفّ ، ولا مسحة بكف ، ولا نطحة ما بين القرناء والجماء فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض حتّى لا يبقى لأحد مظلمة ، ثمّ يبعثهم الله للحساب ، وأنت إذا تأملت في الخبر الشريف ، علمت أن مراده ﷺ من غير المغفور ما لا يتدارك بردّ المظالم ، أو الاسترضاء ، وهذا الذي في الخبر ابقى الظلم بحاله من الآخر ومن المرجو أمّا ما يكون التوبة فيه نافعة من جهة محو آثاره أو الحكم لله تعالى بما وعده لعباده فهو سوء أدب لأنّه الزام بالفضل ، وأمّا عدم الحكم له بنفي القبيح عنه ، فهو أيضاً سوء أدب ، وإن احكم في الأوّل ، وترجي في الثاني كان حسنًا ثمّ إن الذنب إمّا كبيراً أو صغيراً ، واجتناب الكبائر ، والصلواة الخمس تكفّر الصغائر ، كما ورد في الكتاب والسنة ، قال الله تعالى (١) : « ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ، نكفّر عنكم سيئاتكم » وقال : « والذين (٢) يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، إلا اللّٰم » قال رسول الله : «الصلواة الخمس ، الجمعة إلى الجمعة تكفّر ما بينهن لمن اجتنب الكبائر ، والروايات وكذلك الأقوال تختلف في تحديد الكبيرة والصغيرة ، عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية الأولى قال : « الكبيرة ما أوجب (٣) الله عليها النار » وهذه آية سنل (٤) عن الكبائر ، فقال : هنّ في كتاب علي سبع : الكفر

(١) النساء . الآية ٣١ .

(٢) التورى . الآية ٣٧ .

(٣) الكافي باب الكبائر عن العلي عن الصادق عليه السلام .

(٤) في الكافي ايضاً باب الكبائر عن عبيد بن زرارّة عن الصادق عليه السلام .

بالله ، وقتل النفس ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربا بعد البيئته ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، قيل : فأكل درهم من مال اليتيم أكبر ، أم ترك الصلوة ؟ قال : ترك الصلوة ، قيل : فما عدت ترك الصلوة في الكبائر ؟ فقال : أي شيء أول ما قلت لك ؟ قال : الكفر ، قال : فإن تارك الصلوة كافر .

أقول الاخبار مختلفة جداً وأنا اعد كلما ذكر في الاخبار من الكبيرة فيعلم وجه الاحتياط ، ثم اذكر ما يقوى في نظري . وقد مضى منها في الرواية المزبورة سبع ، وذكر في ^(١) غيرها اليأس من روح الله ، والامن من مكر الله ، وقذف المحصنة ، والسحر ، والزنا ، واليمين ^(٢) الغموس ، والفلول ^(٣) ، ومنع الزكوة المفروضة ، وشهادة الزور ، وكتمان الشهادة ، وترك الصلوة متعمداً أو شيء مما فرض الله ، ونقض العهد ، وقطيعة الرحم والسرقة ، وشرب الخمر ، وأكل الميتة والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله ، من غير ضرورة ، والسحت ، والميسر ، والقمار ، والبغس في الحكيال والميزان ، واللواط ، والقنوط من رحمة الله ، ومعونة الظالمين ، والركون اليهم وحبس الحقوق من غير عسر ، والكذب ، والكبر ، والاسراف ، والتبذير ، والخيانة ، والاستخفاف بالحج ، والمحاربة لاولياء الله ، والاشتغال بالملاهي والاصرار على الذنوب ، وانكار حق اهل البيت ، وكل ما اوجب الله عليه النار .

(١) هي رواية عبد العظيم عباد الله الحسنى المذكورة في الكافي فراجع .

(٢) اليمين الغموس : هي التي تنفس صاحبها في الاثم ثم في النار والمراد منها اليمين الكاذبة .

(٣) الفلول ، الذل و القتل العطش او شدته والبراد منه هنا هو الاكل من بيت المال قبل القسمة كما في الآية الشريفة : ومن يفلل يأت بياغل يوم القيامة . وورد في تفسيرها اخبار كثيرة بهذا المضمون .

أقول : أقل الروايات انها خمس ، وهى الشرك بالله ، وعقوق الوالدين
واكل الربوا بعد البينة ، والفرار من الزحف ، والتعرب بعد الهجرة ، وهذه
الرواية صحيحة ، وفيها بعض تصريح على أن السرقة ، والزنا ليس منها ، و
في بعضها أن الملامى التي تصد عن ذكر الله مكروهة ، كالغنا وضرب الاوتار.
أقول هي هنا امران :

الاول رفع الاختلاف من الاخبار ، وبيانه ان من المعلوم بان الكبير
والصغير امران اضافيان فالزنا بالنسبة الى القبله واللمس كبيرة قطعاً ، والقبله
واللمس بالنسبة الى النظر كبيرة ، وهكذا فلعل الاخبار كل يحد الكبيرة من
جهة حكم خاص ، مثلاً بعضها ناظر الى الكبيرة التي لا يكفرها الصلوة ، وبعضها
ناظر الى الكبيرة التي يكفر اجتنابها الصغار ، وبعضها ناظر الى الكبيرة
التي ناقض العدالة ، وهذه ايضا اختلافها باختلاف العدالة المشروطة مثلاً في
الشهادات ، وغيرها من الاحكام .

والثاني فقه المسألة ، وبيانه ان الذي صرح باشتراط اجتنابها في قبول
الشهادات ليست مطلقه ، بل اجتناب الكبيرة التي أوجب الله عليها النار ،
هذا بحسب الواقع ، واما بحسب الظاهر فالأخبار متطافرة في الاكتفاء
بحسن الظاهر ، إذا لم يكن متجاهراً بالفسق ، والتزم الجماعة وعرف بين
الناس بالستر والعفاف ، هذا في الشهادات والولايات ، غير ولاية الفتوى .

وأما صلوة الجماعة فليس في اخبارها ما يشرط فيه اجتناب الكبار ،
بل ولا العدالة ، بل وقع النهى عن الصلوة بمرتكبي بعض الكبار ، مثل
قوله لا تصل خلف شارب الخمر ، وآكل لحم الخنزير ، ومن يقترب الذنوب
بل الأقوى جواز الصلوة خلف مجهول الحال من الشيعة ، فليس لتعين
خصوص الكبيرة أهمية للعمل ، بل الحكمة الالهية مع فضله لعلهما

يقتضيان خفائها لأمريين .

أحدهما أن يجتنب المنقول إليه من جميع الذنوب من جهة الاحتياط ، و
الآخر أن لا يكون المقترف مقترفاً عالمًا ، فيخفّ عقابه بجعله ، وهذا المقدار
من الكلام في تحقيق الكبيرة كاف ، و الأهمّ بمرادنا و الأنسب بكتابنا هو
تحقيق أن الصغيرة إذا اعتقدها المقترف صغيرة ، و كان في نظره شيئاً كبيرت
بقدر اعتقاده صغرها ، كما أن الكبيرة كلّما ازداد كبيرها في نظر العارف ،
صغرت عند الله ، وايضاً حكم الصغر في الصغيرة من باب الفضل ، و أمّا في
الواقع بحكم العقل فكلّ مخالفة لأمراء الله كبيرة ، يجب على مرتكبها النار
باستحقاق ، بل هذا حكم كل ما منع منه الشارع ، ولو بالكراهة الاصطلاحية
بل وهذا حكم كل مباح يصير سبباً للغفلة عن ذكر الله ، بل الاشتغال بغير الله
ولو مع عدم نسيان الذكر فالعقل ، بعد تصور حضور الله ، و عظمته و لطفه و
طلبه العبد الى أنسه و ذكره ، يعدّ كل ما يخالف هذا الطلب ولو بعدم الاهتمام
كبيرة .

وبعبارة أخرى الادبار على الملك المنعم في حضوره ، و الاشتغال بغيره .
عند العقل كبيرة ، ولكنّ الشغل كرمه ، و عظم فضله بفضل لم يجعل للصغيرة
ولا المكروهات الاصطلاحية ، ولا المباحات عقاباً ، و بملاحظة هذا الفضل ايضاً
يشدّد حكم العقل بقبح هذه المراتب كلّها ، و بالجملة كلّ المخالفات كبيرة
في نظر العقل ، ولكنّ الفضل الالهي أنّما صغر بعضها ولكن ذلك فيما إذا
لم يعدها العبد صغيراً .

وقد ورد عن الصادق (عليه السلام) ^(١) أنه قال : قال رسول الله ﷺ اتقوا
المحقّرات من الذنوب ، فاتّها لا تنفر ، قيل : وما المحقرات ؟ قال : الرّجّل

(١) اصول الكافي باب استعمار الذنوب من زيد الشحام .

يذنب الذنب ، فيقول طوبى لى لولم يكن لى غير ذلك ، وقال : ان الله يحب
المبذبان يطلب الله فى الجرم العظيم ، ويبغض المبذبان يستغف بالجرم اليسير
وبالجمل ما يكبر به الصغيرة الاصرار ، وقد (١) ورد لا صغيرة مع الاصرار ،
ولا كبيرة مع الاستغفار ، والاصرار كما عن أهل اللغة الادامة للشىء ، ولكن
الاستغفار يبطل حكم السابق ، فيكون الارتكاب ثانيا مع الاستغفار له ايضاً ،
وعدم العزم الذى بنا فيه الاستغفار ، بحكم الواحد الغير المتكرر .

عن الباقر (عليه السلام) (٢) فى قوله تعالى : « ولم يصروا على ما فعلوا وهم
يعلمون » قال الاصرار ان يذنب الذنب ، فلا يستغفر . ولا يحدث نفسه بتوبة
فذلك الاصرار .

أقول : يحتمل أن يكون المراد من الاستغفار التوبة ، كما هو المراد
فى بعض الاخبار ، فيكون ولا يحدث نفسه بتوبة من عطف التفسير ، ويمكن
أن يكون بمعنى الدعاء بالمغفرة للذنب ، فيتحقق الاصرار حينئذ بشرطين :
أحدهما عدم الاستغفار ، والثاني التوبة ، فإذا وجد أحدهما لا يكون
العبد مصراً ، وليته كان كذلك ، ولكن جماعة افتوا بعدم كفاية الاستغفار ،
وشرطوا العزم على الترك ، وان خالف عزمه الفعل ثانيا ، ولكن من الاستغفار
و العزم على الترك يفاد من جملتها السرور بالصغيرة ، واعتداد التمكن من
ذلك نعمة ، لكن مع العلم بكونه ذنباً مكروهاً ، ولكن إذا جهل كونه معصية
ولم يكن فى جهله مقصراً ، وسر من اجل أنه يحسبه حسنة ، ومقربة من رضا
الله ، فلا نطن أن يكون هذا السرور سبباً لكونها صغيرة ، بل يمكن ان لا

(١) فى الكافي باب الاصرار على الذنب عن عبد الله بن سنان .

(٢) ايضاً الكافي - باب الاصرار على الذنب ولكن لم يسنه الى النبى صلى الله

يكون محرماً بل ويمكن في بعض الموارد ان يكون راجحاً في حقه ، و مثلاً بسروره ، وبالجملة الفرح والسرور بالتمسك من المعصية الصغيرة ، يكبرها ، بل اللازم على المؤمن ان يتحسّر بذنوبه ، ويتأسف عليها ، ويكون في مصيبة من ابتلائه بما يوجب بعده من رضا الله جلّ جلاله ، ومن جعلتها الاظهار لان فيه كفران لنعمة ستره تعالى ، وقد يكون تحريكاً لرغبة الغير ، بل قد يكون تهيةً لاسباب السرور ، ويتقاض الامر بل مجرد الاظهار يلزم هناك الذنوب اميس الالهية ، و ان لم يكن فيه شيء مما ذكر ، وعن ^(١) الرضا عليه السلام ، قال رسول الله ﷺ : المستتر بالحسنة تعدل سبعين حسنة ، والمذيع بالسيئة مخذول والمستتر بها مغفور له .

نعم هنا شيء ، وهو انه قد يكون الاظهار في بعض الموارد معظماً على النفس ، ولكن مع تأسف وتحسّر ، وتعظيم للامر ، فلا يكون حكمه حكم سابقه ، ولكن ذلك ايضا امر ذوقى لم يرد به تعبد ، بل الوارد لنا بخلافه ، فالأحوط تركه اواذا كان العبد في مقام الاستعلاج ، والاستفتاء من عالم ، و يرى استكمالاً في ذلك ، أظن ان لا يكون ذلك مرجوحاً كما قد اتفق امثال ذلك لبعض المؤمنين في الاستعلاج من الائمة ، ومن بعض العلماء ، ولم يتعترضوا لنهيهم ، ولا يذهب عليك ان هذا المرجوح من الاظهار انما هو مختص باظهار المعاصي بخصوصها ، وبعينها واما اظهار التقصير والذنوب بالعموم باعظام واظهار تأسف وهو غير مرجوح بل هو من دأب الاكابر حيث يظهرون من انفسهم انهم من أهل الجنابات والتقصيرات ، لاسيما في المكاتب ، بحيث صار المذنب والمعاصي ، والجاني من القاب المؤمن عند ذكر نفسه في الكتب ، و الرسائل ،

(١) ايضا الكافي عن العباس مولى الرضا عليه السلام و عن اليسع بن حدة عنه نفسه عليه السلام .

هذا ايضا بالنسبة إلى الناس ، وأما بالنسبة إلى الخالق باظهار التأسف و
التحسّر ، والاحترار والاسترحام ، والاستغفار وذكر نعمة الامهال ، والستر
والمغفرة ، بل الاقرار والاعتراف بالذنب ، وقلة الحياء فهو من اعظم وجوه
المناجات ، وله خاصية عظيمة في قبول التوبة ، و تنوير القلب بل الكامل
من الاولياء يعدون حسناتهم سيئات بوجه من المعاريض يخرجهم من الكذب
الصريح ، بل كان دأب جماعة من الاعاظم التعبير من عباداته ، و اعماله و
مجاهداته وزراً ، والوجه في ذلك ان عظمة الامر قد يجعل المحتمل محققاً
في الاظهار ، بل قد يجعل غير المحقق كالمحقق ، ومعروف ان الذي لدنسته
الحية يخاف من الجبال ، مع علمه بان الجبل لا يلدغ ولعل من هذا الباب
ما ورد في الاخبار ان من تمام الاخلاق الحسنة أن يقطع الانسان ان
كل احدا تقى منه ، اننا لله وانا إليه راجعون من مصيبة الغفلة ، و العجب
والدلال الذي يشهد عليه جميع احوالنا و حالاتنا ، و حر كاتنا وسكناتنا ، و
إلى الله الكريم المشتكى من شرور افسنا ، و غرورها بربنا الكريم ، فانه
قد غرنا بالله الغرور ، فالمستعان من الرب الغفور ، ومن جملتها أن يكون
المذنب ممن يقتدى به كالعلماء ، وبعض المعروفين بالقدس والتقوى ، فان الصغيرة
منهم قد يصير سبباً لكبائر الذنوب من العوام ، وذلك ما يعمل من السيئات
بحيث يراه الناس ، وان كان العلم بنفسه يكبر معه قبح المخالفة من بعض
الوجوه ، ولكن المراد هنا ما يكبر من جهة اقتداء العوام به ، فان للعالم
وظيقتين :

الاولى ترك الذنب ، والثانية اخفائه إذا ابتلى هذا ومن المؤثر في محو
آثار الذنوب اتباعها بالحسنات ، لاسيما الخوف والبكاء والصدقات ، و اثر

من الكل التحاب في الله لاسيما حبة آل محمد ، و يتبعه حبة شيعتهم و مواليهم .

والمؤمن انما يغفره الله ، وان لم يقشبت بهذه الاسباب وغيرها ، كان مبتليه بالمصائب ، والبلايا في نفسه واهله وماله وجاهه ، فيكون ذلك كفارة لذنوبه كما في بعض الاحاديث القدسية اهل معصيتي لم اغنظهم من رحمتي فان ماتوا فانا حبيبهم وان مرضوا فانا طيبهم وان لم يتوبوا فبالمصائب والبلايا اطهرهم و من هذا الباب ورد ان كل ما يصيبه الانسان حتى ضرب العرق والصداع والنكبة فهو من ذنوبه ، فالبلايا كلها رحمة للمؤمن ، فله ان يستقبلها بقبول حسن ، كما ورد ان الله قال الله لبعض^(١) انبيائه اذا رأيت الفقر مقبلا قتل مرحبا بشعار الصالحين واذا رأيت الغنما مقبلا قتل ذئب جعلت عقوبته فاذا البلايا والمصائب الدنيوية من نعم الله تعالى للصالحين ، كما ان التعم الدنيوية عقوبة من وجه هذا .

وأما علاج الاسرار والدواء لتحصيل التوبة ، فهو بتحصيل اسبابها و هي العلم والذكروالفكر والمجاهدة بالعمل أما العلم فبان يعلم ان الآخرة خير وابقي ، وان الذنوب موجبة للشقاوات العظيمة في الدنيا والآخرة ، و التوبة منجية منها ، ومورثة لمحبة الله ، وموصلة الى جوار الله ولقائه ، و ان لذة اللقاء هي التي لا عين رأت ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولها من اللذة والبهجة والسرور والعبور ، ثم لا ينفع العلم مع الغفلة حتى يتذكر وعلامة الفكر النافع أن يؤثر فكره في تفسير حاله ، كتأثير فكره فيما

(١) في كتاب ارشاد القلوب للشيخ الراشد أبي محمد الديلمي ، فليما اوصى الله الى موسى عليه السلام اه .

يتفكر فيه من عواقب السوء ، لتفريطه في المنافع العاجلة ، مثلاً إذا سبّ أحدنا من المؤمنين فله ان يعلم ان سبّه يورث في الآخرة نكالا ، وعذاباً لا يقاس بشيء من نكال الدنيا ، وهذا العلم لا ينفع مع الغفلة عنه حتى يكون ذا كراً له ، والذكر لا يكثر نفعه حتى يديم فكره فيما يتذكّره من سوء عاقبته ، حتى يؤثر في تغيير حاله ، مثل ما يعتبر حاله إذا سبّ ملكاً مثلاً في غيبته وسمع أنه وصله سبّه فدعاه إلى محضر التنكيل ، فكيف يكون حال هذا المسكين عند الفكر فيما يحتمل أن يفعل به السلطان في مجازاته ، وعقابه وكيف ينغمس عيشه ويتحسّر بتفريطه ، ويذمّ على ما ارتكبه ، وكيف يشتدّ حزنه وخوفه ، وكيف يتسوّر حاله في محضر الملك ، وأنه بأيّ عقاب يجازيه وبأيّة مثلة يمثله ، وكيف يكون حاله إذا أمر الجلاوزة لأخذه ، و أمير الغضب لقطع لسانه مثلاً ، وبالجملة لا يدع شيئاً من العقوبات إلّا و يتذكّر وقوع نكالها عليه من السلطان ، ويتألّم به حتى أنه شوهد في بعض الأوقات أنه تلف الجاني المتوقع للعقوبة من كثرة خوفه ، واختلّ عقله من شدة حزنه ، والفكر الكامل الصحيح قد يؤثر في القلب بما لا يؤثره وقوع ما يتفكر فيه . وبالجملة إذا تفكّر الإنسان في عظمة أمر الآخرة من الحسنه والنار وتصوّر لذات نعم الجنة كلّها بأنواعها وأفرادها وتصوّر بهجتها وسرورها وكرامتها وتصوّر حسرة حرمانها ثمّ تصوّر ألم عذاب الآخرة بأنواعها وأفرادها ، وتصوّر وقوعها على نفسه ، نظير ما يتفكّر في اللذات الدنيوية ، والمولمات الدنيوية المتوقعتين ، يؤثر ذلك لاهماله أثراً يصحّ توبته لاهماله والأفزع بهال المبتدى الفكر في الموت ، وشدّته وسكراته ، وقزعه وحرارته وألمه ، وحسرتة وفراق جميع محابه ومآلوفاته ، ووحشة القبر وظلمته وغربته وكرهته ودوده وبلاءه .

وفى ذكر هول الموت والقبر والبلا (١)

عن اللهو واللذات للمرء زاجر

وقد رأيت بعض المستمعين حين ماذا كرتي لأحوال الموت والموتى ، اختلّ دماغه عن الفكر في ذلك في أيام قليلة ، حتى احتجت لعلاجه مما وقع به فممنهته من حضور مجلس المذاكرة ، والفكر في الموت ، وأمرته في الفكر في رحمة الله وسعته ، وفي اخبار موت الصالحين ولذة ما يجد أولياء الله بالموت من الشوق إلى لقاء الله وكراماته حتى أفاق مما كان .

و بالجملّة لو تفكّر بهذا الترتيب في عواقب احواله ، و افعاله فأقلّ ما يؤثر فيه انقلاعه عن الذنوب ، وانما عدم التأثير في الأغلب من جهة انّ الناس يتعافلون عن ذكر الموت ، والقبر والبلا وان عرضهم عارض فذكرهم الموت ، يشتغلون عن ذكره فراراً من تنفّس العيش .

ولكنّ الأكابر كانوا يتعاهدون قبورهم و ينامون فيها و يخاطبون أنفسهم بما يخاطب به الأشقياء ، ليتأثروا بذلك أثرأ يمنهم عن الوقوع فيه بغير عدّة ، وكان دأب بعضهم أنّه أعدّ لنفسه قبرأ يأتميه وينام فيه ، ثمّ يقول ربّ أرجعون لعلّي أعمل صالحاً ، ثمّ يخاطب نفسه ، ويقول : يا فلان قم أرجعك ربّك ، فأعمل صالحاً من قبل أن يأتيك يوم تؤمّل فيه الرجوع ، ولا تنظر به ثمّ يبالغ ويجهّد في العبادة ، و بلغني أنّ العلامة الاشرقي المازندراني ، كان يحرق نارأ كثيرة ، ويأمر من يشده بحبل ، ويجرّه إلى النار و يذيق نفسه بعض ألمها ، وحكى عمّن رأى في البيت المقدس من العباد انهم كانوا يمرّون بالسلاسل من اكتافهم ، ويخرجونها من ظهرهم ، ويشدونها باسطوانة البيت و يشتغلون بالعبادة .

(١) البلا : بفتح الباء ، ناقص يأمى بمعنى الرت والخلق ، ومن الناقص الواوي بمعنى الامتناع والابتلاء ، والمراد في المقام هو الاول

وبالجملة يلزم في تأثير الفكر المبالغ فيه ، مثلاً يفرض في نفسه جميع
سكرات الموت ، والقبر والبلاء ، وينظر إلى طراوة صورته في حاله ، ثم ينظر
بعين الخيال في قبره كيف يوقعه القبر في قبح المنظر ، يسيل احداقه و
ويتخلخل لحمه و يبلى شعره فانه يبصر من قبح المنية منظر أبهتال المرء منه
ويرتاع الناظر ، ثم يتذكر مفاجات الموت ، وان استقله بعد ذكر مفاجات
الامراض وتعاقبه للموت ، فكلم من نفس بات حياً صحيحاً واصبح ميتاً ، وكم
من نفس بات صحيحاً واصبح بعد صحته مريضاً ، وبعد سلامته نقيصاً ، يعالج
كرباً ويقاس تعباً في حشجة السياق ، وتتابع الفراق وتردد الالين ، والذهول
عن البنات والبنين ، والمرء قد اشتغل عليه شغل شاغل ، وهول هائل قد اعتقل
منه اللسان ، وتردد منه البيان وذاق وضعاً مكروهاً وفارق الدنيا مسلوباً لا
يملكون له نفعاً ، ولما حلّ به دفعا ، وليعلم الانسان ان الناس سيطرة قد
حذى بهم الحادى ، وحذى بخراب الدنيا حاد ، ونادى بهم للموت مناد .

الا وان الدنيا غداة مكارة ، تنكح في كل يوم بعلا ، و تقتل في كل ليلة
اهلا ، وتفرق في كل ساعة شهلا ، فكلم من منافس فيها ، و راكن إليها من
الامم السابقة فدققتهم في الهاوية ودمرتهم تدميراً ، وبرتهم تنبيراً ، واصلتهم
سعيماً أين من جمع فادعى ، وشد فاكى ، ومنع فاكدى ، واين (١) من اسكر
الاساكر وعسكر المساكر ، وركب المنابر ، اين من بنى الدور ، وشرف القصور
وجهر الالوف ، قد تداولتهم اياماً .

وابتلعتهم اعواماً ، وناهيك للانقلاص عن المعاصى التفكير في اقسام الموت

(١) هذه الجملة لعلها من اغلاط النسخ ، أو الطبع ، وليست جارية على قانون
اللغة فان السكر وهى الغيرة لا تجمع دى وزن الاساكر والمعنى واضح ولله من
مراعات القافية .

للمسالمين والطارحين ، هذا وان وفق عبد للتوبة ، فله حينئذ ان يأخذ كتاباً لنفسه ، ويكتب فيه كلما توجه إليه من حقوق الله من عباداته ، و سائر فرائضه من الافعال ، و التزويج و كلاً ما ابتلى به من حقوق الناس في اموالهم ، واعراضهم و حقوقهم اجمالاً ، ثم يكتب فصولاً لاجزائه من سمعه و بصره و لسانه ومذاقه ومشامه ، ويده ورجله و بطنه ، وجميع جوارحه . وقلبه ثم ينظر في أقسام الطاعات من صلواته ، وزكواته و خمسته وصومه و حجته ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والعهد واليمين والنذر ، و الكفارات ، ورد السلام بل التحيات كلها ، وتسميت العاطس اذا حمد وصلّى ، وصلة الارحام و بر الوالدين ، واداء حقوق الاخوان وهي كثيرة .

في الخبر ما عبد^(٢) الله بشيء افضل من اداء حق المؤمن ، ومنها نفقة الزوجة ، والمملوك ، وسائر حقوقهما ، ونفقة الاقارب مع فقرهم وغنائهم ونفقة الحيوانات التي حبسها ، و تقدير المعيشة من غير سرف ، ولا بخل و طلب الحلال ، ودفع الضرر عن النفس والمال ، والختان للرجال ، والتزويج مع خوف الوقوع في الجرام بدونه ، والصدق في الأقوال وقيل في الأفعال ايضاً ، واداء الامانة الى البر والفاجر ، والوفاء بالعهد والوعد . وصرف نعم الله تعالى فيما خلقت لاجله ، والسجود عند تلاوة العزائم واستماعها ، بل سماعها ايضاً هذا كلها من الفرائض العينية وأما الكفائية فكالجهاد ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، و الافتاء والقضاء مع اضطرار الناس ، و تخليص المشرف على الهلاك ، و اغانة المستغيث مع القدرة ، واطعام الجائعين على ذوى اليسار مع قصور الصدقات الواجبة ، وتحمل الشهادات مع عدم تعيينه عليه ، و الا فيكون عيناً ، وكذا تجهيز الموتى وتغسيلهم ، ودفنهم و سائر الولايات ، و

(٢) الكافي باب حق المؤمن على اخيه ، من مزارع عن أبي عبد الله عليه السلام .

إبقاء ضروريات البقاء للتنوع .

ثم يتأمل في الطاعات القلبية ، وهي أيضاً أمّا عينية و أمّا كفاية
ومن الأولى معرفة العقائد الحقة الواجبة ، ولو اجمالاً ومعرفة الاحكام
الشرعية ، ولو تقليداً عند العمل ، ومعرفة للاخلاق ، وآفات الاعمال والنفس
والتوبة والشكر والصبر ، والخوف والرجاء ، والنية والاخلاص وغيرهما مما
يجب على المكلف من الاعمال القلبية .

ومن الثانية معرفة علم الكلام للرد على المبتدعة ، ومعرفة الاحكام
الشرعية زايدها على الواجبة عيناً .

ثم يتفكر في المعاصي ، وهي أيضاً على اصناف : منها ما هو حرام باصل
الشرع كشرب الخمر والزنا ، وما يحرم بالقصد والنية كالأكل والبيع مثلاً
للتقوى ، والاعانة على المعصية ، ومنها معاصي الجوارح ، ومنها معاصي القلوب
وكل منها أمّا كبيرة او صغيرة ، وفي تعيين الكبيرة اختلاف شديد رواية^(١) و
فتوى ، ولعلّ الصلاح في الابهام أن يجتنب المتقن عن الاغلب ، وفي الصحيح^(٢)
أن الكبيرة ما وعد الله عليها النار ، وفيه^(٣) من أجنب ما وعد عليه النار
كفره سيئاته إذا كان مؤمناً ، و روى^(٤) أنها السبع الموجبات وهي :
قتل النفس الحرام ، وعقوق الوالدين ، وأكل الربوا ، والتعرب^(٥) بعد

(١) الكافي - باب الكبائر - من الطبى عن ابي عبد الله عليه السلام في رواية

الكبائر التي اوجب الله عز وجل عليها النار .

(٢) في الخبر الثاني في ذلك الباب .

(٣) أيضاً في الخبر الثاني من ذلك الباب .

(٤) التعرب بعد الهجرة : هو ان يعود الى البادية ويقيم مع الاعراب بعد ان كان

مهاجراً .

الهجرة ، وقذف المحصنة ، وأكل مال اليتيم ، والفرار من الزحف ، وفي الحسن (١)
 هن في كتاب عليّ سبع : الكفر بالله ، وقتل النفس ، و عقوق الوالدين ، و
 اكل الربا بعد البينة ، و أكل مال اليتيم ظلماً ، والفرار من الزحف ،
 والتعرب بعد الهجرة ، وعينها الرضا في كتابه إلى المأمون خمسة وثلاثين
 و اتمتها بالاصرار على الصغائر .

ثم ينظر في اصناف المحرمات وهي كثيرة : معاصي القلب ، و معاصي
 الجوارح :

الاول كالنحس إذا اظهره ، والحقذ ، و اضرار السوء للمؤمن ، والفرح
 بمصيبة المؤمن ، وقتله ، والفرح بضعف الاسلام ، وقوة الكفر ، و الركون
 الى الظالمين . وسوء الظنّ بالمسلمين في غير محله ، وحب اعداء الله ، قيل
 حب الدنيا ، ومنه حب الجاه والرياسة ، والعجب والرياء ، والكبر ،
 بمعنى تذلل القلب لقبول الحق ، والحرم القوي والسخط على قضاء الله ، و
 الغفلة عن التكليف ، والنفاق ، وتعلم العلوم المحرمة كالكهانة ، و السحر
 للعمل ، والبخل والجبن ، و الامن من مكر الله ، و اليأس من روح الله ، و
 القنوط من رحمة الله ، والجهل كلها من معاصي القلب ، نعم بعض مراتبها لا تعد
 كبيرة بل ولا محرمة ، بل داخلية في المكروهات والثاني كالكبائر التي ذكرناها
 آنفاً ، والبدعة ومنع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ، والسعي في خرابها ، و
 السعي في كل معصية ، و كتمان الحق والرشا ، والوقوف في بلاد الكفر
 بعد التمكن من الخروج منها ، ومشاقة الرسول . و متابعة غير سبيل المؤمنين ،
 والاستكبار عن الدعاء ، و كل عبادة و قطع الطريق ، و تحريف الكلم عن

(١) هو التعبير الثامن من ذلك الباب ، و قد مضى شطر من الكلام في الكبائر
 والصغائر .

مواضعه ، وتمكيد آيات الله ، و ايذاء رسول الله و المؤمنين و اهائهم ، بل و ايذاء الحيوانات من غير اذن الشرع ، والاعراض عن آيات الله و ابطالها ، و التخلف عن الجهاد بل بعض اقسام الدفاع ، والقعود في المساجد جنباً و خائفاً و المرور عن المسجدين ، و لبس الذهب و الحرير للرجال عدا المشروط في حال الحرب ، و الأكل و الشرب من اواني الذهب و الفضة ، بل و اتخاذهما و عمل الات اللّهُو و القمار .

ومنها الآلات المذكورة ، و تصوير ذوات الارواح ، و الاحوط ترك اتخاذها محترماً و البناء رياء و سمعة اى فضلاً على ما يكفيه ، و استطالة على الجيران ، و مباهاة للاخوان ، و الاستخفاف لفقير مسلم ، و عدم اعفاء اللّحية ، و القمار و الرهانات إلا ما استثنى ، و انشاء ما يتضمن هجاء مؤمن ، و التشييب بامرأة معينة غير محملة ، أو بفلان على الاحوط . و النياحة بالباطل ، و الاستماع اليها ، و الغناء بالصوت اللّهُوى ، و القيادة و المساقفة ، و مباشرة المردة مع الاخرى ليس بينهما ثوب ، و تحدثها بما تخلوبه مع زوجها ، و تزيينها لغير زوجها ، و خروجها من بيتها بدون اذن زوجها ، و النظر إلى الاجنبى مع رغبة ، حتّى نظر الرجل الى الجميل من الولدان ، و المصافحة مع غير الحرم من النساء ، و التزامهنّ ، و نظر الرجل إلى عورة أخيه المسلم ، و المردة إلى عورة المردة ، و التطلع على دور الغير ، و الجلوس على مائدة يشرب عليها الخمر ، لمن ^(١) رسول الله الخمر ، و عاصرها و غارسها و شاربها و بايعها

(١) وسائل الشيعة : كتاب التجارة لمن رسول الله صلى الله عليه و آله فى النمر عشرة : غارسها ، و عاصرها ، و شاربها ، و ساقها ، و حاملها ، و المحسولة اليه ، و بايعها ، و مشربها ، و آكل ثمنها ، و ما نقله عنه ليس متن الرواية ، و لعله منقول بالمعنى ، مع اختصار .

ومشتريها وآكل ثمنها ، وحاملها ، والمحمولة اليه ، وقال ان الله لمن أكل الرّبا ، وموكله كاتبه ، وشاهديه .

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) (١)

إيّاك أن تكون عشارا ، أو شاعرا ، أو شرطيا ، أو صاحب عرطبة وهي الطنبور وصاحب كرية ، وهي الطبل

ومن المعاصي الاخبار بالمقبيات على البت ، لغير نبي أو وصي نبي سواء كان بالتنجيم ، أو الكهانة ، أو القيافة ، أو الرمل ، أو غير ذلك ، والشعبدنة والسحر ، وفي الحديث إيّاكم وتعلّم النجوم إلّا ما يهتدى به في بر أو بحر ، فاتها تدعو إلى الكهانة ، ، والمنجم (٢) كالكاهن ، والكاهن كالساحر ، والساحر كالكاfer ، والكاfer في النار ، وفي آخر من تكهن أو تكهن له ، فقد برء من دين محمد (عليه السلام) .

والسّحر (٣) هو كلام ، أو كتابة أو رقية أو اقسام ، أو عزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير ، ومنه عقد الرجل عن زوجته ، وإلقاء البغضاء بينهما ، ومنه استخدام الملائكة والجن ، واستئزال الشياطين في كشف الغايبات وعلاج المصاب ، واستحضارهم ، وتلبسهم ببدن صبي أو امرأة ، وكشف الغائب على ذلك ، فتعلّم ذلك واشباهه حرام ، والتكسّب به سحت إلّا للتوقّي ، ودفع المتنبي ، ويجوز حله بالقرآن ، والاقسام ، أو مطلقا ، وفي الخبر (٤) : حل ولا تمعد ، ومنها الغضب لغير الله ، والحمية ، والعصيّة مع افعالها ،

(١) كما من نوف الكالى من على عليه السلام وقد نقلوا في الكتب الفقهية ايضا

(٢) كما في الوسائل من نضر بن قابوس وغيره .

(٣) هو عبارة الشهيد في الدروس .

(٤) كما عن الكالى في رواية عيسى بن السفى عن أبي عبد الله عليه السلام .

والتكبر ، والتجبر ، والاختيال في المشي ، والتفاخر حتى بالاولام ، والبذاء
والفحش ، والبغي وتزكية النفس ، والخرق والمراء ، والنميمة والاستماع إليها
واشاعة الفواحش في المؤمنين ، وتجسس عيوبهم ، والبهتان والسعاية ، والسباب
واللعن ، والطعن لغير مستحقتهما ، والمكر والخديعة ، والغدر والغش والتدليس
إلا ما استثنى والغصب والنهب وأكل ما حرّمه الشرع بل مطلق التصرف
المحرّم والذهاب بحقوق المسلمين ، والظلم و القساوة والجفاء ، وكل ما نهى
الله ورسوله عنه ، وترك الآداب والسنن النبوية بالمرّة ، واعانة الظالمين
والاعانة بالكفر ، والإثم ، هذه اصول الطاعات والمعاصي ، وإذا أراد التوبة
فليُنظر بالتأمّل في جميعها ، واحداً بعد واحد في ثلاثة امور :

الأول في انقسام هذه إلى الأعضاء ، فيكتب لكل عضو صحيفة لما يجب
عليه ، ولما يحرم ، وفي كلّ صفحة جدولين طويلين ، وفي ذيل كلّ جدول أيضاً
جدولين ، ثمّ يتفكّر أوقاته من بلوغه إلى حين التوبة تفصيلاً ، هل يجد فيها
اخلاقاً بالواجبات ، أو ابتلاء بالمحرّمات ، ثمّ ينظر هل من المحرّمات ما ارتكب
به أو من الواجبات ما اخلّ به ، يثبت كلامها في صحيفة ثمّ ينظر هل هو من حقوق
الله ، أو من حقوق الناس ، ويكتب كلامهما في جدول ، ثمّ ينظر في حقوق الله
هل له قضاء ، أو كفارة أولاً ، يشبّهه تفصيلاً في محله ، ثمّ إذا بالغ في تجسّس
حالاته ، وأوقاته أيّاماً بهذا المنوال ، فيثبت كلّ ذلك في محله ، ثمّ ينظر في
حقوق الناس هل له اداء ، وتبرئة أم ليس له إلا الاستغفار ، وهدية الأعمال
ثمّ يتجسّس ما جنّى في صغره في أموال الناس ، وثبت في ذمّته ضمان مالى
لمسلم ، أو ذمّيّ فيثبتها في صحيفة أخرى ، ثمّ يشتغل باستخلاص ذمّته ،
ويقتسل غسل التوبة ، ويذهب إلى موضع خال ، ويممل أولاً بما رواه السيد
في الإقبال عن رسول الله للمائب ، ثمّ يسجد على الأرض ، ولو كان جلوسه

على الرماد كان أولى ، يدعو الله باسمائه الحسنی ، و يكثر من ذكر أسمائه الجمالية ، ويختتمه بيا أرحم الراحمين سبعاً ، ثم يعترف بذنوبه ، و يعدها كلما أمكنه ، ثم يحمد الله على امهاله ، وفتح باب التوبة ، ثم يصلّي على محمد وآله و يبالغ فيها ، ثم يصلّي على جميع الأنبياء والمرسلين ، والملائكة أجمعين ، و جميع عباد الله الصالحين ، و جميع المؤمنين ، ثم يدعو لإمام زمانه حجة الله صاحب الزمان ، أرواح العالمين فداء بالفرج ، والعافية ، والنصر ، ثم يكشف عن رأسه ، ثم يحث التبرّاث عليه ، ويتمرّغ في التراب ، و يسكي بكاء الشكلي ، ويلج في الاستغفار ، ويقول : يا من أجاب لأبغض خلقه إبليس اجب لي في قبول توبتي ، و وفقني لاتمامه ، فإن الخير كلّه بيدك ، و أنت الفاعل لما تشاء ، و كيف تشاء : ثم يقول يا كريم العفو ، يا مبدل السيئات بالحسنات ، صلّ على محمد وآله ، و بدّل سيئاتي بأضعافها من الحسنات ، و يا قابل السحرة صلّ على محمد وآله ، و اقبلني ثم يقول : اللهم إن كنت قبلت مثلي فاقبلني يا قابل السحرة اقبلني اللهم و إن لم تكن قبلت إلى الآن مثلي ، فمن الآن اقبلني وأمثالي ، فليكن هذه أوّل ما ظهرت من وسعة رحمتك التي لم تظهر إلى الآن في الوجود ، فإن رحمتك وسعت كلّ شيء وانا شيء فامتعني رحمتك يا أرحم الراحمين ، ثم يكرّر هذا التفصيل ثلاثاً ، و يختم كلّ واحد منها بالعلوة ، و قول ما شاء الله لا قوة إلا بالله ، ثم يعزم على تركها فيما يأتي مستعيناً من الله ، و متوكّلاً عليه ، و يشرع في استكمالها على ما ذكرنا مبتدئاً بالأهمّ والأهمّ ، و ليحسن ظنه بقبول الله تعالى ، و ان يرى توبته نافعة يراقب في الوفاء بتوبته ، و ان اتفق إحياناً نقضها في بعض الامور ، فليعد إلى التوبة ، و يقرع على نفسه اخبار الرجاء ، و لا ييأس من روح الله و قبوله ، فما لم يسأم العبد من التوبة لا يمنع الله من المغفرة ، فإنّه هو التواب الرحيم ،

ويبالغ في الالاحاح والمسئلة بالمغفرة ، على قدر عظيمة الجنايات

وليتذكر توبة أبيه آدم ، وما روي أنه بكى مأني سنة .

وليتذكر ما روى من توبة داود عليه السلام ، حيث روى أنه سجد أربعين يوماً ، لم يرفع رأسه من السجدة حتى خرفت ركبته ، وجبهته ونبت حوله من دموع عينيه نبات ، واحرقه بنار نفسه ، حيث تأوه من شدة حزنه ، وكان بعد قبول توبته ينوح على نفسه ، ويبكي على خطيئته في البراري ، وروى أنه إذا أراد النياحة ، امر سليمان أن ينادى في الناس ، الامن أود ان يسمع نوح داود عليه السلام على نفسه ، فليات فيجتمع حوله من الناس ، والوحوش خلق كثير ، فيأخذ في ثناء الله تعالى ثم ذكر الجنة والنار ، ثم في أهوال يوم القيمة ، وفي النياحة على نفسه ، فيموت من الهوام والوحوش ، ومن الناس جمع كثير ، فيقول سليمان عليه السلام : يا أبتاه قد مزقت المستمعين كل ممزق ، فيأخذ في الدعاء ، فيبنا هو كذلك إذ نادى بعض العباد يا داود عجلت في طلب الجزاء على ربك ، فيخبر داود عليه السلام مغشياً عليه ، فيأخذ سليمان عليه السلام سريراً ، ويحمله عليه إلى داره ، وينادي المنادي في الناس : الامن كان له مع داود حميم أو قريب فليات بسرير ، ويحمل جنازته ، فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار ، فكانت المرأة تأني فتحمل قريبه ، و يقول : يا من قتله ذكر النار ، يامن قتله خوف النار ، وهكذا يكون حال من كان عارفاً بعظمة ربه ، مع ان خطاياهم عليهم السلام ماكانت من ذنب كذنوبنا ، فانهم معصومون عن ارتكاب الذنوب ، وخطاياهم ، انما كان ترك الاولى ، وليتأس بالشاب النبش ، ويذكر قصته على ^(١) ما رواه في الصافي عن المجالس عن عبدالرحمن بن غيم الدوسي قال دخل معاذ على رسول الله صلى الله عليه وآله با كياً ، فسلم فردّه ، ثم قال :

(١) سورة آل عمران الآية ١٣٥ نقلها قدس سره باختلاف يسير .

ما يبكيك يا معاذ ؟ فقال : يا رسول الله انّ بالباب شاباً طريّ الخد ، نقيّ اللون حسن الصورة يبكي على شبابه ، بكاء التكلّي على ولدها ، يريد الدخول فقال النبي ﷺ : ادخل على الشاب يا معاذ ، فادخله عليه فسلم فردّ ، ثم قال : ما يبكيك يا شاب ؟ قال : كيف لا أبكي ، وقد ركبّت ذنوباً ان أخذني الله ببعضها ادخلني نار جهنّم ، ولا أراني إلّا سيأخذني بها ، ولا يغفر لي ابداً فقال رسول الله ﷺ : هل اشركت بالله شيئاً ؟ قال : أعوذ بالله ان اشرك بربي شيئاً ، قال : أقتلت النفس التي حرم الله ؟

قال : لا ، فقال النبي ﷺ : يغفر الله لك ذنوبك ، وإن كانت مثل الأرضين السبع وبحارها ، ورمالها وأشجارها ، وما فيها من الخلق ، قال : فانتها أعظم من الأرضين السبع ، وبحارها ورمالها وأشجارها وما فيها من الخلق ، فقال النبي ﷺ : يغفر الله لك وإن كانت ذنوبك مثل السموات ، ونجومها ، ومثل العرش والكرسي ، قال : فانتها أعظم من ذلك ، قال : فنظر النبي ﷺ كهيئة الغضبان ، ثم قال : ويحك يا شاب ذنوبك أعظم أم ربك فخر الشاب بوجهه وهو يقول : سبحان ربي ما من شيء أعظم من ربي ، ربي أعظم يا نبي الله من كل عظيم ، فقال النبي ﷺ : فهل يغفر الذنب العظيم إلّا الرب العظيم قال الشاب : لا والله يا رسول الله ، ثم سكّ الشاب فقال النبي ﷺ : ويحك يا شاب لا تخبرني بذنوب واحد من ذنوبك ، قال : بلى اخبرك اني كنت انبش القبور سبع سنين ، اخرج الأموات واتزع الأكلان ، فماتت جارية من بعض بنات الأنصار ، فلمّا حملت إلى قبرها ودفنت وانصرفت عنها أهلها ، وحن عليها الليل ، أتيت قبرها ونبشتها ثم استخرجتها ، ونزعت ما كان عليها من أكفانها ، وتركتها مجرّدة ، على شفير القبر ، فمضيت منصرفاً فأتاني الشيطان فأقبل يزيّن لي ، ويقول : أما ترى بطنها وبياضها ، أما ترى وركها ، فلم

يُزَلُّ يَقُولُ لِي هَذَا حَتَّى رَجَعْتُ إِلَيْهَا ، وَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسِي حَتَّى جَامَعْتُهَا ، وَتَرَكَتُهَا
مَكَانَهَا فَإِذَا أَنَا بِصَوْتٍ مِنْ وَرَائِي يَقُولُ : يَا شَابِوَيْلُ لَكَ مِنْ دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ ،
وَيَوْمِ يَقْضِي لِي وَلَكَ كَمَا تَرَكَتَنِي عَرِيَانَةً فِي عَسَا كِرَامُوتِي ، وَنَزَعْتَنِي مِنْ
حَفَرَتِي ، وَسَلَبْتَنِي أَكْفَانِي ، وَتَرَكَتَنِي أَقُومَ جَنْباً إِلَى حِسَابِي ، فَوَيْلٌ لَشَبَابِكَ
مِنَ النَّارِ ، فَمَا أَظُنُّ إِنِّي أَشْمُ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ أَبَدًا ، فَمَا تَرَى لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : نَحَّ عَنِّي يَا فَاسِقُ ، إِنِّي أَخَافُ أَنْ احْتَرِقَ بِنَارِكَ ، فَمَا
أَقْرَبُكَ مِنَ النَّارِ ، ثُمَّ لَمْ يَزَلْ يَقُولُ وَيُشِيرُ إِلَيْهِ حَتَّى مَضَى مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، فَذَهَبَ
فَأَتَى الْمَدِينَةَ فَتَزَوَّدَ مِنْهَا ، ثُمَّ أَتَى بَعْضَ جِبَالِهَا ، فَتَعَبَّدَ فِيهَا ، وَلَبَسَ مَسْحَا ،
وَغُلَّ يَدَيْهِ جَمِيعاً إِلَى عُنُقِهِ ، وَنَادَى يَا رَبِّ هَذَا عَبْدُكَ يَهْلُولُ بَيْنَ يَدَيْكَ مَغْلُولٌ
يَا رَبِّ أَنْتَ الَّذِي خَلَقْتَنِي ، وَزَلَّ مَنِّي مَا تَعْلَمُ سَيِّدِي ، يَا رَبِّ أَصْبَحْتُ مِنَ
النَّادِمِينَ ، وَأَتَيْتُ نَبِيَّكَ تَائِباً ، فَطَرَدَنِي ، وَزَادَنِي خَوْفاً ، فَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ وَ
جَلَالِكَ ، بِعَظَمِ سُلْطَانِكَ إِنْ لَا تُخَيِّبَ رَجَائِي ، سَيِّدِي وَلَا تَبْطُلْ دَعَائِي ، وَلَا
تَقْطَعْنِي مِنْ رَحْمَتِكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ يَوْماً وَلَيْلَةً ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى
السَّمَاءِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ مَا فَعَلْتُ فِي حَاجَتِي إِنْ كُنْتُ اسْتَجَبْتَ وَغُفِرَتْ خَطِيئَتِي
فَاوْحَ إِلَى نَبِيِّكَ ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبْ دَعَائِي ، وَلَمْ تَغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي ، وَأُرِدْتُ
عُقُوبَتِي ، فَعَجِّلْ نَارَ مُحَرَّقِي ، أَوْ عِقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا تَهْلِكُنِي ، وَخَلِّصْنِي مِنْ
فَضِيحَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ « وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً وَظَلَمُوا
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ، وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَمْ يَصِرُوا
عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ، أُولَئِكَ جِزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ، وَجَنَّاتٌ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ » أَمَّاكَ عَبْدِي يَا مُحَمَّدُ تَائِباً ،
فَطَرَدْتَهُ فَأَيْنَ يَذْهَبُ ، وَإِلَى مَنْ يَقْصِدُ ، وَمَنْ يَسْأَلُ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ ذَنْبَهُ ، وَلَمَّا نَزَلَ

الآية كان يتلوها النبي ﷺ ، وتبسم فقال لأصحابه : من بدلنا على ذلك الشاب قال معاذ : يا رسول الله بلغنا أنه في موضع كذا وكذا ، فمضى رسول الله صلى الله عليه وآله بأصحابه ، حتى انتهوا إلى ذلك الجبل فصعدوا إليه يطلبونه ، فإذا هم بالشاب قائم بين الصخرتين ، مغلوله يده إلى عنقه ، قد اسود وجهه ، وتساقطت اشغاره من البكاء ، ويقول سيدي قد أحسنت خلقي ، وأحسنيت صورتي ، فليت شعري ماذا تريد بي في النار ، تحرقني أو في جوارك تسكنني ، اللهم أنك قد أكثر الإحسان إلي ، فأنتعت علي فليت شعري فماذا يكون آخر أمري إلى الجنة ترقيني أم إلى النار تسوقني ، اللهم أن خطيئتي أعظم من السموات والأرض ، ومن كرسيك الواسع وعرشك العظيم فليت شعري تغفر خطيئتي ، أم تفضخني بها يوم القيامة ، فلم يزل يقول نحو هذا ، وهو يحث التراب على رأسه ، وقد أحاطت به السباع ، وصفت فوقه الطير ، وهم يبكون لبكائه ، فدنى رسول الله فأطلق يديه من عنقه ، ونفض التراب عن رأسه ، وقال : ابشر ، فأتاك عتيق الله من النار ، ثم قال : لأصحابه هكذا تداركوا الذنوب ، كما تداركها بهلول ، ثم تلا عليه ما أنزل الله عز وجل فيه ، وبشروه بالجنة .

خاتمة أعلم أن الذي يفهم من اخبارنا ، أن الكون^(١) على الطهارة مستحب في جميع الأوقات ، لا سيما لطالبي العلم فإذا كان الأمر على ذلك فلا وجه للاحتياط في الوضوء لتحصيل الطهارة قبل الوقت ، وإن كان غرضه من هذا التحصيل أن يصلي بهذه الطهارة صلواته في الوقت ، لأن الداعي^(٢) كذا في الوسائل في حديث أنس « وان استطعت أن تكون بالليل والنهار على طهارة فافعل »

وكما في الحديث الاثنى العروى عن ارشاد الديلمي ، و رايته مروياً في كتب العامة أيضاً ، « من اجدت ولم يتوضأ فقد جفاني الحديث » نقله ملخصاً قدس روحه

الأول أمر راجح مطلوب شرعاً ، وإن كان الداعي لهذا الداعي أمراً غير قربي وظنني أن هذه الاحتياط على إطلاقه ليس براجح ، حيث أنه كثيراً ما يؤدي في الأسفار إلى الصلوة بالتيمم ، وإلى ترك الكون على الطهارة ، وورد في الاخبار حيث أكيد على الكون على الطهارة ، مثل ما ورد : أن من أحدث ولم يتوضأ جفاني ، ومن توضأ ولم يصل ركعتين فقد جفاني ، ومن صلى هاتين الركعتين ، ولم يدع عقبيها فقد جفاني ، ومن يتوضأ وصلى ودعى عقبيها ، ولم استجب له دعائه فقد جفوه ، ولست برب جاف ، ثم أنه كان بعض مشايخي ^(١) قدس الله سره ، وجزاه عنسي خير جزاء المعلمين المطربين ، كان يوضيئني بالعمل بمضمون هذه الرواية ، ويقول اسجدوا بعد هاتين الركعتين وادعوا الله في السجدة أن يرزقكم معرفته ومحبته .

فصل يجب الوضوء ^(٢) للصلوة الواجبة ، والمندوبة ، والطواف الواجب ، وليس كتابة القرآن ، والأحوط تركه لمس جلده وورقه ، و أسماء الله ، و أسماء المعصومين ، وكتابة القرآن ، ويستحب للكون على الطهارة ، وللطواف المندوب ، أو شيء مما لا يشرط فيه الطهور من مناسك الحج ولدخول المسجد ، وللتأهب للصلوة الفريضة قبل دخول الوقت ، وقراءة القرآن ، ولطلب الحاجة ، وللنوم ، وجماع المرأة الحامل ، ولدخول على الأهل من السفر ، و للصلوة الجنائزة ، ولادخال الميت على قبره ، وللمتطهر إذا مضى

(١) وهذا ولاية في المرغان ، والزهد والتقوى ، الاخوت المولى حسينقلی الهمداني رضوان الله عليه قدمنا ترجمته فراجع .

(٢) كل ذلك المذكور في كتب الفقه والروايات ، فراجع إليها ، وقد اوجب العامة الوضوء في مثل الرعاف والقي ، والتقبيل ومس الفرج والذكر ، وانتعيل المبرج للدم بل لكل خروج الدم وغير ذلك ، ولا حاجة لإطالة الكلام ونقل الاخبار في ذلك .

من طهارته مدةً يصحّ بها اطلاق التحديد به ، وللمحدث بالعرفان والقيء ،
والتقييل بشهوة ، ومسّ الفرج ، وبما خرج من الذكر بعد الاستبراء ، وإذا
توضّأ قبل الاستنجاء والتخليل^(١) المخرج للدم مع كراهية الطبع ابتداءً ، والمذي
وانشاء الشعر الباطل زيادةً على أربعة آيات ، والكذب والغيبة والظلم
والاكل الجنب ، ونومه وجماعه ، وتقسيله الميت ، ولغاسل الميت إذا أراد
الجماع قبل الغسل ، وللحايض إذا أرادت الذكر وقت صلواتها .

فصل في الغسل حكمته وجوباً وندباً وحكمة الوضوء ، وعبره مثل عبره
و يزاد في عبره ان يعتبر الإنسان من وجوب غسل تمام البدن فيه ، ان
التطهير بقدر الكثافة ، فإذا يعرف تكليفه في تطهير قلبه ، وروحه ، و سرّه
عن كل ما يندسها ، بالجملة يستحب فيها التسمية ، والدعاء بالمأثور في اثنائيه
بقوله : اللهم طهر قلبي ، و اشرح لي صدري ، واجر على لساني مدحتك ،
والثناء عليك اللهم اجعله لي طهوراً وشفاءً ، ونوراً أنك على كل شيء قدير
وبعد الفراغ بقوله : اللهم^(٢) طهر قلبي وزك عملي ، وقبّل سمعي ، واجعل
ما عندك خيراً لي ، اللهم اجعلني من التوابين ، واجعلني من المتطهرين
وروي غير ذلك ، وهذه الأذكار كما ترى شاهدة على أنّ الغرض الأصلي ،
والمقصود الأهم ، طهارة القلب ، و شرح الصدر وهو على ما روي عن النبي
نور يقدف في القلب ، فينشرح منه الصدر ، وعلامته التجافي عن دار الفرو ،
والانابة إلى دار الخلود ، والمراد منه على ما يراه بعض أهل التحقيق نور معرفة
النفس ، وهو ان يرى حقيقة نفسه ، بلا صورة ولا مادة نوراً ذات حياة وعلم ، وهو
النور الذي اشير إليه في آخره ناجاة شهر شعبان : والحقني بنور عزك الأبهج

(١) أي تخليل الاستئذان مع خروج الدم وكراهته خروجه .

(٢) كما في رواية علي بن الحكم ورواه في الوسائل .

فأكون لك عارفاً كما ذكره بعض المشايخ ، و بالجملة إذا أعطى العبد نور معرفة النفس الذي به يمكن الوصول إلى معرفة الرب ، يرى بهذا النور ملكوت هذه العوالم المحسوسة للناس ، فيكون انساناً ملكوتياً ، و يدخل في دار الخلود لقلبه روحانيته ، وهذا هو المراد من الانابة إلى دار الخلود ، وكيف كان و كما ان طهارة الجوارح يرفع الموانع من دخول المسجد والعقولة ، كذلك طهارة السر عن مقتضيات هذا العالم المحسوس ، عالم الطبيعة المظلمة يرفع الموانع عن الانابة إلى دار الخلود ، أى إلى دار السلام ، و دار الحيوان ، و جوار الله ، و بدخول هذه الدار يقرب العبد من الله ، و يحصل له المعرفة الكشفية ، فيكون ماعند الله خيراً مما عنده ، وعند الناس ، و يرى هذا العالم عالم الضرور .

و يستحب الغسل في مواضع يذكر في الفقه لا يهملنا ذكرها ، إلا ما ذكر بمقتضى من انه يستحب لكل مشهد ، و مكان شريف ، و لكل يوم و ليلة شريفة ، و عند كل فعل يتقرب به إلى الله ، و يلجأ فيه إليه ، و لا بأس بذلك برجاء المحبوبة ، كما يستشعر ذلك من تضعيف الاخبار ، و من خصوص بعضها .

مثل ما رواه في العلل عن الرضا عليه السلام في غلة غسل الجمعة و العيدين ، و غير ذلك من الأغسال لما فيه ، من تعظيم العبد ربه و استقباله الكريم الجليل ، و طلب المغفرة لذنوبه ، إلى أن قال : و جعل في ذلك الغسل تعظيماً لذلك اليوم على سائر الأيام ، و زيادة في النوافل والعبادة ، و هذه الرواية تشعر بل تشهد على ما ذكر ، وهذا البعض الاسكافي^(١) ، وكيف كان

(١) هو محمد بن أحمد بن الحسين ، من اكابر علماء الشيعة الامانية ، متكلم ،

فقيه ، محدث ، اديب ، واسع العلم صنف في الفقه والكلام ، و الاصول ، و الادب

لا بأس بالآتيان به في هذه المقامات برجاء المحبوبة ، هذا و يعلم بعض ما يلزم فيه من المرافقات مما أشرنا إليه ، ونزيد في ذلك لبيان عبرة لترتيبه يأتي في الوضوء أيضاً ، وهو أن الإنسان إذا التفت لعدم أعمال الشارع لترتيب غسل الأعضاء في الوضوء والغسل ، علم من ذلك عزة الحكمة الإلهية . وأن لها في كل شيء مجرى ، وحكما في أهمية امر المراقبة في جزئيات حر كاته وسكناته ، وإذا اهتم بذلك وعمل بما علمه من وجوه الحكمة في الأفعال ، يورثه الله علم ما لا يعلم من الحكمة ، ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وإذا تعمق في ذلك ، ورأى أن تقديم الرجل مثلاً على الرأس خلاف الحكمة ، فيرضى بما يفعله الحكيم تعالى في جميع ما يحكم به ، ويرى أن سخطه على ما لا يوافق هواه من احكام الحكيم تعالى من قصصه ، واعوجاجه وإلا فلا اشكال في حسن الحكمة وكمالها .

فصل في الحمائم ، عن ^(٢) أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : نعم البيت الحمائم يذكر الذار ، وبذهب بالدرن ، وفي الرواية مع وجازتها اشارات لطيفة إلى مطالب جليلة ، ومهمات عظيمة .

منها أنه قدم ذكر النار على زهاب الدرن ، وفيه تأديب للمؤمنين في تقديم ذكر الآخرة على الدنيا ، ولو في الأمور الدنيوية ، وكان هذا دأبه عليه السلام في جميع اموره وأحواله بل وكان امره أعلى من ذلك ، وهو أن كل امرين وردا عليه وتساوى فيهما جهة رضا الرب تعالى من جميع الجهات ، كان ينظر في أن اسمها اشد على النفس ، أو

وغيرها تبلغ مصنفاته خمسين كتاباً ، والإسكافي منسوب إلى الإسكاف من نواحي النهروان بين بغداد وواسط ، قيل مات بالرى سنة ٣٨٠
ويطلق الإسكافي أيضاً على الشيخ أبي علي محمد بن أبي بكر ، همام بن سهيل ابن بيزان المعاصر للشيخ الكليني توفي سنة ٣٣٢ ، وعلى أبي جعفر محمد بن هبة الله المتوفى سنة ٢٤٠ .

(٢) كما في رواية محمد بن أسلم ، رابع في الوسائل .

على صاحبه ، و يمكن ان يكون تقديم ذكر الله في جميع الأشياء احد معاني قوله عليه السلام انه ما نظرت إلى شيء إلا ورأيت الله قبله ، وبعده ومعه ، هذا و إن كان له معنى آخر على ما قدم ، وهو الأصل ، ولكنه لا ينافيه كون ذلك أيضاً في مرتبة من معانيه ، هذا وكان لنا شيخ^(١) له أصحاب من أهل التقوى وكان من جملتهم سيد^(٢) من سادة بلدة همدان ، وكان شاباً حسن السيرة بالقطرة ، مراقباً مجاهداً مستقيماً يشتغل لتحصيل الفقه ، و تزكية النفس في خدمة الشيخ فاتفق يوم ان شكى من أهل بلده من بعض اخوان هذا السيد إلى الشيخ ، بانه قصر في أمر من الامور المتعلقة بالتجارة ، وامر الشيخ السيد ان يكتب في ذلك كتاباً لأخيه ، فكتبه وجاء به إلى الشيخ لينظر كيف كتبه وإذا فتح الشيخ كتابه ، وإذا في الكتاب ملامة لأخيه من سوء معاملته ، وإن أمثال ذلك يضره في اعتباره عند الناس في كسبه ، وإنه يضره في آخرته ، ولما رأى الشيخ كتابه ، وانه قدم الضرر الديوي على الضرر الاخرى ، قال : هذا الكتاب يشبه كتاب الغافلين ، فإن المراقب لا يقدم ذكر الدنيا على الآخرة .

ومنها ان الحسام يذكر النار للمراقبين ، فمن لم يتذكر النار في الحسام ، فهو من الغافلين ، ووجه ذلك ان المؤمن من جهة ايمانه باليوم الآخر لا بد له ان يكون دائماً خائفاً من النار ، حتى يجوز على الصراط ويأمن منها ، والخائف من شيء هائل منتظر ، انما يتذكر بروية كل ما

(١) وهو الشيخ الجليل الاخوند ملا حسين قلي الهدائي قدس روحه ، قدمنا ترجمته فراجع .

(٢) ولعله السيد علي الهدائي على ما ذكره انه من تلاميذ الشيخ قدس فراجع اعلام الشيعة للشيخ آقا بزرگ الطهراني دام بقاءه ، وذكرنا في ترجمته ايضاً

يشبه ما يخافه ، والحمام اتسا يشبه في بعض الوجوه بجهنم ، لأن النار من تحت ، والظلمة من فوق ، وهو ماء حار .

ومنها الإشارة إلى أن المؤمن اتسا يلزمه ان يكون متذكراً في كل ما يراه ، ما يناسبه من امر آخرته ، فإن الحمام لا خصوصية له من هذه الجهة ، فالحكم عام فينبغي للمؤمن العاقل أن يكون له فيما يراه من جزئي أو كلي عبرة ، وموعظة فاذا نظر الى النار ، يتذكر منها نار جهنم وإلى الظلمة ذكر ظلمة القبر ، وان استوحش من شيء ذكر وحشة القبر ، وإن رأى شيئاً بالياً ذكر منه بلائه . وهكذا .

ومنها ان النظافة حتى نظافة البدن امر مرغوب ، ثم انه ^(١) يستحب ان يقول الإنسان إذا دخل في البيت الثالث ، نعوذ بالله من النار ، ونسئله الجنة إلى أن يخرج منها .

فصل في التنوير ، ورد في الحث عليه اخبار كثيرة ، وفي الزجر ^(٢) عن تركه وتأخيره عن شهر أمر عظيم ، وللمراقب في امره عبرة شريفة ، وهي ان هذه الشريعة لم يهمل الإنسان من العمل بالحكمة في أمر اشعار معدودة على اسافل اعضائه ، وزجر عن عدم ازالتها بالتأكيد كيف يجوز ان يهمل هذا الحكيم الانسان في اصلاح صفات قلبه ، التي بها تميزه عن ساير الحيوان وينله إلى الدرجات العلى مع العليين ، وتشبهه بالملائكة العالمين ، وأيضاً يجب على المؤمن باحكام هذه الشريعة ، إذا رأى ما روى في رواية التنوير ان من تركها شهراً لم تقبل صلوته ، ان يعتبر من ذلك في الجد للعمل

(١) كما في رواية محمد بن حمران رواه في الوسائل .

(٢) كما في الوسائل « باب استعجاب النوبة و ان قرب العهد به » و باب لا اطلاع في كل خمسة عشر يوماً .

بجزئيات احكام الشرع ، ولا يستحق شيئاً من جزئياتها ، ويستحب لمن تنور ان يدعو بهذا ^(١) الدعاء : اللهم طيب ما طهر مني ، وطهر ما طاب مني ، وابذلني شعراً طاهراً لا يعصيك ، اللهم انني تطهرت ابتغاء سنة المسلمين ، وابتغاء رضوانك ومعرفتك ، فحرم شعري وبشري على النار ، و طهر خلقي ، و طيب خلقي وزك عملي واجعلني ممن يلقاك على الحنيفة السمحة ، مكة إبراهيم ، ودين محمد حبيبك ، ورسولك عاملاً بشرايعك ، تابعاً لسنة نبيك ﷺ ، آخذاً به متأدياً بحسن تأديتك ، وتأديب رسولك ﷺ وتأديب أوليائك الذين أدبتهم ^(٢) بأديك ، واوعت الحكمة في صدورهم ، وجعلتهم معادن لعلمك ، صلواتك عليهم ، فمن قرأه طهره الله من الادناس الدنيوية ، والصفات الرذيلة من الذنوب ، وبداه من كل شعر أزال من بدنه شعراً لا يعصى فيه ، ويخلق بعدد كل شعرة في بدنه ملكاً يسبح الله إلى يوم القيامة ، يسوي كل واحد من تسبيحهم الف تسبيح من تسبيحات أهل الارض ويلحق بالنورة ازالة شعر الابط ، وفيه أيضاً تأكيد شديد ، ويستحب ازالة سائر شعور بدنه غير المنشأة منها ، ويستحب لمن تنور ان يتحنن ^(٣) موضع التنوير كله ، بل سائر جسده من الفرق إلى القدم ، كما يجب على من تخلى من الرذائل ، ان يتحلى بالفضائل :

فصل في تقليم الأظفار ، والعبرة في ذلك ان يعلم المراقب ان ايداء الغير ، والظلم والتشبه بالسباع ممقوت عند الله ، بحيث لم يرض بما هو من

(١) كما في الوسائل من سدير انه سمع على بن الحسين عليهما السلام يقول :

من قال اذا طلى بالنودة ، اللهم طيب الدعاء .

(٢) في نسخة الوسائل : غدتهم بأديك .

(٣) اي طلى الدعاء والغضاب به ، كما في الوسائل من محمد بن يعقوب ره .

آلتها في بدن الانسان ، فأمر بتقليم الأظفار ، ويكشف عن ذلك قوله تعالى في مواضع ^(١) عيسى عليه السلام : « قل اظلمة بني إسرائيل قلموا أظفاركم من كسب الحرام ، واصموا اسماعكم من ذكر الخناء ^(٢) واقبلوا بقلوبكم ، فانني لست أريد صوركم ، فعلم من ذلك ان المراد الأصلي من هذه الاحكام الصورية ، هو اصلاح القلوب بصفة العدل ، ليصلح لخلافة العدل الحكيم تعالى ، و يعلم من ذلك عناية الله في حق هذه الأمة المرحومة ببيان هذه الهيئات ، و يعلم هذه المراتب من حكمة الظاهر والباطن ، و منته عليه حيث جاء من الله بهذه الشريعة الكاملة التي لم يترك فيها شيء . أيسر مما يقرب ^(٣) من الله تعالى ، وما يبعد عنه حتى ارض الخدش ، ويتفطن من ذلك أن شريعته هو الصراط المستقيم ، الذي هو أقرب الطرق إلى الله على التحقيق لا المجاز .

فصل في أخذ الشارب و إعفاء اللحي للعبد المراقب ان يتفطن من هذا الحكم عناية الله في حق عباده ، بعدم رضاه ان يكون على صورة اعدائه فان ذلك غاية للاعتناء بالعبد من المولى ، و أن يتفطن بخطر مخالفة هذا السيد البر الودود ، و كيف يبدل مقام التكريم ، والتشريف والود والعطف على الفذل والهوان ، والبغض والعدوان ، حتى يكون التشبه به في الصورة أيضاً حراماً ، وبالعجلة ورد في الحديث القدسي ^(٤) « إن الله أرحى إلى بعض أنبيائه قل للمؤمنين لا تلبسوا ملابس اعدائي ، ولا تطعموا مطاعم اعدائي ، ولا

(١) كما في البحار ج ٥ في مواضع عيسى عليه السلام نقل عن الكافي والإمامي .

(٢) الخناء ، الفحش .

(٣) كما في خطبة حجة الوداع للنبي ص .

(٤) كما في الوسائل من الكافي بإسناده عن اسماعيل بن مسلم في باب كراهة

لبس السود .

تمسكوا بمسالك أعدائي ، فتكونوا أعدائي كما هم أعدائي .
أقول : فانظر يا مسكين ، ان سيدك انما خصتك واصطفاك لنفسه ،
وميزك عن أعدائه ، حتى في الصورة والهيئة ، بدناً ولباساً ، ومسكناً ونزهاً
عن التشبيه بهم ، حتى في الصورة والهيئة ، فان خالفته في هذا الحكم ، و
متنعت عن قبول هذه العناية ، وتلبست بعد ذلك بلباس أعدائه ، واخترت
التشبه ما ذا يحكم عقلك بهذه المخالفة من الجسارة والضحك ، هل هذه إلا
اظهار العناد برب البلاد والعباد ، وتفكر في هذه الجاهرة بالشقاق والعناد ،
بالنسبة إلى ملوك الدنيا وساداتها ، مثلاً اذا كان للسلطان لباس خاص بجنوده
ورعيته . ولعدوه أيضاً لباس مخصوص ، وأعطى السلطان خلعتة لواحد
منهم ، وقال اجعله لباساً لك على هيئة ألبة جنودى ، ورعيتى ، وحذر أن
يجعله على هيئة لباس أعدائه ، وخالف هذا وذلك ، وجعل خلعة السلطان ^{على}
هيئة لباس أعدائه ، ولبسه في حضوره ماذا يقول العقلاء لهذه المخالفة ، أيعده
معصية ، أم يقول انه معاندة ، واظهار شقاق وطغيان ؟ فاحذر من مثله في
امر ملك الملوك تعالى .

فصل في العطر ، روى في الكافي عن علي بن إبراهيم ، رفعه إلى
أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال : صلوة متطيب افضل من سبعين صلوة بغير
طيب ، وروى الصدوق باسناد عنه عليه السلام ، قال : لمفضل : ركعتان يصلحهما
متعطر افضل من سبعين ركعة يصلحهما غير متعطر ، ورواه في الخصال
أيضاً .

أقول لا يذهب عليك ان مثل هذه الرواية ، والفضل للطيب انما
هو من جهة شرف العقل ، لأن العطر يقوى الدماغ ، ويحفظه من الفساد
وفساده يفسد العقل ، والعقل أشرف اركان حقيقة الانسان ، و اشرف مراتبه

ومقاماته ، بل هو أشرف اجزاء العالمين كلها ، وجميع الخيرات منسوبة إليه ، كما ان جميع الشرور منشأ الجهل ، ولذا ورد الحث الأكيد ، و الترغيب لكلمة له دخل في تقويته ، ودفع الموزيات عنه ، وأيضاً العطر مثال المتحلى الذي هو شطر مقابل للمتخلى ، الذي يعبر عنه في الاخبار بنصف الايمان ، فيكون هذا أيضاً مثلاً بنصف الايمان ، فليتنظرن العاقل من امثال هذه الأحكام ، على درجة لطف الله جلّت آلائه ، واستحكام شريعة حضرت سيّد المرسلين ، انهم لم يهملوا امثال هذه الجزئيات من أسباب تقوية العقل الكاسب للايمان والتوحيد ، و الكمال ، والسعادة فيستحيى بعدهذا التفتن ، عن اهمال احكام هذا العقل ، وتضييع هذه الألفاظ الثمينة ، وكفران هذه النعم الجميلة الجليلة ، فليخاطب نفسه العواد للكفران ، والتعزم للخذلان ، ويقول : يا جاهل يا عدو نفسه إلى هذا التواني والكسل ؟ والاهمال والتضييع ، والتعزم من اللهلاك ؟ أما ترى ان الربّ الودود لك في مقام هذا اللطف اللطيف ، والذكر الشريف ، بأن جعل لك شريعة ، وأحكاماً ، وتعرّض فيها لهذه الجزئيات من جزائك ، و أرسل نبيّاً وأتزل كتاباً ، وجعل لذلك ملائكة ، وحفظة وأعواناً ، وجعل بتحصيل هذه الخيرات مثوبات جزيلة ، وأنت تضيعها كلها بالاهمال ،

فصل في التيسيم قال الله تعالى ^(١) : « وإن لم تجدوا ماءً فقيموا صعيداً طيباً » ،

أقول : ينبغي للعاقل ان يمعن النظر في أمثال هذه الأحكام التي لا سبيل للمعقول العامة إليها ، فان عقول العامة ترى الوضوء والغسل مناسبة بل لازمة للصلاة حيث يرى فيها التنظيف ، والتطهير ، ولا ترى للتيسيم ذلك ، بل ترى خلافه ، ولكن إذا أمعن النظر في قوله تعالى بعد آية التيسيم

«ما يريد الله ليحمل عليكم من حرج ، ولكن يريد ليطهركم » ان التراب أيضاً طهور ، كما قال رسول الله ﷺ : جعلت لى الأرض مسجداً ، و ترابها طهوراً ، ووجه كونه طهوراً لا يدرك إلا برؤية القذارات المعنوية ، وروح هذه القذارات الظاهرية ، و نور التواضع بمس التراب ، و مسحها على الأعضاء الشريفة ، فان المقصد الأصلي من الوضوء أيضاً تطهير الأرجاس المعنوية بمس الماء ، الذي هو مظهر أصل الحياة ، والعلم الذي به الاستخلاص من جميع الأوزار ، والأرجاس ومسه يؤثر في تطهير الظاهر والباطن ، و إذا قد اوضح فبدله ما يحصل منه تطهير الباطن ، وهو مس التراب الذي هو إشارة إلى الرجوع إلى حقيقته التي هي عدم محض ، وتواضع في الظاهر الذي هو فناء عن الانية ، فيحصل به ما يحصل بالماء والعلم من طهارة الباطن ، دون الظاهر ، ولأن مقصود الأهم امر الباطن ، فعند عدم الامكان اكتفى بطهارته التي هي العمدة ، دفعا للهرج ، ويمكن أن يقال ان هذا عادة الله في جميع مراتب تزكية النفس ، وتهذيب الأخلاق ، فان آخر المجاهدة ان يتواضع العبد من حوله وقوته ، ويرى الحول والقوة كله لله ، ولكن الخطب كله في صدق هذا الحال ، وعدم الغرور فيه ، و شاهد ان يكون هذا حاله بالنظر إلى الامور الدنيوية ، والأسباب الظاهرية أيضاً ، ولا يتمسك في جلب منافعه ، و دفع مضاره بالأسباب إلا من جهة أمر الله ، لا لاعتقاد انه ينفعه أو يضره .

فصل في اللباس ويقع الكلام فيه في امور :

الاول في معرفة انه تعالى انما كرم بني آدم به ، دون ساير أنواع الحيوانات ، وله شكر النعمة ، ولا اقل من أن لا يخالف العبد في كرامة الله من اللباس مراده ، فان المخالفة بنفس الكرامة اقبح لامحالة عند العقل ،

والمخالفة في اللباس يكون من وجوه :

الأول بأن تخالفه في ذاته بأن تجعله من المغصوب ، أو جنسه بأن يلبس الحرير أو الذهب مثلاً .

والثاني أن تخالفه في مقداره بالتبذير .

والثالث أن تخالفه في هيئته بالاطالة المنهية ، ونحوها أو بالتشبه بالنسوان ، أو بالتشبه بالكفار وظننى أن هذا أغلظ صور المخالفة ، وأقبحها على العاقل لأن التشبه بأعداء الله ، والتلبس بلباسهم في حضوره ، بعد نهيه بالخصوص ، كأنه مبارزة ، ومماندة له في حكم العقل ، لا سيما بعد ملاحظة ما ورد في الحديث القدسي ^(١) بهذا اللفظ : قل لعبادى : لا تلبسوا بلباس أعدائى ، ولا تشبهوا بأعدائى فتكونوا أعدائى ، ثم الله يزيد قبحاً ، ووخامة أن يكون ذلك في بلاد المسلمين ، لأنه يكون لا محالة مبغوضاً ^(٢) لهم ، ومنكرأ عندهم ، ومخالفاً لصورهم ، واللباس نفسه للستر ، والحفظ وكيفية ليس إلا للترتين للغير ، فالتلبس بلباس الكفار في بلاد المسلمين ، مع كونه منكراً عندهم ، لا يكون إلا من مناسبة ذاتية ، وإلا فالعرضيات هناك تقضى بتركه ، وذلك كتلبس بعض أهل زماننا بلباس الافرنج ، فانهم يتشبهون بالافرنج بقصد الوجه فيما يضرهم في دنياهم أيضاً ، بل وقد رأى أن بعضهم من جهة التشبه بهم ، يعالجون شعرهم الأسود بالدواء ليكون اصفر ، ويشبه الافرنج مع أن أهل الذوق اجتمعوا أن السواد في الشعر أجمل ، نعوذ بالله من الخذلان في الدنيا والآخرة .

(١) كما مر في الحديث القدسي المروى في الوسائل .

(٢) قد صار التلبس بلباس اعداء الدين في زماننا هذا عزة و فغاراً والتلبس

بلباس اهل الدين وشعار المسلمين عاراً وشاراً والى الله المشتكى .

ثم انّ الراجح في أمر اللباس، الاقتصاد لا الفاخر الأعلى، ولا الداني الأسفل بخلاف المأكل والمسكن، وغيرهما مما يعيش به الانسان من عروض الدنيا، لما في الأخبار في تعريف الشيعة، التعبير بقولهم ^(١) ~~فان~~ ما كولهم القوت، وملبسهم الاقتصاد، فان الشهرة باللباس مرغوب ^(٢) عنه، من كلا الطرفين، وربما يترجح أحد الطرفين بالعرض، هذا ويكره ^(٣) الصلوة في الثوب الذي فيه تماثيل، والخاتم الذي فيه صور، ولو كانت مستورة خفت الكراهة، ولو غيرت بقطع الرأس مثلاً انتفت، وكذا في الحديد إلا إذا كان مستوراً أحوال ضرورة، وقيل بالحرمة، وفي ثوب من لا يتوقى النجاسة ومن يستحل الميتة بالدبغ، والثوب الذي يلاصق وبر الأرنب، والثعالب، والسود إلا في الخف، والعمامة والكسا، والمشبع اللون والرقيق الغير الحاكي وفي السراويل وحده إلا أن يجعل على عاتقه شيئاً، ولو حبلاً، ومع الخضاب وإن كانت خرقه نظيفة، واللثام للرجل، وتخف حالة الركوب وقيل بالتحريم والنقاب للمرأة، وخلو جسدهن عن القلائد، وفي الخلاخل المطلوبة لهن، وظاهر القاضي التحريم، وقيل لله اختصاصها بالصلاة، واشتمال الصماء، وهو ان يدخل الثوب من تحت جناحه، ويجعله على منكب واحد، وقيل هو جعل وسط رداءه تحت إحدى أبطيه، وطرفيه على المنكب الآخر، والقميص الذي ليس عليه رداء للامام، والعمامة لاحنك لها، وإن كان الظاهر من أكثر الأخبار كراهتها مطلقاً، واستحباب التلحى، والشنك وهو ان يديره دوراً

(١) أي طرفي العلقان والعش، والفاخرة الثينة. كفاي الوسائل، فمن الكافي من أبي عبد الله عليه السلام قال: ان الله يبغض شهرة اللباس، وأبي سعيد عن الحسين عليه السلام قال: من لبس ثوباً يشهر كساه الله يوم القيامة ثوباً من النار.

(٢) كل ما ذكره قدس سره مذكور في الوسائل وممنون في الكتب الفقهاء فلا حاجة لنا الى نقل ذلك كله وإطالة الكلام فمن اراد فليراجع اليها:

منها تحت الحنك ، والابتدال وهو ان يجعل أحد طرفيها بين المنكبين من خلف ، أو خلف الأذن اليمنى ، والثاني في الصدر ، والجمع أولى بأن يجعل رأسها مسدولة خلف المنكب الأيمن ، ويدبرها على رأسه على ما يشاء ثم يدبرها دوزة تحت الحنك ، ويجعل آخرها مسدولاً على الصدر من طرف الأذن الأيسر ، ويكره أيضاً في القباء المشدود ، وظاهر المفيد التحريم ، وفيما يستر ظهر القدم ، ولا يستر شيئاً من الساق كالشمشك ، وعبر بعضهم بالجرمواق ، وهو معرب سرموزه وقال جماعة بتحريمه ، والنعل السندي ، وحرمه بعضهم كلها للنص ، إلا الثلاثة الأخيرة ، وفي استحباب لبس الفاخر في الصلوة ، لأن الله جميل يحب الجمال ، أو لبس الخشن أقوال مختلفة كظاهر الاخبار يمكن الجمع بأن يقال باستحباب كل منها أمّا الأول فلأن الله يحب الجمال ، و أمّا الثاني فيقصد التذلل والتواضع ، واحتمل بعض المحدثين حمل الثانية على التقية ولم يثبت ، وأمّا اسرارها فيكفي لمعرفة التدبير فيما قاله الصادق في مصباح الشريفة ، ازين اللباس للمؤمن لباس التقوى وانعمه الايمان ، قال الله تعالى : «لباس التقوى ذلك خير» ، وأمّا اللباس الظاهر فنعمته من الله يستر بها عورات بني آدم ، وهي كرامة أكرم الله بها ذرية آدم ما لم يكرم بها غيرهم ، وهي للمؤمنين إله لأداء ما افترض الله عليهم ، وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله ، بل يقربك من شكره وذكره وطاعته ، ولا يحملك إلى العجب والرياء ، والتزين والمفاخرة ، والخيلاء فانها من آفات الدين ، و مورثة القسوة في القلب ، وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله عليك ذنوبك برحمته ، والبس باطنك بالصدق ، كما البست ظاهرك بثوبك ، وليكن باطنك في ستر الرهبة ، وظاهرك في ستر الطاعة ، واعتبر بفضل الله عز وجل ، حيث خلق اسباب اللباس يستر بها العورات الطاهرة ، وفتح باب التوبة والافابة

ليستر بها عورات الباطن من الذنوب ، وأخلاق السوء ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه ، واشتغل بعيب نفسك واصفح عما لا يعينك حاله و أمره ، واحذر أن يفني همرك بعمل غيرك ، ويتجر برأس مالك غيرك ، وتهلك نفسك ، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله في العاجل ومادام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله ، فهو بمنزلة من الآفات ، خائف في بحر رحمة الله ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والعرفان ومادام ناسياً لذنوبه ، جاهلاً لميونه ، راجعاً إلى حوله وقوته ، لا يفلح إذا بدأ انتهى ، وللمؤمن في التدبر بإشارات هذا البيان المقدس الوافي مجال واسع ، ولا بأس بذكر ما يذكر ما يمكن أن يراد من بعض إشارات الإجمالية منها قوله عليه السلام وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله - اه .

أقول : هذه العبارة من جوامع الكلم ، الذي لا يبلغ على كنه ما فيه فطنة البشر ، وكلما يتفكر الإنسان فيه يزيده بالمعرفة بحسنه وكمال ، ومن جملة ما فيه مع وجازة اللفظ اشتماله بجميع مراتب الخير في أمر اللباس ، مع إشارة إلى علتها ، لأن اللباس إذا كان أجود كثيراً يشغل القلب بالرياء ، والعجب والتفاخر ، وحفظه ، وإذا كان أدون أكثر من حياء الشرعي ، وهو أيضاً يشغل القلب إما بالرياء أو بالخجل ، والتكلف بستر بعض نواقصه عن الأنظار ، ويلجأ الإنسان إلى أن يتحفظ من وخامة ما يؤثر في خلق العالم من حقارته ودنائه ، فإن في ذلك أيضاً وجوهاً للحكمة لا يعقلها ، ولا يصيب حقيقتها من دون شوائب الغرور ، إلا من أعطاه الله الحكمة لفضله العظيم ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم ، فإن الإنسان إذا لبس الأدون من اللباس ، يعامله الناس معاملة المجانين والأراذل ، وذلك قد يصير سبباً ، وهوناً للشيطان في بعض الأحوال ، فإن الجاه مقدار منه من

أسباب الآخرة ، ولكن الخطب كله انّ الجاه من جهة أنّه غذاء للروح وموافق لهوى النفس ، ولذّته روحانيّة فوق اللذّات الجسمانيّة ، يعنى حبّه قلب الانسان ، فيتمترّ في رعاية قدر الحاجة منه ، وإخلاص النية فيه ، فيحصل ما يضرّه ضرراً عظيماً ، فيتخيّل أنّه نافع ، ويعتقد أنّه يحصله الآخرة ، وهو يحصله للدنيا ، فهلك من حيث لا يشعر ، ويحسبه هيناً ، وهو عند الله عظيم ، والكلمة الجامعة تحفظ هذه الحدود الدالّة للمريد على السراط السوي والنمط الأوسط ، وجادة الاعتدال من طرفي التفريط والافراط ، هو ما عبّر عنه الامام عليه السلام من قوله : خير لباسك ما لا يشغلك من الله ، نفاسة أو رداثة وأمّا قوله : بل يقرّبك إلى الآخرة ، اشارة إلى تفصيل اصول ما يستحبّ رعايته في اللباس ،

وأمّا قوله : فلا يحملك آه ، فهو إشارة إلى وجوه الاشتغال عن الله إجمالاً ، ومن أراد تفصيلها فعليه ان يعمل بما القاه عليه السلام في هذا الباب (١) . من الأصول ، لينفجر على قلبه عيون الحكمة المودعة فيها .
وأمّا قوله : ولا تفضح أحداً حيث ستر الله عليك اعظم منه ، واشتغل بعبء نفسك ممّا لا يعينك حاله وأمره - اه .

أقول : هذا الأصل من أعظم اصول المجاهدة ، واسلمها وانفعها ، وفيه أيضاً اشارة إلى علّة الحكم ، فانّ الانسان إذا اشتغل بعبء نفسه ، وإصلاحه يكون ذلك شغلاً شاغلاً له عن الالتفات إلى الغير ، وتجنّس عيوبهم ، فتسلم من جميع آفات ايذاء الناس إذا غلبها ، وأمّا إذا غفل عن نفسه ، فتراه لا يسكت عن التمرّن من للغير ، والاشتغال بتتبع عثرات الناس ، ويدخل تحت قوله عليه السلام

(١) وهو الباب السابع من مصباح الشريفة في آداب اللباس .

على ما رواه في الكافي ^(١) ، وغيره : يا معشر من أسلم بلسانه ولم يسلم قلبه لا تتبعوا عثرات المؤمنين ، وإذا أعان الله عبداً على نفسه ، يعرفه عيوب نفسه وآفات عمله ، ومداخل الشيطان ، فيشتغل بنفسه عن غيره ، حتى ينتهي أمره إلى أن لا يرى في الناس أحداً مثله ، في سوء الأعمال والأخلاق ، بل يعتقد في كل من رآه أنه اتقى منه ، وهذا الحال انتهى الحالات ، بل في بعض الأخبار أنه آخر الصفات الحسنة ، وهو تمام الأمر ، فإن اشكل عليك تصوير ذلك ، من جهة أن المؤمن كيف يطلع بكل من رآه من الناس وفيهم هؤلاء الفساق ، والفتار المعلنون بالكبائر أنه اتقى منه ، بل كيف يحتمله فضلا عن القطع .

أقول : وتصويره يظهر بعد التأمل في من غلب على قلبه شيء من الخوف والحب والشوق ، بحيث ملك قلبه ، وغلب على سره ، فظهرت آثاره في جوارحه وحبته ، فاتك براء يحكم بخلاف الحس ، أما سمعت المثل المعروف : أن الفهي لدغته الحية يخاف من الجبل ، مع قطعه بأن الجهل لا يضره ، وأما سمعت أن الذين غلب عليهم الشوق ، والمحبة ربما احرقوا بالنار ، ولم يجسوا بالاحراق ، من غلبة لذة الوصال ، فإن المؤمن إذا تجلى عليه عظمة مولاه ، ومراتب عطوفته ، وعنايته وعرف موقع جناياته ، وعصيانته مع هذا الملك العظيم الرؤف ، وعرف شيئاً من حكم عدله ، وجلاله ، قد يبهز الخوف عقله ، ويؤثر في قلبه ، ويغلب على حسه ، فيحكم بأن ما هو فيه من قبح المعصية ، لا يمكن أن يوجد في العالم مثله ، وقد يؤثر من جهة الحياة والعجل بازيد منه ، ومن جهة الحقوق والمحبة بأزيد منهما ، ففي كل هذه

(١) الكافي - باب من طلب عثرات المؤمنين وصوراتهم : من اسحاق بن عمار

عن أبي عبد الله ، وكذا من أبي جعفر عنه (ع) .

الأحوال ينتمى أمره ، بحيث يحكم بخلاف المحس فيقول ^(١) الناس انه خولط ، وما هو بذلك ، وقد خامرهم من عظمة ربهم ، وشدّة سلطانه ، فآذيت به عقولهم ، يقولون مرضى ، وما بالقوم من مرض ، أم خولطوا هل شملهم الخيل ، وهؤلاء الأولياء هم الذين لا يكون لهم ذكر ، وفكر وشغل سوى الله ، بل ولا هم ومقصود إلا رضا محبوبهم ، ولا يعتنون بشيء غيره من دنيا وآخره .

آنكس كه ترا شناخت جانرا چكند

فرزند و عيال و خاندانرا چكند

ديوانه كنى هر دو جهانش بخشى

ديوانه تو هر دو جهانرا چكند

اقول - فواسواتاه إنا لله ، وإنا إليه راجعون ، مما نحن فيه من الغفلة والعزّة في هذه الدنيا ، والأسف والحسرة في الآخرة ، فاتّما مصيبة عظيم رزئها ، وجلّ عقابها ، وبالجملة إذا كان المقصود الأقصى ، والهم الأسنى ان يكون العبد مشغولا بربه عن جميع من سواه ، وإن لم يقدر على ذلك ، فيما يمكنه من ذلك الأقرب فالأقرب ، لا يكون له حدّ في لباسه ، بل وفي ساير ما يتعلّق به ، إلا ما يليق بهذا المقصد ، لأنّه قد يختلف أحوال السالكين في ذلك ، بل و يختلف أحوال الأعصار ، والامصار ، فالكلمة الجامعة هو ما أشار إليه أوّلاً ، ثم تفصيله ما أشار إلى جملة إلى آخر كلامه ، وفي ذلك كفاية لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

فصل يستحب ^(٢) لمن يريد اللباس ، أو نزع التسمية وان يبدء عند

(١) كما روى في صفات المتقين فمن نهج البلاغة والكافي وغيره .

(٢) كما في الكتب الفقهية والسنن وكذا البسطة عند نزع اللباس مروي وانها أمان عن تصرف الجان . و اما عند لبسه فلم له لدليل عام وكذا ما أورده قدّمه مذكور في الوسائل وغيره ولم اجد قوله : وان يقول : لا تلبسوا الحق - اه

اللبس باليمين ، حتى في النعل ، وبالييسار عند النزاع فيه ، وإن يقول عند اللبس : ولا تلبسوا الحق بالباطل ، ولا تكتنوا الحق ، وأنتم تعلمون ، ويقول : اللهم البسني لباس التقوى ، وجنبني الردى ، وإن يقول بعده : الحمد لله الذي كساني ما أوارى به عورتي ، واتجمل به في الناس .

روى في الكافي في رواية ^(١) أمر أمير المؤمنين عليه السلام لمن كساه الله ثوباً جديداً الوضوء ، وصلاة ركعتين يقرأ فيهما أم الكتاب ، وآية الكرسي ، والتوحيد ، والقدر ، ثم يحمد الله الذي ستر عورته (وزينه خ ل) وجعله في الناس ، واكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنه لا يعصى الله فيه .

وروى ^(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام أن من قرأ القدر ثنتين وثلثين مرة في اثناء جديده ، ورش ثوبه الجديد إذا لبسه ، لم يزل يأكل في سعة ما بقي منه سلك .

وروى الشيخ صلوة ركعتين في المسجد بعد لبسه ، وقول الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما اتجمل به في الناس .
وروى غير ذلك أيضاً .

ثم أنه قد أشرنا فيما قد منا أن الأمر في اللباس من حيث الجودة ، والرذالة ليس مثل سائر أساس البيت ، والمأكل والمسكن ، وأما الذي يستتبط من كلامهم فيها ، فهو أن يتواضع بقدر الوسع ، والطاقة ، ولا يزيد ، فالأخبار الواردة في الجوع والتواضع لله في ترك لذائذ الأطعمة ، ودم بناء ما لا يسكن وحرمة البناء للفقر ، وترك الشرفة للبيوت ، ودم تشييد البناء وإعلائه ، ودم

(١) كما في الوسائل باب ما يستحب أن يعمل عند لبس الثوب الجديد .

(٢) كما في الوسائل عن الصدوق في الفصول وروى غير ذلك أيضاً في الوسائل وغيره لا حاجة إلى نقله .

التكاثر في اسباب الدنيا كثيرة فوق جد التواتر ، فمن ابتلى بمسئلة التجمل في الاسباب واساس البيت وسلك هذا الوادى قدما يوشك الشيطان ان يوقعه في مالا نجاة له منه ولا خلاص لان التجمل بالاعيان ، والعروض لاحدله ، لأن لكل يوم جمالا مخصوصا لا يكفى له الجميل السابق من الاسباب والذي كان في السابق يخلق وينكسر ، ويتجدد غيره ، فيصير بعد كونه جمالا محبوبا ، منفورا عند أهله وقوة حب الجاه الذي دعاه لذلك ، يستدعى في كل يوم زيادة على ماسبق ، ويقول هل مزيد والمصر في ذلك إنما يهلك من وجوه مختلفة ، يسرها والزرها الاشتغال عن ذكر الله تعالى ، ولذا ترى القرآن أكثره في مدحة الدنيا ، و الاشتغال بها ، والحث على الزهد فيها ، والرغبة في امر الآخرة ، وكفى من ذلك للمؤمن قوله تعالى : « من كان يريد الحياة الدنيا » .

فصل - في الاوقات ، اعلم ان الاوقات كالامكنة ، وسائر الموجودات منها سعيد ، ونحس ، وشريف ، وغير شريف ، بالجملة فلها احكام مختلفة تظهر فيما يوقع فيها من الأفعال بل وما يوجد فيها من الموجودات ، بمناسبات ذاتية حقيقية ، يعرف من انطباق العوالم وعرضيه اعتباراته يعرف من العلم بالحوادث الزمانية ، وحكم تأثير المجاورة ، و بالجملة لا يعرفها كلها إلا علام الغيوب ، أو من ارتضى من رسول أوولي ، وكيف كان فقد ورد في الشرايع لها احكام ، لاسيما شريعة نبينا الخاتم عليه السلام ، فقد ورد فيها احكام ، ونظايف مفصلة لسننها ، وشهورها واسابيعها ، وأيامها ، ولياليها وساعاتها ، ثم إنه قد ورد في أخبار كثيرة انه يؤتى بالاوقات يوم القيامة في صورة الاعيان ، بل في صورة الانسان ، وهكذا ورد في سائر الاعراض ، وهذا ينكره العقول الضعيفة ، ولكن على المؤمن ان لا ينكر شيئا من امثال ذلك ، بل يقول : هم اعلم بما قالوا ، ويستعين من الله الهادي ان يرزقه معرفته ، وأما تصوير امكان هذه الاخبار

فيعلم مما اسلفناه سابقا بان لكل موجود في كل عالم صورة متناسبة لذلك العالم ، ويشهد له تعبيرات المنامات ، فان من رأى في المنام انه ينظم الدر في جيد الخنازير ، قال له المعبر انك تعلم الحكمة للفاسق ، ومن رأى انه يختم افواه الناس وفروجهم ، قال : ذلك للمعبر ، واجابه المعبر بانك رجل تؤذن في شهر رمضان قبل الفجر ، وكان كما قاله ، فعلم من ذلك ان صورة الحكمة في عالم النوم الذي هو من العوالم المثالية ، صورة الدر في هذا العالم ، وهكذا الاذان الذي قبل الوقت فيه بصورة الغائم ، وهكذا بالجملة لكل معنى حقيقة صورتها وقاليا في كل عالم بحسبه ، وهكذا ، ولها آثار مختلفة باختلاف العوالم ، فان هذا العالم من جهة كونه عالم الطبيعة مظلمة ضيقة مبيّنة ، للحقايق فيه هذه الصور ، وهذه الاثار التي نراها بالعيان وفي عالم المثال مثلاً من جهة انه لامادة فيه ، بل الحقايق فيه مصورة ، و مقدرة بلامادة طبيعية ، آثاره غير آثار هذا العالم المادى ، ولذا ترى ان الانسان يطير في النوم ، يجوز عن الجدار .

وأما عالم العقلى ، من جهة انه دار الحيوان يكون جميع الحقايق فيه ذات حيات ، وشعور كما وردان السرير في الجنة يتنهج ، ويتحرك من سروره إذا جلس عليه المؤمن ، وكيف كان لوجه لاستبعاد احوال العوالم العالية في ميزان عالمنا هذا قال بعض من يدعى الكشف : ان كل ما في الروايات مما تمجده بحكم هذا العالم مجازاً كان له في عالم المثال حقيقة بلا توسع وتجوّز ، رأيناها فيها بعين هذه الصور المروية ، وقد ذكر والهدا العالم من الخواص ما لا يقبله عقول أكثر الناس ، واستشهد والها من الأخبار الواردة في حالات الكاملين وصفاتهم ، من قبيل قولهم ^{عليه السلام} كلنا نحمد ، وكلنا

واحد ، وأنه في شرب بعض انهار الجنة طعم كل مطعم (١) ، ومشروب ، يقولون : ان هذا من جهة ان موجودات هذا العالم كلها جنسية حاضرة عند كل واحد منها ، فان الانسان يجد في كل لحظة جميع اللذات الموجودة في كل شيء كل واحد بطعمه المخصوص ، ولذته الخاصة من غير بطلان للخصوصية ، يقولون اشياء غير هذا ، لاسيما لنا لردهم ، فنذرهم في بقعة الامكان ، بل نظن صدقه بتقريبات وتنبيهات ذوقية ، و اشارات و تلويحات عقلية ، حتى يرزقنا الله معرفته بالعيان من فضله و كرمه ، و بالجملة يجب على العاقل اذا عقل ، ان اللواقط والازمنة احكاما ، و اشارات ، وإن وقته في مدة عمره بمنزلة رأس مال خطير ، بحيث يمكن ان يتجر به في كل نفس منافع عظيمة ، وممالك كثيرة ، بل سلطنة دائمة ، بضن ان يتلف منه شيئاً بلافايده ، بل يجعله مكان هذه الأرباح الكثيرة الفاخرة ، سبباً للشقاوة الدائمة والخلود في العذاب الأليم .

ثم له أن يعتبر مما مضى من عمره ووقته ، لما يأتي في امور :
منها ان ماضى فنى بلذاتها والامها لم يبق لذته ولا الم بل يبقى تبعه واجر .

ومنها ان الباقي منه لا يصح الركون اليه ، حتى الى آخر يوم

(١) كما في العميون باسناده الى عبد السلام بن صالح الهروي ، قال قلت للرضا عليه السلام : يا ابن رسول الله اخبرني عن الشجرة التي اكل منها آدم و حواء ما كانت فقد اختلف الناس فيها ، فمنهم من يروي انها العنطة ، ومنهم من يروي انها العنب ، ومنهم من يروي انها شجرة العسد ، فقال (ع) : كل ذلك حق قلت فما معنى هذه الوجوه على اختلافها ، فقال : يا ابا الصلت شجرة الجنة تحمل انواعا ، وكانت شجرة العنطة وفيها عنب ، ليست كشجرة الدنيا الحديث اقول : وفي هذا الحديث اشارات لطيفة لا يسميها المقام .

وليلة ، فما لا يقدم هم مثل هذا الامر محتمل الوجود الهين البقاء ، وسريع الزوال على أمر قطعي الايمان ، والدائم العظيم الشأن .
ومنها ان السعادة والشقاوة ، واللذة والالم فيه انما هو بقضاء وقدر لا يسعى وعمل . ولا يتهيؤ اسباب ، وبين السعى والوصول ، والاسباب والمأمول عموم من وجه ، وإذا اعتبر بهذه الامور ، وعذّر به عند الهم بالامور المهمة وتفكر فيهما ، حتى أثر في قلبه ، لا يكون هم الدنيا عنده أكبر من هم الآخرة ليبتلئ بما يورثه ذلك من الامور الاربعة الموجودة لصاحبه ، كما على ما روى ان من أصبحوا كبر همته الدنيا فليس من الله في شيء ، والزم الله قلبه أربع خصال : هملاً لا ينقطع عنه ابداً ، وشغلاً لا يتفرغ عنه ابداً ، وفقراً لا ينال غناه ابداً ، واملاً لا يبلغ منتهاه ابداً .

فصل - في الاهتمام بالاقوات الشريفة وفيه امور :

الاول فيما يقع في كل سنة مرة .

والثاني فيما يقع في كل شهر مرة .

الثالث فيما يقع في كل اسبوع مرة .

والرابع ما يقع في كل يوم وليلة ، من الاعياد الشريفة ، وأيام المواليذ العزيزة ، وليالي القدر ، وأيام وقع فيه امر عظيم من الله بالنسبة إلى الخلق أما الاعياد ، فاللازم ان يعرف الانسان معنى العيد في الاقبال ، ومنها ان يفهم معنى العيد الموجود انه من مقامات السعود ، وانجاز الوعود ، واقبال الله على العبيد ، واحضارهم بين يدي مقدس سراق نكته المجيد ، واطلاق خلق الحب على القلب ، ونشر الوية القرب من الرب ، و اشراق شمس الاقبال على وجوه الامال ، وتباشير الاعمال والابتهاال بالقبول ، واجابة السؤال ، وتقديم الممالك ، والتمسك على الارائك ، وتسليم مفاتيح الرضا والرضوان ،

وسطر كتب الامن والامان ، ونهية ما يحتاج هذا العيد المسعود إليه في المنزل الذي يقدم عليه ، وبالجملة يوم العيد يوم اطلق الله فيه الاحسان والأنعام بكل : خامس وعام ، وهو يوم اظهار الجود والكرم ، وبذل الفضل والنعم ، ومن البين ان الجود والكرم من كل جواد بحسب جوده ويساره ، وبحسب قابلية العبد واستعداده ، وإذا كان الامر بهذا المنوال ، وبشر الوية الأنعام والافعال من الله الكريم المتعال ، فليأت كل بر وفاجر ، ومحسن ومسيء ، ولكن باعتراف وحياء ، وخجل ورجاء ، فانه لارد له البتة في مثل هذا اليوم عن جناب اللطف والاحسان ، من الملك المنان ، ولكن ذلك كله لمن اعتقد بالله وجوده ، ووعده ، ولكن الكافر والجاحد والآيس ، والمعاند لا حظ له بحكم العقل ، من شرب حياض الفضل ، بل مورده ومصدره من حياض العدل هذا فانظر كيف عكس الامر بين المسلمين ، فجمعوا يوم العيد عند اللّهُوات ، وشرب القهوة ، واللّعب واللّهُو ، والغفلة والسهو ، روى رئيس المحدثين في كتاب من لا يحضره الفقيه ، قال : نظر الحسن عليه السلام ^(١) الى الناس يوم الفطر ، يضحكون ويلعبون ، فقال لاصحابه ان الله عز وجل خلق شهر رمضان مضمارا لخلق ، يستبقون فيه بطاعته ورضوانه ، فسبق فيه قوم ففازوا ، وتخلّف آخرون فخابوا ، فالعجب كل العجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ، ويخسر فيه المفسدون وايم الله لو كشف الغطاء ، لشغل محسن باحسنه ، ومسيء باسائه ، وفي غيرها بزيادة عن ترجيل شعر ، وتصقيل ثوب .

(١) اقول روى هذا الخبر في الكافي في كتاب الصوم في باب النوادر من على عليه السلام ورأيت ايضا في غيره باختلاف في العبارة وكيف كان فحققة المطلب هو ما افاده قدم .

وكيف كان ، فليكن العبد لامحالة قبيل دخول العيد ، حاله كحال من ناداه منادى ملك ملوك الدنيا ، في معشر عام الى مجلس السلام ، والنخلع والانعام وله جنابات عظيمة ، وسوابق امور وخيمة ، فانه لامحالة يكون في قلق ، واضطراب بين الخوف والرّجاء ، ويكون لامحالة عليه أثر النّجس والحياء ، ويتفكر في أن يبدله عدة ينفعه في هذا المجلس العظيم ، وينظر هل يهّمه أن يكون مقامه في هذا المجلس مقام الاعزّة ، ولباسه من لباس شرفاء المعاصرين ويكون شمول الطاف هذا الملك عليه مثل الاقران ، او يرضي أن يكون رأسه مكشوفاً عن تاج كرامات الله وعورته مكشوفة عن ستر الله ، ومقامه مقام المقصّرين المستحقّين لاعراض الله ، ويتفكر في ذلك ساعة ، ثم يستعجل في ذلك بالعلاجات الفورية لاهل التقصير ، أو لا بالتوبة الحقيقية ، والالاباة الصادقة ، وان لم يقدر على ذلك ، ولم يعطه نفسه العواد للخبيثات ، الفرصة من الدّخول من باب التّوايين ، فلامحالة ترضيه الدّخول من باب الاستغفار ، بقدر الذّنوب والدّعاء بالغفو ، والقبول ، وتوفيق التوبة ، ويقول اللهم ان لم تسمح الامن اجازته برائة عمله ، فاني لمتمن لم تجب قبل القضاء ، واجابة المسئول ، وان لم تسمح نفسه بذلك ، يهنّعه طاعة الرّحمان أن يبالغ في الدّعاء ، والاستغفار فلامحالة ان يدخل من الباب الذي دخل منه ابليس ، وفرعون ، ولم يخيبهما ارحم الراحمين ، واجاب دعوتهما ، وهو باب عدم اليأس والقنوط ، فالاولى ان يقول يا من أجاب لا يفض خلقه ابليس ، حيث استنصره ، استجب لي كما استجبت له ، ويا من قضى حاجة فرعون اقضى حاجة هذا الفرعون الثّاني بل الاول ثم يحسن ظنّه على التحقيق بالاجابة ، والقبول ، وتبيل المراد والمأمول .

وتفكر فيما افاده السيّد الاجل ، معلّم أهل المراقبة السيّد بن طاوس في الاقبال ، بقوله : أيّها الاخ المقبل باقبال مولاه ليعلم كيف تحضر بين يديه

ارحم ضعف روحك ، ما قبل مشورة نصيحتك ، و فكر في تعظيم من هو مقبل عليك ، و طهر قلبك من الشواغل التي يحول بينك و بين احسانه اليك .
إلى أن قال : اعلم أن المتوجهين إلى الله في يوم الذي ، سماء جل جلاله عيد العبيد ، وانجاز الوعد ، وأمرهم بالخروج إليه ، والوفادة عليه ، فإن الناس المتوجهين فيه على اصناف : صنف خرجوا وقد شغلهم هيبة الله جل جلاله و جلاله عظمت ، وذهور العقول عن مقابلة حرمة ، واجابة دعوته ، حتى صاروا كما يصير من لم يحضر ابداً عند خليفته ، واستدعاء للحضور بين يدي عظمت الشريفة ، فانه يكون متردداً بين الحياء والخجالة للقاء تلك الجلالة ، وبين خوف سوء الأدب ، وبين أمواج العجز عن الجرئة بالخطاب ، والتماس الجواب ، وبين الفكر فيما ذاعساه يكون قد اطلع الخليفة عليه من أفعاله ، وسوء اعماله ، فيشغله هذه الشواغل ، عن بسط كف سؤاله ، واطلاق لسان حاله .

ثم ذكر الصنف الثاني ، وهم الذين تفكروا في نعمته تعالى من خلق السموات والارضين ، وما فيهما من ابتداء خلقهما ، وحفظهما ، وترتيبهما لاجل انعامهم ، ورزقهم ، وتربيتهم ، وبالجمله لوجوه جميع خيراتهم الدنيوية والدينية ، فاخجلهم ما مضى من انعامه ، وما حضر من اكرامه عن طلب شيء آخر ، ومن شريف مقامه .

و ذكر الثالث : وهم الذين تفكروا في خيانتهم لهذا الملك المنعم المتأن في نعمه ، و تضييعها بالخسران حقه ، فكساهم ذل الخيانة والأمانة عار الخجل والوجل ، حتى ما بقي بينهم فراغ لرجاء وأمل .
وذكر ^(١) الرابع ، وهم الذين على مراكب دالة باعمالهم في لباس

(١). هذا هو الصنف الثالث في كتاب الاقبال للسيه الاجل و الاصناف الذين ←

غفلتهم ، وجهالتهم في نعم خالقهم ، ورازقهم ، ومنن مولاهم وسيدهم ، مدة
مهرهم ، وزمان حياتهم ، من الانشاء والحفظ ، والبقاء ، ووجوه النعماء ، و
قال هؤلاء كالعريان ، وكالرضى .

وذكر الغفاس وهم الذين خرجوا ليطلبوا أجرة أعمالهم في شهر
رمضان ، ولشان خالهم طلب المحاسبة في معاملتهم مع ربهم ، فأجابهم لسان
حال عدله :

إذا كان كل منكم يطلب اجرة عمله ، فاذكروا افعالنا لاجلكم قبل
وجودكم ، وهذه حيوتكم من لدن أبيكم آدم ، وعملنا مع آبائكم ، وامهاتكم
وجبودكم ، فافكروا في اجرة كل من استخدمناه في مصلحتكم من الملائكة
و الأنبياء والمرسلين ، والملوك ، والساطين ، وغيرهم من جميع عبيدنا من
الماضين ، والحاضرين ، فانظروا مقدار الفاضل من اجرة أعمالنا ، فادّوه إلينا
ثم تمرضوا لسؤالنا ، حيث عدلتكم عن باب الاعتراف لنا بالفضل ، ووقفتم
على باب طلب الاجرة .

وذكر السادس وهم الذين عرفوا ان أعمالهم لا تقابل نعمه جلّت
آلاؤه ولم يطلبوا من باب الأجر شيئاً بل مدوا كف لسان الحال الذي كان
قبل الوجود أى لسان الفقر والاحتياج لطلب الكرم والجود المفضل .

وذكر السابع وهم الذين لبسوا لباس المعرفة بقدر المنّة عليه ، باقباله
تعالى عليهم ، وحضورهم للاحسان إليهم ، وليس بهم خاطر ولا ناظر يتردد منذ

ذكرهم السيد في الاقبال ستة على ما في النسخة التي عندي ولكن المؤلف قد عدا
سبعة مستنداً اليه . وضوان الله عليه ولعله من اختلاف النسخ وراجعت بعد كتابة هذا المقام
الى نسخة اخرى من كتاب الاقبال : فوجدته كما في البين من كونهم سبعة وذكر
قد مضى ما سرده السيد ره لا عين الناظر وربما نقل بعض عباراته وقد صححتنا
بعض الاغلاط الموجودة في النسخة المطبوعة وسأل الدعاء من الناظرين والقارئين .

نشروا إلى حيث حضروا في غير طرق الاعتراف بالمثلن لربهم جلّت آلاؤه ، ويتمنى
لسان حالهم ان لو كان لهم قدرة ان يكونون موجودين في الأزل ، ولا يزال
مع وجوده ، وكلّ منهم باذل غاية مجهوده في خدمة معبوده ، وشكر جوده
لرأى ذلك قاصراً عن مقصوده ، ولولا خوف المخالفة لما يراه ، لتمنى كلّ
منهم ألا يفارق باب الخدمة في دنياه و آخره .

أقول إنما اكتفى به بما ذكر ، واصناف الخارجين أكثر من أن
تحصى ، لأن مقصوده الإشارة إلى بيان ما هو الغالب على المتعبدين من
اصحاب اليمين من الأحوال ، والأوصاف والآفالسائرين إلى الله من أهل التوكل
والرضا والتسليم ، والشوق والمحبة ، والانس أيضاً لهم حالات سنّية غير ما
ذكر ، فإنّ من الشوق والمحبة من يحضر هذا المجلس ، وهو سكران من
وجد ما أصابه من لذة الدعوة والنداء ، ولا الالتفات له إلى العامل والعمل
والأجر ، وهو يلبي داعي المجلس لسروده وبهجته ، ويفديه لروحه و
بهجته .

ثمّ انه ذكر السيد كلاماً ، وذكر أجيالا للمتشرف باستقبال العيد ،
وهو قوله :

«اللهم إنّ الملوك والأمراء فدوهوا خلعاً بأماليكم وعبيدهم ، وجنودهم
ولو كان مماليتكم من الأغنياء ، والعبد المملوك رأسه مكشوف من عمام المراقبة
التي يليق بكم ، ومن ميازير الاخلاص التي تحبب لكم ، ومن سرّ الإقبال
عليكم ، ومن الخلع التي يصلح للحضور بين يديكم ، وثياب العبد المملوك خلقة
بيد الغفلات ، وداسة من وسخ الشهوات ، ولباس ستر عيوبه ممزّق بيد ايشاره
عليكم ، و مغفر غفران ذنوبه ، مكسّر بيد تهوينه بالاستغفار الذي يقرّ به
إليكم ، وعوراته مكشوفة وعشراته مخوفة ، فهو متهتك في هذا العيد السعيد

بسوء ملبوسه ، وخجلان خذلان من ثياب منحوسة ، فما انتم صانعون بمملوك يقول لسان حاله : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وأنتم علمتم المملوك مكارم الأخلاق ، وعنتكم ومنكم عرف ابتداء الخلع ، وإطلاق الأعناق ، والأرزاق وقد كان العبد المملوك لما ابتدئتم بإنشائه ، عرفتم ما يقع منه من سوء إيا به ووسعته حلمكم حتى خلغتم عليه خلع البقاء ، وخلع سلامة الأعضاء ، وخلع الشفاء من الأدواء ، وكسوتموه لحماً وجلداً ، وبالفتم معه انهماكاً ورغداً ، فبقي العبد المملوك عرياناً في حضرتكم ، فمن ذا يستره ويكسوه إذا رآه قد ضاقت عنه سعة رحمتكم ومن يؤويه أو ترضى عليه أى طريق تفتحكم فيا من خلع عليه وقد عرف ما ينتهى حاله إليه ، ورباه وغذاه وآواه ، فقد احاط علماً بجرأته عليه ، وما كان قد تشرّف بمعرفة مولاه ، ولا ارتضاء ان يخدعه في دنياه ، ارحم استغاثته بك ، واستكانته لك . واستجارته بظلك ، ووسيلته بفضلك إلى عدلك ، وأكسه من خلع المغو والففران ، والأمان والرضوان ، ما يكون ذكراً ، وشكرها ، وسرها منسوباً إلى رحمتك ، وجودك فقد انكسر قلبه ، وخجل واستحيى من وقوفه عرياناً في يوم عيدك ، مع كثرة من خلع عليه من عبيدك ووفودك ، وماله باب غيرك ، وهو عاجز عن عتابك ، فكيف يقوى على حرمانك وعقابك .

فصل قال ومن آداب العبد يوم العيد مع من يعتقد أنه إمامه وصاحب

هذا المقام المجيد (١)

فأقول : وأعلم أنه إذا كان يوم عيد الفطر ، فإن كان صاحب الحكم والأمر متصرفاً في ملكه ورعاياه على الوجه الذي أعطاه مولاه ، فليكن مهناه له بشرف أقبال الله تعالى عليه ، وتمام تمكينه من إحسانه ثم كن مهناً لنفسك

ولمن يعز عليك ، وللدنيا وأهلها ، وكل مسعود بامامته بوجوده وسموده ،
وهدايته وفوايد دولته ، وإن كان من يعتقد وجوب طاعته ممنوعاً من التصرف
في مقتضى رياسته ، فليكن عليك أتم المساوات والمواساة في الغضب مع الله
تعالى مولاك ومولاه والغضب والتأسف على ما فاتك من فضله ،

وروى ^(١) قول أبي جعفر للراوي يا عبدالله ما من عيد للمسلمين أضحي
ولا فطر إلا ويتجدد لآل محمد فيه حزن قال : قلت ولم قال لأنهم يرون حقهم
في يد غيرهم .

و أقول ^(٢) لو أنك استحضرت كيف كانت تكون اعلام الاسلام
بالعدل مشهورة ، واحكام الأنام بالفضل مشهورة ، والأموال في الله إلى سائر
عباده مبذولة ، والامال ضاحكة مستبشرة مقبولة ، والأمن شامل للقريب
والبعيد ، والنصر كامل للضعيف والذليل والوحيد ، والدنيا قد اشرفت بشعوس
سعودها ، وانبسطت يد الاقبال في اغوارها وتجودها ، فظهر من حكم الله جل
جلاله الباهر ، و سلطانه القاهر ما يبهج العقول والقلوب سروراً ، ويملاً
الآفاق ظهوراً ونوراً ، لكنك والله يا أخي قد تنغصت في عيدك الذي أنت
مسرور باقباله ، وعرفت ما فاتك من كرم الله وفضاله ، وكان البكاء والتلف
والتأسف اغلب عليك ، وألحق بك ، وأبلغ في الوفاء لمن يعز عليك ، وقد رفعت
بك الان ، ولم اشرح ما كان يمكن فيه اطلاق اللسان ، وهذا الذي ذكرناه
على سبيل التنبيه والاشارة ، لأن استيفاء شرح ما يريد يضيّق عنه مبسوط
العبارة ، اعلم ان الصفاء والوفاء لأصحاب الحقوق والتفريق والبعاد ، احسن

(١) أي وروى السيد باسناده الى جعفر بن بابويه من كتاب من لا يحضره الفقيه
ونجيه باسناده الى حنان بن سدير عن عبدالله بن دينار عن ابي جعفر عليه السلام انه
قال يا عبدالله ما من عيد - هـ -
(٢) أيضاً في كلام السيد ره .

من الصفاء والوفاء مع الحضور واجتماع الأجساد ، فليكن الصفاء والوفاء شعار قلبك ملولاك ، ، وربك القادر على تفريج كربك .

فصل - ومن مهمات الايام الشريفة ، ان يسلم المؤمن من امة نبينا على حصر يومه وليلته من ائمة الدين ، ويقول له بعد التحية والسلام يامولاي انت سيد كريم ، امام جواد عظيم ، تحب الضيافة ، و تكرم الضيف ومأمور من الله بالاجارة فاضفنى ، واجرمى وأنا اليوم ضيفك ، وجارك واجعل جزائي منك ان تدخلنى في همك وحزنك ، ودعائك ، وحمايتك ، وولايتك ، و شفاعتك ، وشيعتك وارغب إلى الله في ثوابى ، وخيرى ، وهدايتى وارشادى ، وتأيدى وتسديدى ، وتوفيقى ، وكل خيرلى ، وأهلى وإخوانى المؤمنين لدينى ودنياى وآخرتى ، وان يختم ليلتى ويومى ، وشهرى ، وسنتى ، وعمرى برضاه ، ويرضىنى عنه ، ويجعلنى معكم فى الدنيا والآخرة صلوات الله ، و سلامه عليكم أجمعين ، ويفعل ذلك فى أول ليلته وآخرها ، وأول يومه وآخره .

وأما تفصيل حصر الايام فالسبت لرسول الله ﷺ ، والاحد لامير المؤمنين عليه السلام والأثنين لامامين الحسنين ، والثلاثا للامام أبى محمد السجاد ، والامام أبى جعفر الباقر ، والامام أبى عبدالله الصادق ، و الاربعاء للامام أبى إبراهيم الكاظم ، والامام أبى الحسن الرضا ، والامام أبى جعفر الجواد عليه السلام والامام أبى الحسن الهادى عليه السلام ، والخميس للامام الزكى أبى محمد الحسن العسكرى والجمعة للامام الهمام نور الله التام ، فرج الله القريب ابوالقاسم ، الامام المهدي القائم صلوات الله ، وسلامه عليه ، وعلى آبائه الطاهرين ، و اولاده المنتجبين ، روحى وارواح العالمين فداء .

ومنها ليالى القدر ، وتبعتها النصف عن شعبان ورجب ، وأول رجب ،

ويلزم لدعى الإيمان بالله ورسوله ﷺ ، والقرآن العظيم ، ان يعامل معها ما يظهر منه آثار التصديق ، والإيمان ، ومن لوازم الإيمان أن يكون هم هذه الليلة في قلبه ، كهـم ألف ليلة ، وازيد لا تهـخير من ألف شهر ، وبتفكر في عظم هذه الليلة عند الله ، بان جعل للعبادة فيها أبواب من النور ، كنور عبادة ألف ليلة ، فيكون عظمتـه عنده أيضاً بهذا المقدار ، وإذا كان كذلك فلا بد له ان يعمل لها عدة قبل وقتها أيام سنته بالدعاء ، والانتظار ، ودفع الموانع ورفعها ، وتهيئة الاسباب ، حتى تهيأ غذاء مناسب ، ومكان مناسب ولباس مناسب ، ودعاء ، ومناجات وغير ذلك ، مما يكمل عبادته وخلوته ، ومناجاته مع الله ، ومن مهمات ذلك ما اسلفناه آنفاً من سلام حائه في حضرائه في الليلة ، وان يتوسل بهم في مهمات الليلة ، ويشفعهم في أن يقبله الله تعالى ، وعمله و توفيقه برضاه ، وجهه في جميع حالاته ، وأن يبقـيه له إلى يوم يلقاه سالماً ، من الافات ، ثم الاجتهاد بكل ما رآه أقرب إلى رضا سيده الكريم ، ويكون همه في جميع آنات ليله في مراقبة حضور مولاه ، وأن لا يغفل عنه في آن واحد ، ولو بالغذاء ، ولا ياكل ، ولا يشرب ولا ينقلب في شيء من اموره ، الا بقصد صحيح ونية مربة صادقة ، ويكثر من الدعاء ، واللطف مع مولاه المطوف الرؤف بمناجات لطيفة ، مهتجة مبكية ، ويكثر السجدة على التراب والصلوة على سيد المرسلين ، وآله الطيبين الطاهرين ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين ، والمؤمنين والدعاء لفرج حجة المعسر وحفظه ونصره ، و ان يرزقه الله رضاه ، ويهديه بهداه ، وتوفيقه لطاعته ، وله أن يعمل ببعض ما حكي عن المجاهدين ^(١) من شد الأيدي على الاعناق ، والضجعة في القبور ،

(١) مثل ما نقله قدم سابقا من الزاهد المأيد ، الحاج الاشرفي ره . و ذكرنا ترجمته رضوان الله عليه هناك فراجع .

وعرض النفس على النار ، وعدّ كثرة حلم الله عند جناياته العظيمة ، وذكر
حسن صنع الله به مع قبح معاملته معه ، وإن يكون كلّ لسان و مناجات
لارباب الأحوال أصلح ، وأسرع في اجلاب حاله وأكثر تأثيراً في رفته : و
هيجان احزانه واشواقه اثر عنده مما ليس كذلك ، وإن يكون في جميع حالاته
يحسن ظنه بعفو الله وحلمه ويهيل صفحه ، وكرم عفوّه ، وحسن تجاوزه و
وتبديله السيئات باضعافها من الحسنات ، وأن يكون دخوله في مناجاته
من كلّ باب انسب واليق بحاله ، وبما فيه من الوقت ، ويكثر من قول يامن
اجاب لافض خلقه ابليس ، يا من قبل السحرة بعدان اتواء معاجزين ، و
لرسوله محاسنين ، ومعاندين اقبلني ، ويقول : يامن قبل السحرة بموسى عليه السلام
وهرون عليهما السلام ، اقبلني بمحمد وعلي وآلهما الطاهرين ، وإن ينقلب من
حال إلى حال ، ومقال إلى مقال ، تارة يتشبه بالخائفين ، واخرى بالراجين
بل يتشبه بأهل الرضا والتمكين ، بل وأهل الشوق والأنس ، ويتفوّق
بمناجاتهم ومقالاتهم ، ولكن عليه أن يستلج في أن لا يتلى بكذب صريح ^(١)
ودعوى باطلة ، ويحتال في تصحيح المقال ، ولو بالتوسّع والمجاز ، وأن يدعو
الله عند طلب المقامات الرفيعة يا أجود الاجودين ، ويا أقدر الأقدارين ، و
إن يستدلّ ببعض استدلالات الأئمة عليهم السلام بقبول الله تعالى

وأما الأيتام المواليد الشريفة ، مثل مولد رسول الله صلى الله عليه وآله ، وسائر
المعصومين ، ويتبعه يوم البعثة الشريفة ، ويوم غدिर خم ، ويوم دحو الارض ،
ويوم المياهله فإنّ المؤمن بالله تعالى ، وبآلائه العظيمة يعظم عنده هذه

(١) مثل اظهار التوكل والرجاء او الغوف من جنبه عز وجل ، مع عدم تحقق
حقائق هذه الغصائل في قلبه ، واظهار التوبة والانتابة مع عدم الارتداع والانفلاق
عن المعاصي ، وعدم الرجوع اليه تعالى .

الافاق ، بقدر عظمتها عند ربّه ، ويشكر ربّه بقدر عظمتها انعامه في هذه المواقف مثلاً يتفكر في ليلة المولد الشريف فوائده وجود رسول الله ﷺ ، وأنه مظهر رحمة الله الواسعة على الخليقة أجمعين ، وإن الله تعالى بطفيل وجودهم أوجدنا ، وبهدايتهم هدايا ، ووضع عنا الاصر ، وخفف عنا في التكليف ، وأكرمنا بما أكرمنا وتقبل شفاعتنا فينا وأنه ﷺ تحمل في هدايتنا ما لم يتحمل نبي قط عن أمته ، ولم يدع علينا بعذاب حتى ساق الأمة الى طرق الهداية في المعارف الربانية ، وامن من الحكم وبين من المعارف ما لم يظهر من جميع الأنبياء ، والمرسلين .

وبالجملة صبر في تكميل هداية الأمة ، ونجاتهم واودى حتى قال صلى الله عليه وآله ما أودى نبي مثل ما أوديت ، حتى قتل أولاده وسببت بناته وهتك حرمة وذبح اطفاله ، حتى أنه مسمع بأهل بيت نبي بل ولا أحد في العالم ، فعل بهم من القتل والاسر والسلب مثل ما فعل بأهل بيت رسول الله ﷺ ، ومع ذلك صبر ولم يدع على أهل الأرض ببغاب ونكال ، بل دعى ربه وقال اللهم أهد قومي فانهم لا يعلمون ، فجزاه الله تعالى عن هذه الأمة ما يليق بجميل فعاله ، بل بكرم نواله .

وبالجملة إذا تفكر المؤمن في أيام مواليدهم وخلافتهم ، وعظيم نعم الله تعالى في هذه الافاق ، يرى ويعقل ما يجب عليه من شكر هذه النعمة العظيمة .

وكل ما ذكرناه من فوائده وجود رسول الله ﷺ يتلوه في جميع مراتبها بل يعدله فوائده خليفته ، وأخيه أمير المؤمنين عليه السلام الذي اخاه ، وفي العداية واساء (١) .

وقال من كنت مولا فهذا علي عليه السلام مولا ، وكذا سائر المعصومين / من أولادهما ، فانّ للمؤمن ان يفرح بفرحهم ويصلى عليهم ، ويحذو حذوهم ويهتدي بهداهم ، ويوالي من والاهم ، ويعادي من عاداهم ، ويشكر الله لاسيما في مثل هذه الايام بنعمة وجودهم بقدر القدرة والاستطاعة ، ويعلم انه لو ممر أبد الابدین ، ويسجد لشكر هذه النعمة ما اتى من حقها عشر عشر معشارها ، وان يظهر آثار الفرح ويكثر من التسحاب مع اوليائهم ، ويتخجب إليهم بما يبلغه مكنته وفطنته من واجب حقوق الموالات ، والاخوة في الولاية فانّ هذا باب عظيم من السعادة ، وفيه خير كثير ، ورد فيه اخبار متواترة فانه من أعظم شعب الايمان ، بل في بعض الاخبار ان الايمان ليس إلا الحب والبغض ، ولا باس بالاشارة لبعض ماورد في فضلها .

روى في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام قال قال ^(١) رسول الله صلی اللہ علیہ وسلم المتحابون في الله يوم القيامة على ارض زبرجدة خضراء في ظل عرشه عن يمينه وكلنا يديه يمين ، وجوههم اشدّ بياضا ، واضوء من الشمس الطالعة ، يغطهم بمنزلتهم كل ملك مقرب وكل نبي مرسل ، يقول الناس من هؤلاء ، يقا هؤلاء المتحابون في الله ، ووردان ^(٢) الحب في الله من اوثق عرى الايمان ، وفي رواية قال ^(٣) هل الايمان إلا الحب والبغض ، وورد ^(٤) انهم يدخلون الجنة بغير حساب ، وان نور اجسادهم ونور وجوههم ، ونور منابرهم يضئ كل شيء ، وانهم من اصفياء الله .

-
- (١) كما في الكافي عن أبي الجارود عن أبي عبد الله عليه السلام
 (٢) كما في رواية سيد الامرج عن أبي عبد الله عليه السلام : من اوثق عرى
 الايمان ان تحب في الله وتبغض في الله الغير .
 (٣) كما في الكافي عن فضيل بن يسار . باب الحب في الله والبغض في الله .
 (٤) كما في الكافي في رواية أبي بصير ورواية أبي خزيمة السلمي وغيره .

ورود ان التحاب في الله أفضل من الصلوة والصيام والزكوة والحج بل الذي ينهم من أخبار المصافحة ^(١) ان سائر الفضائل في جنب التحاب في الله وجودها كالعدم وان احد المتصافين ان كان احب لأخيه منه كان هو احب إلى الله من الآخر ، وأقرب عنده ، ولعمري ان هذا الأمر عظيم ما أعظمه .

وليعلم ان الغدير من أجل الأعياد ، وأعظمها لأنه كالجزء الأخير لليلة التامة في النجاة ، والفوز بالدرجات الرفيعة ، وقد روى فضله المخالف والمؤلف ، و عملوا الرواية فضله وتعظيم وقع فيه كتباً مفصلة ، وعلى الشيعي ان يعظمه حق تعظيمه ، ويظهر فيه الفرح والانبساط ، ويتزين له ، ويتودد مع الموالين بأنواع التلطفات بالزيارة ، والمصافحة والمعانقة ، والدعوة والاضافة والهمة والمطاء والمباسة في الكلام ويكثر حمد الله ويدكر من الحمد ، ماورد ^(٢) عند لقاء المؤمنين ويصلى ^(٣) ما ورد فيه من بعض الصلوات الجليلة و ورد في جزائها ثوابات جزيلة ، ويعلم من الأعمال الواردة فيه ، ما فيه أجر عظيم ، وإن كان جميع ما يصفه المؤمن في هذا اليوم عظيماً عند الله ، وإن كان حقيراً عند نفسه ، ويذوره ^(٤) بالزيارة المفصلة الواردة فيه ، ويهني رسول الله وامام زمانه ، وخفير يومه بالخصوص ، والأئمة ^(عليهم السلام) بالعموم ، ويناجي مع إمام عصره ببعض فقرات دعاء التذبة ويتحسّر من فقدان نعمة حضوره في مثل

(١) كما في الكافي في رواية أبي خالد القنطاري ورواية مالك بن أمين الجهنى وغيرها

(٢) وهو قوله : الحمد لله الذي جعلنا من التمسكين بولاية أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام .

(٣) كالصلوة المروية في الاقبال للسيد الجليل رضي الدين بن طلاس عنه .

(٤) كزيارة أمين الله وغيرها .

هذا اليوم العظيم ، ويهتفي خواص أمير المؤمنين عليه السلام ، والملائكة لا سيما جبرئيل الذي كان يكثّر نصره في المواطن ، ويخدمه فيها ، ويتبع ما ذكر من شكر هذه الأوقات الشريفة ، شكر سائر الأوقات التي ظهرت فيها من الله المنعم ، بعض النعم الجزيلة الخاصة العامة ، فإن لكل منها مراقبة خاصة ، وفكراً مخصوصاً به ، مثلاً يتفكر يوم الدحو أنه يوم انعم الله فيه على أهل الأرض ببناء المسكن ، ومواد وجوه الرزق كلها ، ويقايسه بما إذا فعل به أحد من ملوك الدنيا شيئاً من هذه الوجوه ، وبأشده بيده ، كما ورد في ذلك بسط الله الأرض ، ويتفكر في نفسه أنه كيف يكون موقع هذا اللطف والاحسان عنده من هذا الملك ، فيجاهد في شكر المنعم تعالى ، الذي لا يحصى نعمائه العادون بقدر الاستطاعة ، ثم إن الذي دلّ على تعظيم أيام المواليدين الشريفة ، والخلافة الظاهرية ، والفرج فيها ، إنما يدلّ على تعظيم أيام وفاتهم عليهم السلام وشهادتهم ، ومصيبتهم بإظهار الحزن والجزع ، وأقله إن يكون أيام مصيبتهم عند المؤمن ، أغزّ من أيام مصيبتهم ومصيبة كل من يعزّ عليه ، ليكون معهم في درجاتهم كما ورد بذلك ^(١) الأخبار لا سيما أيام العاشورا فإنه يوم عظيم عند الله وأهل ملكوت السموات والروحانيين :

در بارگاه قدس که جای ملال نیست

سرهای قدسیان همه بر زانوی غمست

وعظمت مصيبتك في السموات على جميع أهل السموات ، قد ورد في بعض

(١) كما هو مذكور في كتب المقاتل ، كرواية شيب وغيرها ، ومناجات موسى

ابن عمران .

وقوله : يا رب لم فضلت أمة محمد صلى الله عليه وآله على سائر الأمم فقال الله تعالى : فضلتهم بشر خصالي إلى أن قال : والعاشورا قال موسى : وما العاشورا ؟ قال : البكاء والتباكى على بسط محمد والمرثية والمراء . الغبر .

الأخبار ما ينبؤ عن خطر هذا اليوم العظيم ، بما يهبر عنه العقول ، و يعلم من الروايات ان ذلك لم يكن مخصوصاً بما بعد الشهادة ، بل كان يعظم هذا اليوم في الأمم السالفة ، فان الله تعالى ذكر مصيبة هذا الامام المظلوم على الأنبياء فيكوا وجزعوا من هذه المصيبة العظمى ، وشاركوا بذلك رسول الله في عزائه ونالوا بذلك الأجر العظيم عند الله ، ثم ان اللازم على المؤمن في هذا الأمر ان يسلم للروايات الواردة في تعظيمه و جلالة أمره ، والاجور العظيمة المتعلقة به وإن أراد ان يصدقه من جميع الوجوه بالبرهان ، ليرفع استبعاد عقله بالحجة يتفكر فيما يحكى عن الشيخ العارف المحقق الكامل الشيخ حسين النجفي ، حين سألته سيد العلماء الربانيين سليل آل طه ويس بحر العلوم قدس سره العزيز عن حكمة عظمة هذا الأمر في هذه الدرجة وأجابه ره ، ان الحسين مع انه كان عبداً مملوكاً لله ، وممكناً بذل في سبيل محبة الله كله من المال ، والأهل والأولاد ، والعرض حتى جسده الشريف بعد الشهادة ، ورضى بشهادة الأهل أجمعين ، حتى عبد الله الرضيع ، وصبر فيما أصابه على بدنه الشريف من جميع وجوه المصيبات المتصورة ، وبالجمللة بذل كله لله فانه تعالى أولى بأن يبذل له كله ، ولنعم ما أجاب ، فان الانسان إذا تفكر في وقعة كربلاء وخصوص شهادته ، يجدها أمراً عظيماً ، مثلاً الشهيد والمقتول في العالم كثير ولكن المقتولين والشهداء يقتل كل منهم بقتلة واحدة ، مثل الذبيح والنحر ، والعطش والهم والحزن ، والجوع والصبر ، وهو قتل بجميع ما يقتل به جميع المقتولين ، وأصابه من العطش ما لو قال قائل : ان عطشه لو قسم لأهل العالم لما توا لم يكن لأحد فيه ، فان في شدة عطشه اليوم تعبيرات وبيانات من الله في الأحاديث القدسية ، ومن نفسه القادسة لا يقدر العقل قدرها ، وإن شئت تصديق ذلك تفكر في عبارة الحديث القدسي ، صغيرهم يمينته العطش وكبيرهم

جلده منكش ، وتعقل عطشاً يصير مؤثراً في الجلد بالانكماش ، ثم تدبر في قوله : يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان ، ثم تفكر في قوله : **عَلَيْهِ** : اسقوني شربة من الماء ، وقد تفتت كبدي من الظما ، واويلا (مرجة الفت ريزه ريزه شدن است) اي صار كبدي قطعاً صفاراً ، وكيف يكون الكبد قطعاً صفاراً من العطش ، قبل أن ينضج وحتى لا يبقى فيه مع الرطوبه شيء ، ويبس بحيث يتقطع من اليبس ، فسبحان الله العظيم من أمر عظيم ، ثم ان من قتل أهله وولده كثير ، ولكن اين من له أهل نظير أهله ، وولد نظير ولده فان ولده العزيز كان شبه الناس خلقاً ، وخُلُقاً ومنطقاً برسول الله وان ذلك امر عظيم ^(١) يتلو درجة الامام ، أو يقارنه ويساويه ، وهكذا من اسر أهله كثير : ولكن اين من اسر له مثل الحجة الامام زين العابدين **عَلَيْهِ** وزينب ، وسكينة ، وأم كلثوم ، ومن سمع جهد الاسر في أحد ، مثل ماسمع في أهله ، وأيضاً من رفع رأسه بالقناة كثير ، ولكن من سمع رأساً فعل به من الشدة والظلم ، ما فعل برأس ابن رسول الله ، وبالجملة إذا تفكر الماقل في أمره **عَلَيْهِ** ، يجد خارقاً للعادات في تحمل المصيبات ، لذلك عجب من صبره ملائكة السموات ، فان الأبدان ولو فرضت اقويها لا تصبر بما أصاب يده الشريف ، والقلوب لا تصبر بما أصاب قلبه العزيز ، بمعنى ان البدن والقلب يموت ، ويهلك من بعض ما أصابه ، ويستريح بالموت ولكنه بقي وصبر بامور عظيمة كل واحد منها من اسباب القتل فكانه قتل سبعين قتلة أو أزيد وبالجملة لا يقاس حكم العاشوراء بغيره فعلى الموالى ان يكون حاله في هذه الايام بحيث لا يقاس بشيء من أيام مصيباته ، ويقتدى في ذلك بأهله ، ويتشبه بهم

(١) فان الشبهة في الخلق دليل على الشبهة في الخلق « بفتح الغاء » .

أما سمعت ما حكى من أحوال بعض^(١) الهاشميين إلى خمس سنين من شهادته عليه السلام ؟
 و أوما سمعت مصيبة زوجته الرباب^(٢) ؟ و أوما سمعت نوح^(٣) الإمام
 السجّاد عليه السلام أربعين سنة ؟ و إن لم يقدر على ذلك يتأسى لا محالة ببعض
 الصغار الذين كانوا في زماننا من أهلنا ، وقد رأيت منهم من كان يترك اللذات
 في تمام أيام العاشورا ، ولا يأكل إلا خبزاً خالياً ، بل رأيت من يستنكف
 من تقبيل أخيه الصغير ، مع شدة محبته له ، و إن كنت أضعف من ذلك أيضاً
 فلا محالة اجعل التساوع و العاشور أيام مصيبتك ، تترك فيه اللذة ، و تشارك
 لا محالة فيهما إمام زمانك ، فأنه روحى و أرواح العالمين فداء ، لا ينسى مصيبة
 جده في شيء من الأيام ، بل الذى دل عليه بعض الكلمات انه يندب على
 جده في كل صباح و مساء .

و من الثاني^(٤) أوّل الشهر ، و آخره ، و خميسه الآخر ، فأما الأوّل
 فعلى العبد المراقب أن يكون دخوله في الشهر ، كورود منزل من منازل السير
 إلى الله ، فله ان يذكر الله عند رؤية الهلال بما ورد ، و يدعو بجميع السعادات

(١) روى المحدث القمي ره في نفس المهموم عن الصادق عليه السلام انه قال :
 ما اكتسكت هاشمية ولا اختضبت ، ولا ولى في دارها دخان خمس حجج حتى قتل
 عبيد الله بن زياد لعنه الله .

(٢) بنت إمرء القيس و هى ام سكينه حملت فيمن حمل الى الشام ثم عادت الى
 المدينة فغطبها الاشراف من قريش ، فقالت لها كنت لا اتخذ حواً بعد رسول الله ص
 صلى الله عليه وآله ، و بقيت سنته لم يظلمها سقف بيت ، حتى بليت و ماتت كمدأ
 و لها في مجلس ابن زياد قصة تحريق القلوب والاكباد .

(٣) كما روى السيد ره عن الصادق عليه السلام : لكن زين العابدين عليه السلام
 بكى على أبيه أربعين سنة طائفاً نهاره قائماً ليله ، إلى آخر ما روى في ذلك طويلاً
 من ذكره اختصاراً .

(٤) وهو الذى يقع في كل شهر مرة .

المتوقعة في هذا الشهر، لاسيما السعادات المختصة به ، وان يعيد امام زمانه روحى له الغداء ونفسه ، وجميع من يعز عليه ، وإخوانه المؤمنين ، وجميع نعم ربه في هذا الشهر بالله من جميع الشرور ، بل ويتصدق عنه عليه السلام ، وعن جميع من ذكر ، وأما آخره ، والخميس الآخر منه ، فقد ورد أنه يعرض فيها عمل الشهر على ربه ، فله في هذين اليومين ان يحاسب أعماله في هذا الشهر اجمالا ، ويعالج ببعض المعالجات الدينية من التوسلات ، والاستشفاعات ويكثر من التضرع والابتهال ، والتوسل والسؤال ، مع خفير يومه من ساداته في أن يستصلح أعماله ، وحاله مع الله ، ويدعوا الله من حقه بكرم عفوه ، و تبديله السيئات بالحسنات ، ويدعو بما انشأه السيد المراقب من الدعاء لذلك في كتاب محاسبة النفس ، لاواخر النهار من اليوم ، لاسيما آخر الشهر بما يرجى معه ان يكون كفارة لما صدر منه في الشهر كله ، ولا يترك ماورد ^(١) في كل يوم من قوله يا من ختم النبوة بمحمد عليه السلام ، اختتم لي في يومي هذا بخير ، وشهري بخير ، وسنتى بخير ، وعمرى بخير .

ثم أتتم من أهم ما يلزم العاقل عند محاسبة نفسه ، ان يتفكر في خجل ما يعرضه عند الحساب إذا كوشف عن قبايح اعماله وسوء معاملته مع ربه فانته أمر عظيم لمن كان له القلب ،

وقد ورد في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : لو لم يكن للحساب مهولة إلا حياء العرض على الله تعالى ، وفضيحة هتك الستر على المخفيات ، لحق للمرء أن لا يهبط من رؤس الجبال ولا يأوى إلى عمران ، ولا يأكل ، ولا يشرب ، ولا ينام إلا عن اضطرار متصل بالتلف ، ومثل ذلك يفعل من

(١) وهو الذى يقع فى كل اسبوع مرة .

يرى القيمة بأحوالها وشدايدها قائمة في كل نفس ، و يعاين بالقلب الوقوف بين يدي الجبار ، و حينئذ يأخذ نفسه بالمحاسبة كأنه إلى عرشها مدعو ، و في غمراتها مسؤل ، قال الله : و إن كان مثقال حبة من خردل أثينا بها ، و كفى بنا حاسبين - انتهى .

أقول : و يناسب المقام شرح حقيقة المحاسبة ، و كيفيتها ولكن طويلا ذكراها ههنا لعلنا نذكره فيما سيأتي .

و من الثالث يوم الجمعة و من أراد ان يعرف عظمتها ، فليراجع الاخبار الواردة في فضائلها ، و أعمالها ، و وظائفها و ليس مقصودنا ذلك ، و لكن لنا في ذلك كلمة ، وهي ان الانسان كيف لا يخل من خيرات العاجل و السعادات الدنيوية ، فاتها كلما ازدادت ازداد شوقه و حرصه على الاستيزاد منها ، و يقول هل من مزيد ، و لكن يخل من خيرات الآجلة ، و السعادات الاخرية و يكسل عن تحصيل كثيرها بعمل يسير ، و لا أرى إلا من اجتماع امور شتى ، ممدتها ضعف الايمان بالآخرة ، و بعدها عدم الاطمينان بقبول أعماله و بقائها سالمة عن الآفات ، حتى يصل وقت بهجتها و لذتها و بعده الف القلب و النفس بذكر هذه الدنيا و لذاتها و عشقها بشهواتها و زينتها ، و هذا العشق منع العاقل من التمتع في عواقب الامور ، فاجتماع هذه الأسباب صار سبباً لكسل المؤمن عن الاجتهاد في تحصيل ألبار الجمعة ، و سعاداتها العالية ببعض الأعمال الجزئية ، و الإنكيف يمكن ان يعتقد الانسان مثلاً ان الله يدعو في ليالي الجمعة من أول الليل إلى آخرها ، و يقول هل من صاحب حاجة يستأني ، فأفسي حاجته ، هل من مستغفر يستغفرني فأغفر له ذنوبه ؟ و يقول ، هل من ، هل من إلى

الصبح ، ويدعوه إلى الخلوة به ، ومناجاته ، والتأنس به ، ووعدته ان قال العبد يا رب يا رب ان يقول له : لبيك عبيدي ، هل يعتقد الإنسان ذلك كله ، ثم ينام إلى الصبح ، ولا يقوم وردا من ليله ليحصل فيه شيئا من هذه المراتب الجليلة ، ولمعنى ان لا يكون إلا من الجهات المذكورة ، وقد ورد في الحديث ^(١) القدسي يا بن عمران كذب من زعم انه يحبني ، فاذا جنسه الليل نام عني اليس كل يحب خلوة حبيبه ،

ثم ان الجمعة ، وإن كان جميع آثاتها شريفة عزيزة ذات أنوار بهية ولكن معذلك فيها ساعة اشرف من جميع ساعاتها ، يقبل فيها الدعاء وهي على ما يعلم من الأخبار ، ووصل إلى من بعض الأكابر الموثوق بهم في امثال المقام .

آخر ساعاتها التي ورد فيها دعاء السموات . ثم اني سألت بعض مشايخي ^(٢) الأجلة الذي لم أر مثله حكيماً عارفاً ، ومعلماً للخير حازقاً ، وطيباً كاملاً ، أي عمل من اعمال الجوارح جربتم اثره في تأثر القلب ؟ قال : سجدة طويلة في كل يوم يديهما ، ويطلقها جداً ساعة ، أو ثلاثة ارباعها يقول فيها لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، شاهدك نفسه مسجوداً في سجن الطبيعة ، ومقيّدة بقيود الاخلاق الرذيلة ، ومنزهاً لله تعالى بأنك لم تفعله بي ظلماً ، وأنا ظلمت نفسي وأوقعته في هذه المهلكة العظيمة ،

وقراءة القدر في ليالي الجمع ، وعصرها مائة مرة .

قال قدس سره : ما وجدت شيئاً من الأعمال المستحبة يؤثر تأثير

(١) كما في الجواهر السنية لصاحب الوسائل ره عن مفيد بن عمر عن الصادق ع

ونقل المؤلف بعض قرائنه .

(٢) وهو المولى آخوند ملا حسين قمي قدمه قدمنا ترجمته فراجع .

هذه الثلاثة ، وقد ورد في الأخبار ما حاصله أنه ينزل يوم الجمعة مائة نفحة أو رحمة ، تسع وتسعين منها لمن قرأها مائة مرة في عصرها ، وله نصيب في الواحدة أيضاً .

ومن الرابع ^(١) ساعات الصلوة الخمس في القسمة السادسة من النصف الاخير من الليل ، وقد ورد فيها أنه أفضل ساعات الليل للدعاء ، وهو مجرب فعلى العبد المراقب ان يتعقل معنى وقت الصلوة ، وإذا عقل فلا محالة يسمى في أدائها في وقتها ، فقد ورد ^(٢) في الأخبار الكثيرة الحث الأكيد إلى أوّل الوقت ، وفي بعضها أن أوّله رضوان وآخره غفران ،

وورد أن الماضيح للمصر في الجنة موقوف لآمال له ، يكون ضيقاً لأهله و باضطلاحنا (كلاًش الجنة) وقيل : وما الماضيح ؟ قال : يدعها حتى تصير الشمس أو يغيب .

و ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال : لا ينال شفاعتي غداً من أخر الصلوة المفروضة بعد وقتها ، وفي الصحيحين ليس لأحد ان يجعل آخر الوقتين وقتاً ، إلا من عذر و علة .

و ورد فيه الصلاة المفروضة في أوّل وقتها إذا اقيم حدودها ، أطيب ريحاً من قضيب الاس ، حين يؤخذ من شجرته في طيبه ، وريحه ، فعليك بالوقت الأوّل ، وفيه فضل الوقت الأوّل على الاخير خير للرجل من ولده ، وماله واختلف الأقوال في كون آخر الوقت وقتاً للمضطر ، أو المختار ، فالأحوط

(١) وهو الذي يقع في كل يوم .

(٢) وقد ذكر ذلك كله صاحب الوسائل قدّم في كتاب الصلوة من الوسائل في

مقدمة كتاب الصلوة فراجع .

إن لم يكن أقوى عدم جواز تأخيرها إلى آخر الأوقات من غير عذر وعلّة . وإن كان العذر في ذلك يشتمل بعض الاعذار الهيئنة ، فالعذر الأدنى فيه كاف كما يستفاد من بعض الأخبار والظاهر أن آخر وقت الظهر الذي حضننا في عدم التأخير عنه ، هو صيرورة الفيء مثل الشاخص ، و آخر وقت العصر صيرورته مثليه ، وأما القدم والقدمان ، فهما من وقت فضيلة الظهر و العصر أيضاً ، كما أن الزوال ، و صيرورة الفيء مثل الشاخص أيضاً من وقت فضيلتهما .

ثم أن تقرب آخر فضيلة الظهر الذي هو صيرورة الفيء ، مثل الشاخص وهي تعبّر عنها بالقامة و سبعة أقدام في بلاد يكون عرضها اثنين و ثلاثين درجة ، كاصبهان ، وما قاربها في العرض ، يمضي ثلاث ساعات فثمان وعشرين دقيقة في أوّل الحمل .

وأوّل وقت المغرب الغروب الشرعي ، و آخره زهاب الشفق المغربي ، وأوّل وقت العشاء الفراغ من المغرب إلى ثلث الليل ، والأحوط أو الأولى تأخير العشاء إلى زهاب الحمرة المغربية ، وأوّل الصبح طلوع الفجر الثاني إلى اسفار الصبح .

وأما وقت النوافل فالأقوى أن نوافل الظهرين يجوز من أوّل النهار إلى آخره ، و أما وقت فضيلتها فللظهر أوّله إلى أن يصير الفيء ذراعاً ، وللعصر إلى أن يسير ذراعين مقدّماً لها على الفريضة والمغرب بعده إلى آخر وقت الفضيلة ، وللعشاء بعدها إلى الانتصاف ، و أوّل وقت صلاة الليل من الانتصاف إلى الفجر الثاني الغير المضطر ، و يجوز تقديمها على الانتصاف للضرورة ، ولكن فضائها أفضل ، وهكذا يجوز بعد الفجر لمن لا يتشاده لبعض الصحاح ، وفاقاً للبعض إذا صلى أربعاً قبل الفجر ، فله انماها بعده ، وبوفقاً

للمشهور ، و وقت نافلة الفجر الفراغ من صلوة الليل للمختار إلى طلوع
الحمرة ، والأولى تقديمها على الفريضة ، بل يكره تأخيرها عنها ووقت صلوة
الكسوفين من ابتدائه إلى انجلائه ، وللزلزلة قبل تمام العمر ، وقيل غير ذلك
والاحوط عدم التأخير اختياراً عن الفور العرفي ، وهكذا لغيرها من الآيات
وأما صلوة العيدين فلا حوط أن أولها ارتفاع الشمس ، و آخرها
الزوال .

فصل في المكان أقول ومن الامكنة أيضاً شريف وغير شريف ، وسعيد
ونحس ، وأمره في ذلك مثل الزمان ولهذه الأمة المرحومة أن يشكروا الله
تعالى ، ويتنوا على رسول الله ﷺ في تسهيل امر المكان ، حيث جعل لهم
الأرض كلهم مسجداً بمعنى جواز الصلوة كلها فيها ، ومع ذلك فقد ورد الحث
الأكد في تعاهد المساجد ، وعدم التخلف في الصلوات المفروضة عنها ،
لا سيما لجيرانها ، حتى ورد أنه لا صلوة لجار المسجد إلا في المسجد ،
فعلى العبد المراقب ان يعقل معنى المسجد وحق ادبه و تعظيمه
وقبح التخلف من حضوره و ان لله في جعل المساجد والأذن لحضورها
شكراً عظيماً على العباد ، سوى ما جعل لهم من المثوبات بحضورها ، و
العبادة فيها ، فإن المسجد بيت الله ، والمقصود من كون الكعبة والمسجد
بيتاً لله ، مع أن نسبة الأرض كلها إلى الله سواء ، ليس مكان أقرب إليه من
الآخر ، ان الله يعامل معها معاملة البيت أى جعله من المكان في مكانة
البيت ، بمعنى أنه جعلها محلاً ملاقاته ، ومجلس انسه ، و زيارته أى يعامل
فيها مع عباده وزواره معاملة الحضور ، والصحبة ، وإذا اتخذ ربنا كل مكان
أردناه باختيارنا أى لنفسه إليه و نتخذ محلاً ملاقاته ، وحضوره و زيارته
مسجداً ، او عاملنا فيه ما أردناه يكون معنى ذلك أنه جعل اختيار مجلس

الملاقات ، والحضور إلينا ، وهذا من أجل المكالم ، ثم أن الذي يفهم من معاملات الله مع عبده في جميع الأزمان والحالات ، أنه تعالى يعاملهم ، أولاً بحلم وكرم وإحسان ، وفضل وإعلاء ، ورضوان بما هو خارج عن حوصلة العقول ، و ينعمهم قبل وجودهم ، و بعد وجودهم بنعم لا تحصى ، و يحلم عند معصيتهم ، و يغفر لهم ذنوبهم وخطاياهم ، ولا يغير عليهم نعمه ، و يتمشى معهم مشية الربّ الودود العطوف الكريم الجواد الرحيم الرؤف ، و يدعوهم كلّما عرضوا عنه ، و يقبل إليهم كلّما ادبروا في جميع حالاتهم إلى أن يتجاوزوا في العناد والجحود ، بحيث يجب في حكم الحكمة الإلهية أخذهم ، فعند ذلك يظهر سلطان الجلال والقهر ، ولا يقوم له شيء

لطف حق بما تو مداراها كند * چونکه از حد بگنדר رسوا کند
فإذا بطالهم بحكم العدل ، و يفضحهم بقبیح فعالهم ، و ينتقم منهم بأشدّ الانتقام مثلاً ، يدعو عباده في سمع عقولهم بلسان حال السموات والأرضين وما فيهنّ وما بينهنّ من جميع الموجودات . و بلسان حال أنفسهم من عقولهم وروحهم ونفسهم وقلوبهم وخيالهم ، و حواسهم و سائر قواهم ، و اعضائهم و جوارحهم كلّها ، و بلسان الأنبياء والأوصياء والعلماء ، والحوادث الكونية ووجوه الحكمة المودعة في نظم العالم ، وغيرها بالاقرار بتوحيده ، و الإيمان بوجوده ، وقدرته و عنايته ، و يحلم عنهم إذا استكبروا عن قبول هذه كلّها ، حتّى يؤكدها بانحاء الإعجاز بوجود معجزات الأنبياء خلال هذه المدّة ، برأفة ورحمة اشدّ وأكرم من رأفة الأمّ الرؤف والأبّ العطوف حتّى ينقض عناده و جحوده للحقّ بحكم العقل والحسّ والعيان ، فعند ذلك يأخذهم بما لا يقوم له السموات والأرضون ، ويرسل عليهم هذاباً من ريح صرصر هامية ، أو صيحة أو نار أو ماء يهلكهم عن آخرهم ، ويسوقهم بهذه الجنود

إلى عذاب الآخرة ، نار جهنم إلى نار عذابها شديد . وحرها شديد ، ومقامها
 حديد ، وقرها بعيد نعوذ بالله منها ، ومما يوقنا فيها ، بوجود أوليائه
 السابقين وأحبابه المقربين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وبالجملية كما أن
 الله هو الرحمن الرحيم ، ودود عطوف كريم كذلك هو شديد العقاب ، ذي البطش
 الشديد فلا تغرر بربك الكريم ، وحسن صنيعه بك حتى تتجاوز عن الحد
 ولا يجعل الشيطان الغرور كرم هذا الرب الكريم ، سب غرورك حتى يهويك
 في مكان سحيق ، فإن من علام الاستدراج أن يزيد الكرم والحلم في الجرئة
 على المعصية ، وهو ان عظمت الله في نظر العبد ، وتفكر في حسن صنع الله معك في
 دعوتك إلى يوثه ، وتكريمك بذلك بحسن الطلب ، والاصرار والتوفيق ،
 والوعد بالثواب والكرامات ، وقبح صنيعك في الغفلة عن هذه المواهب الجزيلة
 والإعراض عن هذه الدعوة الكريمة الجميلة فاحذر من أن يكون حلمه عنك
 في أعراضك عنه استدراجاً ، وطالب نفسك ان يحمد هذه النعمة العظيمة ، و
 يشكرها ، ويستقبلها بحسن القبول ، فإن من علام عدم الاستدراج (١)
 التوفيق بحمد النعمة ، كما ورد بذلك الرواية ، ثم عليك عند قصد المساجد و
 احرام حضور بيت الله ان تعرف أدب الحضور بقدر وسعك ، فإن المعروف
 بقدر المعرفة ، والأدب سبب للمقرب ، ومن احسن ادب حضور الرب الحق قربه
 والقرب سبب القبول ، بل هو نفس القبول وغاية القبول ونهاية كل مأمول ،
 ولكن مقياسك في معرفة حق أدب حضور هذا الملك العظيم ميزان ادب حضور
 سلاطين الدنيا ، فحق أدب حضور بساطه ما بين نسبة العبد والرب ، فكما أن

(١) كما في الكافي عن سماعة بن مهران قال : سألت ابا عبد الله عليه السلام عن
 قول الله عز وجل : سنستدرجهم من حيث لا يملكون .

قال : هو العبد بذنب الذنب فيملي له ، ويجدد له عندها انتم فتلبيه عن الاستغفار
 من الذنوب الغير وهكذا اورد في الكافي اربع روايات ودلائلها واضحة .

نسبة عظمة هؤلاء السلاطين مع عظمة الله لا يقدر بقدر ، فكذلك نسبة حق أدب حضوره مع حق أدب حضورهم .

وإذا تمهد ذلك تعرف أنك لا تقدر على حق أدب حضوره ، ولا أحد غيرك ، فليكن هذا على ذكر منك .

ثم انظر معاملتك وأدبك في حضوره ، وأتاك على تقصيرك ، وقصورك واستحيى عن قبض فعالك ، فليكن عليك رهبة الخاشعين ، وذل اعتراف الخاطئين ، حتى يلجأك ذلك على الالتجاء بباب كرمه في طلب توفيق من ادب الحضور ، ويقول لسان حالك : « أمتن يجيب المضطر إذا دعاء ويكشف السوء » فينتج بذلك أبواب القبول ، ويعرفك كاشف السوء بإجابة المأمول ، واعمل بالصدق بما حكى في مصباح الشريفة في ذلك عن الامام الصادق عليه السلام ، حيث قال وإذا بلغت باب المسجد ، فاعلم أنك قصدت ملكاً عظيماً ، لا يطأ بساطه إلا المظهرون ولا يؤذن لمجالسته إلا الصدوقون ، وهب القدوم إلى بساط خدمة هبة الملك فانك على خطر عظيم ان غفلت ، واعلم أنه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك ، فإن عطف عليك بفضلته ورحمته قبل منك يسير الطاعة ، وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً ، وإن طالبك باستحقاقه الصدق ، والاخلاص عدلاً بك ، حجبك ورد طاعتك وإن كثرت ، وهو فعال لما يريد ، واعترف بعجزك وتقصيرك ، وقصر بين يديه ، فانك قد توجهت للعبادة ، والمؤانسة به ، واعرض اسرارك عليه ، ولتعلم أنه لا يخفى عليه اسرار الخلائق أجمعين ، وعلانياتهم ، وكن كأفقر عباده بين يديه ، واخل قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربك ، فانه لا يقبل إلا الأظهر والأخلص ، فانظر من أي ديوان يخرج اسمك ، فإن ذقت حلاوة مناجاته ، ولذيذ مخاطباته و شربت كأس رحمته و كراماته ، من حسن اقباله عليك ، واجابته ، فقد صلحت لخدمته ، فادخل

فلك الاذن والامان ، و إلا قف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل ، و قصر عنه العمل ، وقضى الأجل ، وإذا علم من قلبك صدق الالتجاء إليه ، نظر إليك بعين الرأفة والرحمة ، والعطف ، ووقفك لما يجب ويرضى ، فأنه كريم يحب الكرامة بعباده المضطرين إليه المحذفين على بابه لطلب مرضاته ، قال الله تعالى : « أَمِّنْ يَجِيبُ الْمَضْطَرُ إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ » .

هذا وحق الله أنه كلام صدر من عين صافية من عيون الحكم الربانية ، جامع الأصول عالم المراقبة ، وإذا عرف عبد مقام نكات تمبيراته ، و لطايف اشاراته ، يتعلم منه فروع أكثر ابواب المراقبات في ساير العبادات ، والمعاملات وإذا وفق عبد للعمل بما فيه انفتح له من كل باب من أبواب معارفه ألف باب والله الموفق للصواب ..

أقول : إذا سمعت هذه المراقبة لباب المسجد ، و علمت أوب حضور العبادات ، ووظايف العبودية في الطاعات ، لا يعظم عليك بعد ذلك ما ورد في الاخبار والروايات من فضل جزاء الأعمال فهذه الفضائل إنما هي لهؤلاء العاملين ، لا مثلى و مثلك من الغافلين ، ثم أنك إن كسلت عن اتيان هذه الخدمة ، والتأديب بهذا الأدب ، فلك ان لا تتركه كل الترك و تعمل منه بقدر الميسور ، ولا تنسى حق ما عليك في مملك ، ويكون غليك خجل التقصير ، ولتقف لا محالة عند باب المسجد ، وتقرأ آية أَمِّنْ يَجِيبُ الْمَضْطَرُ ، وتلتجى اجالا في اصلاح حال مسجدك ، وإن وانظرت على ذلك أيضاً فأنك تجد فيه خيراً كثيراً .

فصل في آدابه الظاهرية أهمها تمجيرها بالعبادة ،

ومنها قراءة ^(١) بسم الله الذي خلقتني فهو يهدين والذي هو يطعمني

(١) رواه في كتاب مفتاح الفلاح شيخنا البهائي قدم من عدة الداعي مع خواص

و يسقين وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي يميتني ثم يحيين ، و الذي اطمع ان يغفر خطيئتي يوم الدين ، ربّ هب لي حكماً والحقني بالصالحين ، واجعل لي لسان صدق في الآخرين ، واجعلني من ورثة جنة النعيم ، واغفر لأبي عند المشي إليها .

وقد ورد لذلك فضل عظيم ، وأجر جسيم .

و منها ^(١) تعاهد النمل عند بابه ، والتسمية والدعاء عند الدخول والخروج يقول عند الدخول والخروج ، بعد التسمية : اللهم صلّ على محمد وآل محمد ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب فضلك ، وعند الخروج ^(٢) بعد صلوة المكتوبة .

يقف على الباب ، و يقول : اللهم دعوتني فاجبت دعوتك ، وصليت مكتوبتك ، وانتشرت في أرضك ، كما أمرتني ، فاسئلك من فضلك العمل بطاعتك ، واجتناب سخطك ، والكفاف من الرزق برحمتك ، وتقدير الرّجل اليمنى عند الدخول واليسرى عند الخروج ، وكذا كل مشهد شريف عكس المكان الخسيس ، وصلوة التحية بر كعتين ، ويستحبّ كنسها وتنويرها بالاسراج ، ويكره تشريفها وتستقيفها كالعريش ، وزخرفها ، وتصويرها ، و قيل بتحريمها ، والاحوط الاجتناب ، والمحارب وقيدت الداحلة ، وفسرت لكل آية من الايات المذكورة فراجع واشار اليها المؤلف قده بقوله : وقد ورد لذلك فضل عظيم الخ .

(١) كما في الوسائل عن سماعه بعد الصلوة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك واذا خرجت قل مثل ذلك .

(٢) كما في الوسائل من أبي حفص المطار . ثم ان الكرويات والستعبات التي ذكرها المؤلف كلها مذكورة في الوسائل وقد عده لكل منها باباً .

وكذلك مذكورة في الكتب الفقهية ، فلا حاجة لنقلها وتطويل الكلام فيها .

تمارة بالداخلة في المسجد ، واخرى في الحائط ، ولا نص على القيد من أصله ،
وتطويل المنارة ، وجعلها في الوسط ، قيل بتحريم ذلك ، وتعليقها ، واخراج
الخصامها ، والاحوط فيه الاجتناب ، فان فعل فيردّها إلى مسجداً آخر
وانشاد الشمس الباطل ، والبيع والشراء ، وتمكين المجانين والصبيان ،
والاحوط في جميع ما ذكر الاجتناب ، واقامة الحدود ورفع الصوت المتجاوز
عن المعتاد ، وانشاد الضلالة ، وحديث الدنيا ، وهو كل ما لا ينفع عند
الموت ، وما بعده ، وعمل الصنائع ، وكشف العورة - روى عن النبي أن
كشف السرة والفخذ والركبة في المسجد من العورة ، والاتكاء والنوم في
المسجدين ، بل جميع المساجد ، ولكن يدفعه الحسن ، والدخول مع راحة
الثوم والبصل ، والكراث ، وكلما يؤذى ولو قليلاً ، والتبصق وهو فيه
خطيئة ، وكفارتها دفنه ، وكذا التمتصم وينزوى ^(١) به المسجد ، والحق بها
قتل القمل ، وجعلها طريقاً ، ورطانة الاعاجم اى التسكلم بما لا يفهمه الجمهور
والوضوء من البول ، والغائط ، وقيل بتحريمه للرواية ، وتحريم ادخال
النجاسة فيه لظاهر بعضها ، وخصص بالمتعدية منها ، وهو الاصح .

خاتمة ورد في الأخبار الكثيرة عن النبي ﷺ واله الحث الاكيد
في اتيان المساجد ، بل في بعضها استحباب اختيار الصلوة منفرداً في المسجد
على الجماعه في غيره ، هذا للرجال ، واما النساء
روى أن مسجد المروءة بينها ، ويستحب للمؤمن أن يتخذ في بيته
مسجداً لعبادته ، ويعامل معه معاملة المسجد .

(١) و ينزوى به المسجد إلخ كما في الرواية من محمد بن الحسين الرضى ربه
في المجازات النبويه ، عن النبي صلى الله عليه وآله قال : ان المسجد لينزوى
من النجاسة كما تنزوى الجلدة في النار إلخ رواه في الوسائل .

الباب الثاني

في الصلوة وفيه فصول

الأول في معنى الصلوة ،

اعلم إن للصلوة أربعة آلاف حد ، وأنه تنهى عن الفحشاء والمنكر
وان ما لم تنه عن الفحشاء منها عدمها خير من وجودها ،
أمّا المعنى فيمكن أن يكون مأخوذاً من صلى بالفتح ، من صليت العود
على النار ، ومن المصلى ، ومن الوصلة ، أو بمعنى الزيارة ، كما ورد عن عليّ
عليه السلام في تفسير قد قامت الصلوة ، أى حان وقت الزيارة ، أو الرحمة ،
وكل هذه المعاني لها مناسبة مع هذا المعجون الالهي .
وأما حدودها :

فمن العيون والعلل بإسناده عن زكريا بن آدم ، عن الرضا عليه السلام
قال : سمعته يقول : للصلوة أربعة آلاف باب .

و عن المناقب لابن شهر آشوب ، عن حماد بن عيسى ، عن الصادق
عليه السلام قال : للصلوة أربعة آلاف حدود ، وفي رواية أربعة آلاف
باب .

أقول جمع الشهيد من واجباتها ألفاً وصنف فيه الألفية ، ومن مندوباتها
ثلاثة آلاف ، وصنف فيه النفلية .

أقول : يمكن أن يكون المراد من الأبواب ابواب السماء التي تخرج
منها الصلوة ، وروح المتصل ، أو ابواب الفضل ، والفيض ، ومن الحدود مسائلها
المتعلقة بأجزائها ، وشرائطها في الصحة ، والكمال ، و يكون المراد منها

أسباب ربطها المعنوي إلى جناب قدسه تعالى ، أو ربطه عند الصلوة .
وأما نهيها عن الفحشاء والمنكر ، يكفي في الدلالة عليها قوله تعالى
" أن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر .

وأما ما لم تنه منها عن الفحشاء ،
فعن النبي ﷺ إنه ^(١) قال : من لم تنه الصلوة عن الفحشاء والمنكر
لم يزد من الله إلا بعداً .

وعنه ﷺ لا صلوة لمن لم يطق الصلوة ، وإطاعة الصلوة أن تنهى عن
الفحشاء والمنكر .

و روي أن من الأنصار من كان يصلي الصلوة مع رسول الله ﷺ ، و
يرتكب الفواحش يوصف ذلك له ﷺ ، فقال ﷺ : " إن صلواته تنهاه
يوماً ما ، فلم يلبث أن قاب .

وعن أبي عبد الله عليه السلام ^(٢) قال : من أحب أن يعلم أن صلواته قبلت
أم لم تقبل ، فلينظر هل منعت صلواته عن الفحشاء والمنكر ، فبقدر ما منعت
قبلت منه .

أقول : هذا هو الحق الذي لا محيص عنه ، لأن القرآن ورد بثبوت
هذه الخاصية للصلوة ، فالتى لم تكن فيه هذه الخاصية ، ووجد فيه الصورة ،
فلا محالة يكون العمل من النفاق الخالص ، لأنه لو وجد فيه شيء من الروح
فبقدره يؤثر في النهي عن الفحشاء ، فما لم يوجد فيه شيء من التأثير ، علم
عدم وجود شيء من الروح فيه ، فعمل لم يوجد من حقيقة الصلوة فيه ، حتى
جزء يسير ، فهو من النفاق الخالص والنفاق إنما هو مبدع بلا شك ، لا يتوهم

(١) كما في تفسير البرهان في تفسير الآية الشريفة من على بن ابراهيم (د) .

(٢) كما في تفسير البرهان أيضاً .

ان النفاق إنما يتحقق بمجرد زيادة خشوع الجوارح على القلب، فيجب حينئذ أن يكون جميع الصلوة حتى من المتقين أيضاً غير مقبول ، بل غير راجح ، لأن صلوة لم يوجد فيها غفلة ، ولو في شيء يسير من أجزائها لم يثأت ، حتى من الأوحى من الناس ، وهذا الجزء الذي وقع فيه الغفلة مخالف للصورة لا محالة ، فيكون من النفاق ، فيكون مرجوحاً مبعداً عن الله ، لأننا نقول إن المبعد القطعي ، ما يكون جميع أجزائه خالية من جميع مراتب الروح وهو قليل في المعتقدين للصلوة ، حتى العوام ، فإن صلواتهم إذا عملوا بها من جهة الاعتقاد ، لا للرياء فلا محالة يكون أول جزئها حين الدخول فيها واجداً للروح ، مع أن جميع أجزائها أيضاً ليست فاقدة بجميع مراتب الحضور ، ولو في ظاهر القلب أو باطنه ، فإن الحضور له مراتب ، فإن القلب قد يحضر بكماله ، حقيقة وسر ظاهره ، وباطنه عند عمل ، وقد يكون بظاهره عند شيء وباطنه مشغول بشيء آخر ، وقد يكون بباطنه عند شيء وظاهره مشغول بآخر وهكذا فالفاقد بجميع مراتب الحضور ، وهو عمل الساهي والنائم ، ونحوهما وأما فاقدة الروح من جميع الجهات ، وجميع مراتب الروح ، فهي التي لا تؤثر في النهي عن الفحشاء أبداً ، لا في جزئي ولا في كلي ، وأما واجدة في بعضها ، فلا محالة تؤثر بقدر ما فيها من الروح ، ولكن ليس كلما يوجد فيها شيء من الروح مقبولة أيضاً ، ومرفوعة إلى السماء ، بل الذي يفهم من بعض الروايات ، أن ما يكون بقدر عشرها مع الأقبال والحضور ، يرفع منها بقدر^(١) ما قبل فيها ، وما نقص عن ذلك فلا يرفع ، فتحصل من جميع ما ذكر

(١) كما في الوسائل في باب استحباب المداومة على النوافل ، من معبد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام وباب استحباب صلوة ألف ركعة في كل يوم وليلة من حبرة بن حمران .

أنَّ الفاقدة للروح بجميع وجوهها ، من جميع الجهات ، فهي التي يورث البعد من الله ، وهو كعمل المرآئي والمستنزه ، ونحوهما ، وما كان فيها من الأقبال بقدر العشر ، وما فوقه يقبل منه بقدر الأقبال .

فإن قيل : هذا يخالف حكم المركبات ، فأنها تمتغي بانتفاء بعض أجزائها ، ولازمها أن يبطل ، ولو بقدران الروح في جزء منها ، لأن المطلوب مثلاً عشرة أجزاء ، ذات الأرواح ، فإذا تخلف روح شيء من الأجزاء انتفى الحقيقة بحكم العقل .

قلت : هذا مقتضى القاعدة ، ولكن في بعض الأخبار ^(١) أن الناقص منها يتدارك نقصها بالنوافل ، فلا بأس إذاً بحكم الفضل أن يقيّد حكم المركب بها . ولا يذهب عليك أنه يمكن أن يكون المراد من النوافل ، الصلوة الغير الواجبة ، لا نوافل خصوص الفريضة الناقصة ، بل ويمكن أن يكون المراد مطلق النوافل العبادية ، ولكن يشبه أن يكون هذا أيضاً مقيّد بالتجانس بمعنى أن يكون المتدارك من جنس المتدارك مثلاً يتدارك روح سجدة الصلوة بسجدة ذات روح ، وأقبال ، وإن لم تكن في صلوة ، أو غيرها من العبادات التي فيها روح السجدة ، وهكذا .

فصل في الآيات الدالة على أن المراد من الصلوة ليست مجرد الأعمال الظاهرة ، وهي عدة آيات .

منها قوله تعالى ^(٢) : « ويل للمصلّين الذينهم عن صلواتهم ساهون » .
قيل : ذمهم على الغفلة عنها ، مع كونهم مصلّين .

(١) كما في ذيل الرواية المذكورة : وإنما امرنا بالنافلة ليتم لهم بها ما نقصوا من الفريضة .

ومنها قوله تعالى : « الَّذِينَ هُمْ ^(١) فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ » .
ومنها قوله تعالى ^(٢) : « أَقِمِ الصَّلَاةَ لَذِكْرِي » .
ومنها قوله تعالى ^(٣) : « وَلَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ، حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ » .

قيل فيه تنبيه على سكر الدنيا ، إذ بيّن فيه العلة ، يعنى انّ العلة
في المنع عن الصلوة ، منع السكر ، انّ السكران لا يفهم ما يقول : وهذا يعمّ
سكر الدنيا ، والخمر معاً .

وأما الأخبار فهي كثيرة متواترة في ذلك .

منها ما مضى في أوّل الكتاب .

ومنها ما مضى في الفصل المتقدّم من قولهم ، انّ ما لا تنهى عن الفحشاء
لا يزاد من الله إلا بعداً .

ومنها قوله ﷺ : ^(٤) لا ينظر الله إلى صلاة لا يخضر الرجل فيها
قلبه مع بدنه .

ومنها قوله إسماعيل الصلوة ^(٥) تمكّن وتواضع وتضرّع ، وتيسّس ، وتندم
وتقنع ، تمدّ يديك ، وتقول اللهم فمّن لم يفعل فهي خهاج .

ومنها قوله ^(٦) إذا صليت صلاة فريضة ، فصلّ لوقتها صلاة مودع ، تخاف

(١) س ٢٣ . ي ٢ .

(٢) س ٢٠ . ي ١٤ .

(٣) س ٤٦ . ي ٤٦ .

(٤) لم نجده .

(٥) لم نجده .

(٦) كتابنا في باب استعجاب صلاة الف ركعة في كل يوم وليلة في حالات السجود

عليه السلام وباب وجوب اتمام الصلوة عن ابن ابي يعفور عن الصادق عليه السلام .

ان لا تعود فيها ، وبالجمله الأخبار في هذا المعنى فوق التواتر .

فصل في بعض ما روى من صلوة المعصومين عليهم السلام في الحقائق .
 روى ^(١) ان إبراهيم الخليل عليه السلام يسمع تأوته على حد ميل ،
 وكان في صلوته يسمع له أزيز كأزيز المرجل .

وكذلك كان يسمع من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله مثل ذلك .
 وقال بعض ازواجه : كان النبي صلى الله عليه وآله يحدّثنا و نحدّثه فإذا حضر
 الصلوة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه .
 وكان أمير المؤمنين عليه السلام ^(٢) إذا أخذ في الوضوء يتغيّر وجهه من
 خيفة الله

وكان عليه السلام إذا حضروقت الصلوة يتزلزل ، ويتلون ، وقيل له : ما لك
 يا أمير المؤمنين ، فقال جاء وقت أمانه عرضها الله على السموات والأرض ،
 فأبين أن يحملنها واشققن منها .

وكانت فاطمة منتهج ^(٣) في السلوة من خيفة الله وكان ^(٤) الحسن عليه السلام إذا فرغ
 من وضوئه تغيّر لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال : حقّ على من أراد أن يدخل

(١) كما في عدة الداعي لابن فهد الحلي رحمه الله تعالى ورواه في البحار أيضاً
 في كتاب الصلوة مع الروايات تليها .

(٢) مشهور ومروى بالغال والمؤلف ورواه في البحار أيضاً مع
 الروايات التي وردت في سائر الأئمة عليهم السلام في حال صلواتهم ووضوئهم و
 غيرها .

(٣) النهج بالسكون : الطريق الواضح ، و بالتحريك البهر وتتابع النفس .
 (٤) روى المؤلف والغال في حالاته عليه السلام ورواه في البحار أيضاً في البحار و
 كذا ما روى من السجود عليه في وضوئه و صلوته من خشية الله تبارك وتعالى و
 تغير حاله و كذا ما روى في سائر الأئمة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم فلا حاجة
 لنا إلى إيراد جميع ذلك مع تظايرها بل تواترها و وضوحها

على ذى العرش أن يتغير لونه .

وروي مثل ذلك عن السجّاد عليه السلام .

وعنه ، إذا توضأ أصفر لونه ، فيقول له أهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم ؟ .

فقبل ورأيتَه يصلي فسقط رداؤه عن منكبيه ، فلم يسوّه حتى فرغ من صلوته ، فسألته عن ذلك فقال ، ويحك اتدري بين يدي من كنت ، إن العبد لا يقبل منه صلاة إلا ما أقبل فيها . فقيل : جعلت فداك هل كنا ، قال : كلا إن الله يشم ذلك بالنوافل .

و عن الصادق عليه السلام قال : كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلوة تفسّر لونه ، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يهبط عرقاً .

وعنه عليه السلام قال : كان أبي يقول : كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلوة كأنه ساق شجرة ، لا يتحرك منه إلا ما حركت الريح .

و عنه عليه السلام أنه سئل عن حال تنخّصه في الصلوة حتى صار مغشياً عليه ، فلمّا أفاق قيل له في ذلك فقال : ما زلت أردد هذه الآية على قلبي ، حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته .

قال لا يجتمع الرعدة والرهبة في قلبك ، إلا وجبت له الجنة ، فإذا صليت فاقبل بوجهك على الله ، فانه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلوته ، ودعائه إلا أقبل الله عليه ، بقلوب المؤمنين ، وأبصارهم مع مودّتهم إياه بالجنة .

و عن الباقر ^(١) قال : إن العبد ليرفع له صلوته نصفها ، وثلثها ، وخمسها ، وربعا فما يرفع له ، إلا ما أقبل عليها بقلبه ، وأتمّوا أمرها بالنوافل

(١) كما مرّ في رواية محمد بن مسلم قبيل هذا وغيرها .

ليتمّ لهم ما نقصوا من الفريضة .

فصل في الأحوال التي يكمل بها الصلوة ، ويحكم العقل بلزومها ،
وورد بها الشرايع ، وهي ستة : حضور القلب ، والتفهم ، والتعظيم ، والهيبة ،
والرجاء ، والحياء .

والمراد من الأوّل أن يكون القلب عند الصلوة ، لا شيء آخر ، بحيث
يغفل عن الصلوة ، وإن كان حضوره عند ظاهر الأحوال ، والأقوال غير متعمّق
فيها . وهذا المقدار كاف في تحقّق حضور القلب ، وله أنواع شتّى ، وأقسام
مختلفة ، وهو أنّه قد يكون القلب حاضراً في وجه من وجوها ، ككونه في
حضور الله ، ويشغله ذلك عن الحضور عند فعل بالخصوص ، أو قول ، وككونه
مقيّداً ومشغولاً بتصحيح أداء الحروف من مخارجها ، أو باللّحن العربي ،
وككونه حاضراً في تصحيح صورة الأفعال ، وقد يكون حاضراً ومشغولاً بالفكر
في معنى فعل ، أو قول إلى آخرها ، كاشتغاله في معنى التكبير ، أو القيام ،
أو الركوع ، أو غيرها مع بقاء الفكر إلى آخر الصلوة ، وأكمل هذه الأنواع
أن يكون القلب حاضراً عند كلّ فعل ، وقول بخصوصه ، راعياً حضور ربّه ،
وشاعراً وملتفتاً بادائها عنده ، ولا يشغله الفكر في جزء عند الايمان بجزء
آخر ، عن هذا المأني الفعلی ، فيشتغل عند كلّ عمل ، أو ذكر بفكره بالخصوص
بل عند كلّ جزء أنّه مأمور من الله بهذا مستعيناً منه بتوفيق ، كما امره .

وهذا الفنّ الكامل ، جامع للمعنى الثاني أيضاً ، وهو التفهم لأنّه عبارة
عن حضور القلب عند معاني الأقوال والأفعال . وللمبتدئ فيه ان يلاحظ
معنى كلّ فعل ، وقول اجماله قبله ، ثمّ يبتدئ به ملتفتاً وقاصداً بحقيقته ، ثم
الانتقال بلحاظ معنى الجزء الآخر قبل الدخول به ، واتيانه كما ذكر ، وهكذا ولا
ينذهب عليك أن قصد معاني الأفعال ، عند أوّل العمل تفصيلي . وعند التلبس

بالذكر في الاثناء اجمالى ، والفكر تفصيلي حينئذ في الاستغراق بتفهم حقايق الازكار ، وليبان كيفية تفهم حقايق الافعال والاذكار ، مقام آخر ، وهو العمدة في تكليف المصلي ، وبه يحصل أغلب الآثار الجليلة المودعة في هذا المعجون الالهي ، لأن القلب يتقلب بالفكر في هذه الاسرار الجليلة ، وأحوال سنية من الصفات ، ومقامات رفيعة من المعارف ، فيحصل له الترقى من حضيض عوالم الطبيعة إلى الملكوت الأعلى ، فيستعد قلبه لتلقى الحقايق القرآنية والأسرار الكونية من اهل عالم الملكوت ، أو من فوقهم ، وهذه الأحوال هي التي تنهى المصلي عن الفحشاء والمنكر ، وإن كان يحصل بعض مراتبها بدون ذلك أيضاً .

ثم أن هذه الدرجة من التفهم ، لا بد وان تكون مع الأمر الثالث ، وهو التعظيم لأن التعظيم حال منشائه العلم بعظمة الله العظيم ، وحضوره وقدرته على ما يفعل به ، من الرد والقبول والاکرام والتوهين ، وإذا استشعر العبد في صلواته عظمة من يناجيه في حضوره ، وأنه أما أن يتفضل عليه بالقبول ، فيكرمه اكراماً جليلاً جزيلاً ، أو يطلبه ببدله واستحقاقه الصدق والاخلاص ، فيحجبه ويمدّ به عذاباً أليماً ، فلا بد ان يخلف من خطر المقام ، وهذا الخوف الذي منشائه التعظيم عبارة عن الأمر الرابع ، وهو الرهبة ، وإذا تفتن معذلك بهميل فما له مع عبده ، وسائر الصفات الجمالية ، فيعوى قلبه بالرجاء ، ويستحى من سوء فعاله وتقصيره ، واستقباله الاحسان بالكفران بهميل الصنائع بقبايح الأعمال ، وهذا هو تمام الأمر ، وبالرجاء والحياء يتم الاتصال الست ، وأولها وأهمها الهمة ، فإن همة الرجل إذا كان عند عمله يكون قلبه أيضاً حاضراً عنده ، لأن القلب تابع للهمة ، ومهما اهتم الإنسان امرأ حضر قلبه عنده ، شاء أم أبى ، فبدو أسباب هذه الخصال كلها الهمة

وسببها الإيمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى ، وإن الصلوة (وسيلة إليها) فإذا وجد الإيمان فهو مقتضى لحصول الهمة ،

إن لم يمنع عنه الدنيا ، ومجرد الإيمان لا ينفع في بقاء الهمة ما لم يقو بالتزوع عن محبتها ، وأسبابها الشاغلة للقلب عن الآخرة والصلوة ، وكل منافر معها من الذكر ، والفكر ، فإن المحبة والمحبوب يجذب الخواطر إليه ، لأن من أحب شيئاً أكثر ذكره ، وذكر المحبوب اهجم على القلب بالضرورة ، ولهذا الخصلة الواحدة ترى أن صلوة سالمة عن الخواطر لا يتأتى لنا ، ولو بمجاهدة شديدة ، وأما القلوب السليمة عن حب الدنيا ، فجميع حالاتها صلوة ^(١) ، وذكر ، بل قرّة عينها في الصلوة ، بل لا يصفو له شيء من لذائذ الدنيا أبداً ، بل لا علم له بالدنيا ، ولا شغل له بها ، حتى يحتاج إلى مجاهدة دفع خواطرها ، بل لوسهى قلبه عن الله طرفة عين لمات شوقاً إليه كما هو صريح عبارة ^(٢) مصباح الشريعة ، فإذا العمدة في استحضار همة ، رفع المانع أى تبديل حب الدنيا بحب الآخرة أو محبة الله ، نعم المانع قسمان : قسم يندفع أثره بالمسكنات ، وتقوية المقتضى ، ومثله فيما نحن فيه من كان حبه للدنيا قليلاً لم يملك نفسه ، وحيث يصعب للقلب الغفلة عنه ، وذكر شيء آخر مكانه ، ومثل هذا المؤمن إذا سد طرق الحواس الظاهر بأن يصلي في الخلوة ، والمكان المظلم حتى لا يسمع ما يشغله عن التدبر في

(١) خوشا آن که دائم در صلاتند بحد و قل هو الله کارشانى

قوله : وقرّة عينه الصلوة إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وآله وقرّة عيني الصلوة .

(٢) وهو قول الصادق عليه السلام : العارف شغفه مع الخلق وقلبه مع الله لو سها قلبه من الله طرفة عين لمات شوقاً إليه ، باب الخامس والتسعون من مصباح الشريعة .

صلوته ، ولا يرى شيئاً كذلك يكفيه ذلك لرفع الشواغل الداخلة من الأسباب الخارجية ، ومنع النفس عن التفكير فيما يحضره من طريق الملكات ، ان يستعد له أولاً قبل الصلوة بتجديد ما علم من الدين ، من عظمة الصلوة ، وخطر موقفها والوقوف بين يدي الله ، وخطر قبولها وردّها ، وهول المطلع ، وفرغ نفسه وقلبه عما يهيمه ، مثلاً إذا كان به عطش يشرب الماء ، ثم يصلي حتى يفرغ نفسه عن ذكر الماء في الاثناء ، وهكذا حتى لا يترك لنفسه قبل التخريم شغلاً يلتفت إليه قلبه ، وان يتدبّر في معنى كل فعل وفعل عند الابتداء به اجمالاً ، ثم الشروع فيه مع التدبّر ، والتفهم تفصيلاً ، وقسم لا ينفعه المسكنات ، بل يلزمه المسهل الذي يقطع الداء والاخلاط الرديّة من عروق أعماق قلبه ، بالنزوع عن الشهوات ، وعلايق الدنّيا ، وهي كثيرة يجمعها قوله تعالى ، « زين للناس حبّ الشهوات من النساء والبنين ، والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة ، والخيل المسومة ، والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنّيا ، والله عنده حسن المآب » ومن كثر فيه حبّ الدنيا ، وعلايقها بحيث ملك نفسه ، وشغل قلبه عن صلوته وهمها ، فانه من جند الشيطان ، والدنّيا المذمومة ، وحبّها كما في الروايات رأس كل خطيئة ، ولا ينفعه التلطّف بالمسكنات التي كانت تنفعه في الشهوات الضعيفة التي لا تشغل إلا حواشي القلب ، للاحقيقته وسره ، لأنّه كلّما أراد ان يرد القلب إلى الحضور عند صلوته والتفكير في أفعالها ، وأقوالها ، يردّ الشهوات إلى الفكر فيها ، وفي طرف تحصيلها ، ودفع موانعها والاشتغال بها ، فلا تزال تجذب قلبك إلى صلواتك وتجذبه الشهوات إلى الفكر فيها ، حتّى يتمّ صلواتك ، وينقضي جميعها في شغل التجاذب ، فيغلبك الشيطان ، ومثال ذلك مثال رجل سمعت شجرة ، يريد ان يجمع همه للفكر فيما أراه ، فيصفو له فكره ، وكانت أصوات العصافير

التي على الشجرة ، يشوّش عليه ، فلم يزل يطردّها بخشبة ، و يعود يجلس إلى فكره ، فيعود العصفير ، ويعود هو بالخشبة ، فينفرها بها ، قيل له هذا الشغل يشغلك عن قصدك ، ولا ينقطع ، فان أردت الخلاص ، فاقطع للشجرة ، وكذلك الشهوات إذا قويت ، وكثرت فزوعها و أغصانها ، انجذب إليها الأفكار ، والخواطر من وجوه مختلفة ، كانهجذاب العصفير إلى الاشجار القوية الكثيرة والأغصان ، وهذه الشهوات كثيرة ، وهي مغناطيس الخواطر ، والأفكار الرديئة وأصل شجرتها حبّ الدنيا ، ولذا قال الحكيم الإلهي ^(١) انه رأس كلّ خطيئة ، فمن انطوى بطنه بحبّ الدنيا ، واشتهى شيئاً من عروضها ، وزينتها وهمّ بتحصيلها ، واشتغل بحفظها ، وتكميلها لا للضرورة ، بل للمحبة واللذة وهذا هو المذموم من الدنيا المانع من ذكر الله ، فلا يطعمن هذا ان يجد طعم حبّ الله على ما ينبغي ، ولذّة المناجات التي يجدها الزاهدون في الدنيا في صلواتهم ، أو غيرها من عباداتهم ، ونسكهم ، فانّ من فرح بالدنيا ، فلا يفرح بالله وبمناجاته ، وهمّة الرجل مع قرّة عينه ، فان كانت في الدنيا ، فهمّة فيها وإن كانت في الصلاة فهمّة فيها ، هذا هو العلاج الكامل ، ولكنّ الميسور ^(٢) لا يترك بالمعسور ، فعلى الضعفة ، والمعجزة أمثالنا ، أن لا يترك المجاهدة رأساً وينبغي له ردّ القلب بقدر الامكان إلى الصلوة ، و تقليل الأسباب الشاغلة ، بالجملة أعمال المسكّنات ، فانّها وإن لم تنفع في حسم المادّة أو كمال الصلوة ، إلا أنّها ليست خالية عن النفع بالمرّة ، وربما يدرّكه من نفحات الربّ ، فيكثر فايدته ، فانّ المجاهد متعرّض ^(٣) للنفحات ، فينتفع بها

(١) كما في مصباح الشريعة في باب ٣١ وغيره .

(٢) كما في الرواية وبقتضيه العقل أيضاً .

(٣) انّه في اياكم نفحات الافتراضوا لها كما في الحديث .

نفعاً عظيماً ، بخلاف المأيوس والناقل ، فإنه لا ينتفع بها نفعاً كاملاً ، بل ربما يصير مضيقاً لها ، فيكثر بذلك حسرتة يوم الآخرة ، فيتألم بها عذاباً أليماً .
نعوذ بالله من الخذلان ، هذا ، والأمر في رفع الخواطر أصعب و أشكل مما ذكرنا والداء عضال ، لأن الخواطر متلازمة مع علايق الدنيا ، وبعضها أيضاً ضرورة للإنسان ، لا يجوز له تركها ، ومع ذلك قد يزيد على العلايق الضرورية لحفظ النفس ، والنوع من الاعراض والأمراض اللازمة للعالم الطبيعية فيشتد الأمر ، فالإنسان يتولى بأسباب الخواطر ، وعللها ضرورة ، فلا يخلو أحد منها لا محالة ، فيلزم في رفعها مجاهدة عظيمة ، واللجوء إلى الله تعالى عن حقيقة الاضطرار ، حتى يدفعها بأسباب غيبية ، واطلاع سلطان المعرفة في قلبه ، حتى يشتغل قلبه بربه شغلاً ينسيه ما سوى الله ، حتى نفسه هذا وقد انهدح مما ذكرناه أن الحضور ، والتفهم ، منشأها الهبة ، وكمالها ، والتعظيم منشأه معرفة عظمة الله وجلاله ، ومعرفة حقارة الدنيا والنفس ، و خستهما ، و كونه عبداً مستخراً مريبواً ، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرراً ، و لاموتاً ولا حياة ولا نشوراً .

وأما الهبة فمنشأها العلم بمعظمة الله ، وجنابات نفسه ، والفكر فيما أصاب الأمم السالفة من آثار قهره ، وشدّة سلطانه من العذاب والهلاك الدائم ، بل فيما أصاب الأنبياء والأولياء من المصائب الدنيوية ، و تحمّلهم في ذاته لهذا الرزايا الجليلة .

والرجاء منشأه أيضاً معرفة لطف الله ، ورققه وعنايته في معاملة عبيده وطول امانه وكرم عفو ، وجميل صفحه ، وغنى ذاته عن ان يصيبه ضرر من العاصين بمعصيتهم ، وعظيم جوده وقدرته ، وأنه سبق رحمته غضبه ، ولا يفوته أحد اذا طلبه ، وبالجمله معرفة صفاته الجمالية ، وحسن صنعه مع

المؤمنين والموحدين ،

والخجل والحياء منشأته معرفة عظمة الرب ، والنعمة والحق والتقدير وآفات العمل وغيوب النفس ، وحضور الرب ، فإن ذلك يؤثر لا محالة في الحياء والخجل ، كيف إذا حضر إنسان عند ملك عظيم ، محسن إليه ومنعم عليه مدة عمره ، وعرف أنه عالم الساعة بتقصيره ، وسوء سيرته ، ورأى أنه معذلك مقبل عليه بكرم وجهه ، يدعو به لحمله إلى التوبة ، ويعده بهيل القبول والعافية ، ورأى نفسه العواد للكسل متخلفة عن القيام بحق دعوته ، فلا محالة يستحي من قبح فعله ، وشنيع أعماله .

ثم أن هذه الخصال الست التي ذكرناها ، إنما هي لازمة في الصلوة من حيث أنها صلوة ، وإن كان لبعض أجزائها خصوصية يناسب بعض هذه الخصال أزيد من البعض الآخر ، فحال التشهد والسلام لا محالة أنسب للحياء والرجاء من غيرها ، وحال القيام والركوع والسجود أنسب للمتعظيم والرهبة ولا أجزائها من الأقوال والأفعال كل واحد منها حال أيضاً مخصوص به ، فإن الحمد والتنزيه صفتان للحامد والمسبح ، لا زمان عند الحمد والتسبيح لا محالة وكذلك الإخلاص لازم لمن يقول إيتاك بعبد ، فأنك لو قلت الحمد لله معناه إن جميع النعم من الله ، وله الحمد والثناء من أجل جميع نعمها ، وعليك أن يكون قلبك وفقاً لما تظهره بلسانك ، ولا يمتأتي ذلك عند قولك الحمد لله ، إلا بأن ترى النعمة كلها من الله ، لا من الوسايط ، ومن يكون هذا حاله فلا يمتلئ على المخلوقين لجلب النعم ، وهكذا وسيجيء تفصيل ذلك عند التعرض لكل جزء من أجزائها إن شاء الله .

فصل في الاستقبال لا بد للمؤمن من معرفة أن جميع الأمكنة بالنسبة إلى وجوده ، وإحاطته تعالى على السواء ، وجميع الجهات في ذلك واحدة ،

ولكن له في كل عالم أيضاً وجهاً بالنسبة إلى أهلها ، واقتضى عظيم لطفه ان لا يترك أبادنا أيضاً غير متشرف بشرف التوجه نحوه ، كما لم يترك قلوبنا فمرنا بيته في هذه الأرض أيضاً ليكون توجهنا إليه ظاهراً ، وباطناً بأبداننا وقلوبنا ، وله الحمد على عظيم لطفه ، كما هو أهله ، وبما هو أهله ، ولا يتوهم ان الاستقبال بالقلب لادليل عليه ، لأنك ان راجعت الكتاب والسنة والعقل ، تريها مجتمعة على لزومها ، بل كونها أهم من الاستقبال بوجه البدن إلى جهة البيت ، اقدرى ان صرف الأمر عن سائر الأمور إلى أمر الله ليس مطلوباً منك ، هيئات بل هو الأهم ، بل هذه الظواهر إنما أمر بها للمتحريك إلى الأمور القلبية ، والباطنية ، ولعل العمدة في حكمة الأمر بالاستقبال ، هو ضبط الجوارح ، وتسكينها بالاثبات في جهة واحدة ، حتى لا تنفخ على القلب ، لأنها إذا بغت وظلمت في حركاتها إلى الجهات ، استتبع القلب ، فانقلبت به عن وجه الله .

ثم ان جميع ما دل من النقل على ذكر الله ، وتقوى الله ، والتوجه إلى الله ، والاقبال إليه كلها ، من أدلة لزوم التوجه القلبي .

هذا ولتعلم انه كما لا يتحقق الاستقبال ظاهراً إلا بصرف التوجه عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله ، وكذلك القلب لا يتم اقباله إلا بالانصراف والتفرغ مما سوى الله ، ونسيانه إلى الله وذلائره .

وفي النبوي إذا قام العبد إلى صلوته ، وكان هويه وقلبه إلى الله ، انصرف كيوم ولدته أمه .

وفي مصباح الشريعة ،

قال الصادق عليه السلام : إذا استقبلت القبلة ، فأيس من الدنيا ، وما فيها والخلق ، وما هم فيه ، و فرغ قلبك عن كل شافل يشغلك عن الله وعابن

بسرّة عظيمة الله ، واذكر وفوفك بين يديه قال الله تعالى « هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت » وردوا إلى الله مولاهم الحق » وقف على قدم الخوف والرجاء .

أقول : لا بدّ للمؤمن من الخوف والرجاء ، وهما أصل كل خير بعد الإيمان ، لأن المراد لكل أحد السعادة ، وهي سعادة عند المؤمن كلقاء الله ، والأنس به ، ولا سبيل إليها إلا بتحصيل محبته ، ولا تحصل إلا بعد معرفته ، ولا تحصل إلا بدوام الفكر ، ولا يحصل غالباً ، ولا يصفو إلا بالذكر ، ولا يتيسر الذكر والفكر إلا بالنزوع عن مشاغل الدنيا ، والالاف بشهواتها ، ولا يمكن إلا بالانقلاع عن حبها ، وحب مشتبهاتها ، ولا تنقمع اصولها إلا بالصبر عنهما ، ولا يعمل بالصبر إلا بالخوف والرجاء ، و حقيقة الخوف هو تألم القلب ، واحتراقه بسبب انتظار مكروه فيما يأتي ، سواء كان المكروه بحصول شقاوة ، أو فقدان سعادة ، ولا تنافي بينه وبين الرجاء ، بل بينهما تلازم ، والذي بينهما تناف هو القنوط ، والرجاء والأمن والخوف .

ثم ان الخوف اما عن نفس المؤلم ، أو عن سببه .

الأول كالنار وساير أنواع ما يعذب به الانسان ، سواء كان في الدنيا أو الآخرة .

والثاني كالكفر والمعاصي ، ومنشئهما كله و يختلف خوف الخائفين في كلا القسمين .

أما الأول فقد يكون خوف مؤمن من تعجيل العقوبة في الدنيا ، وقد يكون الموت وسكراته ، وقد يكون من القبر ووحشته وظلمته ، وضيقة وضنكه ، وقد يكون من السؤال ، وقد يكون من هول المطلق ، وقد يكون من أهوال القيامة ، و موافقها ، وقد يكون من الحساب ، وقد يكون من

المصراط ، وقد يكون من حياء العرض على الله ، وقد يكون من فضيحة هتك
الستور على رؤس الاشهاد ، وقد يكون من نار جهنم ، وحياتها و عقاربها ،
و زقومها و جريمها ، وغسلينها ، و حميمها و مقامعها ، وقرينها و اغلالها ، و
سلاسلها ، وقد يكون من حرمان الجنة ، و دار النعيم ، والمملك العظيم المقيم ،
وقد يكون من نقص الدرجة ، وهي أيضاً كثيرة خوف الوقوف ، خوف الاعراض
خوف الحجاب ، خوف الغضب ، خوف المقت .

وأما الثاني فقد يكون خوف احدهم من الكباير التي قارفها ، وقد
يكون من ملكاته السيئة ، من شدة شهوته و غضبه ، وقد يكون من حقوق
الناس ، وطبقات العباد ، وقد يكون من البطر بكثرة النعم ، او خوف الاستدراج
بها ، وقد يكون من الوقوع في معصيته ، أو الموت قبل التوبة ، أو نقض
التوبة ، أو من القساوة أو من الاعوجاج ، والميل عن الاستقامة ، أو خوف
اطلاع الله على سريره في حال معصيته ، أو غفلة أو من عدم قبول عباداته
أو رد مناجاته ، كأن يقال عند تلبيته : لا لبسك ، ولا سعديك ، أو من ضعف
القوة عن الوفاء بتمام حق الله ، أو من سوء الخاتمة ، أو السابقة ، والصالحين
والطالحين والعباد والزهاد ، والمتقين والصدّيقين ، والعارفين مختلفة في هذه
المخاوف .

ولا يذهب عليك ان الكاملين من العباد يخافون من جميع هذه المخاوف
ومخصوصون ببعضها أيضاً ، والله تعالى يتولّى رياضة قلوبهم في كل وقت ،
بخوف وزجاء ، وأخصّ ما يخافون منه خوف الوقوف ، والاعراض ، وخوف
السابقة المؤدّية بسوء الخاتمة .

ثم اعلم ان اخوف الناس من الله اعلمهم بالله .
لذا قال رسول الله : أنا أخوفكم من الله ، فانهم يخافون من الله بجميع

ما ذكر ، ولا لشيء من هذه المخاوف ، بل بسر قوله تعالى : ويحذركم الله نفسه ، ولكن قد يشغلهم الله من مقتضى خوفهم ، فلا يظهر من أحدهم ، اوفى بعض حالاتهم ، آثار الخوف ، وقد يكون بالعكس رجائهم و خوفهم في بعض حالاتهم ، ، فيظهر منهم ما يكاد يتقطع عنه القلوب ويظهر منه العقول ، وقد يكون في بعضهم ظهور سلطان الخوف أكثر من بروز حقايق الرجاء .
فصل في لزوم الخوف ^(١) ، وفضيلته قال الله تعالى : رضى الله عنهم ورضوا عنه ، ذلك لمن خشى ربه .

وقال : إنما يخشى الله من عباده العلماء ،

وقال : « ويحذركم الله نفسه » .

وقال : « اتقوا الله حق تقاتة » .

وقال : « واخشوني » .

(١) فاعلم ان الاخبار المذكورة في فصل الخوف من الكتاب ، مذكورة في كتب الاخبار كالكتاب الشريف ، والارشاد المشيخ المفيد (ره) ، والخصال للصديق (ره) وكتب التفسير كالصافي للمحقق القاساني (ره) ، وغيره ، راجعنا بعضها تصحيحاً للاغلاط الواقعة في طبع الكتاب ، فانها كثيرة جداً ، ولكن طوينا من ذكرها ، والاشارة اليها ، خوفاً من الاطالة ، وحذراً من الاطناب ، وتجيلاً للطبع والنشر ، هذا ولكنك ايها القارىء هل آمنت بهذه الاخبار ، واحتملت ان تكون مصداقاً للهاكئين ، وماورد في تفسير الآية الشريفة : « ولها سبعة ابواب »
ام هيك بطنك وفرجك ، وجاهك ومقامك الفانى من قريب ، ومفارق منك غير بعيد ، ولكن ضعف الايمان او عدمه ، بما ورد من معادن النصمة ، وخزان الوحي ، الذين سمعت خوفهم ، وحزنهم ، وتشير حالهم من ذكر النار ، والبهمن من قرب رب الارباب ، حملك على تحصيل رغيد الميش ، وحفظ القمام ، والامراض عن تحصيل هذه السعادة ، والنفلة من مفاجاة الموت ، وفوت الوقت وحلول الاجل وانت مكب على الدنيا .

عن النبي ﷺ رأس الحكمة مخافة الله .
وروي من عرف الله خاف الله ، ومن خاف الله سحت نفسه عن الدنيا .
وروي أن من العبادة شدة الخوف من الله .
وروي أن حب الشرف ، والذكر لا يكونان في قلب الخائف الهارب .

وروي أن المؤمن بين مخافتين : ذنب قد مضى ، لا يدري ما صبح الله فيه ، ومهر قد بقي لا يدري ما يكسب له فيه من المهالك ، فهو لا يصبح إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف .
وروي لا يكون المؤمن مؤمناً ، حتى يكون خائفاً ، راجياً ، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً بما يخاف ، ويرجو .
وروي من خاف أخاف الله منه كلشيء ، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء .

وقال الصادق عليه السلام لاسحاق بن عمار : يا إسحاق خف الله كأنك مراء ، وإن كنت لا تراه فإنه يريك ، فإن كنت ترى أنه لا يريك فقد كفرت وإن كنت تعلم أنه يريك ثم برزت له بالمعصية ، فقد جعلته من أهون الناظرين إليك .
وقال السجاد عليه السلام في دعائه : سبحانك عجباً لمن عرفك ، كيف لا يخافك .

وروي أن قطرة من الدمعة في خشية الله ، يطفى بحاراً من النار .
روي مامن مؤمن تخرج من عينيه دمعة ، وإن كانت مثل رأس الذباب من خشية الله ، ثم يصيب شيئاً من وجهه ، إلا حرمه الله على النار .
وروي إذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله ، تمتعت عنه خطايا كما

تنحت من الشجر ورقها .

وعن الباقر عليه السلام قال صلى أمير المؤمنين بالناس الصبح بالعراق ، فلما انصرف وعظهم ، فبكى وأبكاهم من خوف الله .

ثم قال أما والله لقد عهدت اقواماً على عهد خليلي رسول الله ، وانهم ليصبحون ويمسون شعثاً ، غيراً ، خمصاً ، بين أعينهم كركب البعير ، يديتون لربهم سجداً وقياماً ، ويراوحون بين أقدامهم وجباههم ، يناجون ربهم في فكاك رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون - اهـ .

وفي بعض الروايات كان زفير النار في آذانهم ، إذا ذكر الله عندهم ، مادوا كما يمد الشجرة كأنما القوم باتوا ، غافلين .

قال فما رأى بعد ذلك ضاحكاً ، حتى قبض عليه السلام .

وفي حديث موسى عليه السلام : وأما الخائفون ، فإن لهم الرفيق الأعلى لا يشاركون فيه .

وروى لا يبلغ النار أحدٌ بكى من خشية الله ، حتى يعود المكين في الضرع .

وروي ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله ، أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله .

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله .

وذكر منهم رجلاً ذكر الله خائفاً ففاضت عيناه من الدمع ،

وروى أن فتى من الأنصار دخلته خشية الله ، حتى حبسه ذلك في

البيت ، فجاء النبي فدخل عليه فكان يبكي ، واعتنقه فخر ميتاً .

وروى عن بعضهم : أنه ما رفع رأسه إلى السماء أربعين سنة ، وأنه

رفع رأسه يوماً ففرع ، فسقط فانفتق في بطنه فتق ، وكان يمس بدنه في

جوف الليل مخافة أن يكون قد مسخ ، وكان إذا أصاب الناس ريح أو برق أو بلاء غيرها ، قال هذا من أجلي يصيبهم ، لو مت لاستراح الناس من هذه اليلايا .

وكان بعضهم ينظر إلى طرف انفه في خلال اوقاته ، ليطمئن أن لم يسود وجهه من ذنوبه .

وروي عن المجالس :

قال بينما رسول الله ﷺ مستظل بظل شجرة في يوم شديد الحر ، إذ جاء رجل فنزع ثيابه ، ثم جعل يشترغ في الرمضاء ، يكوي ظهره مرة وبطنه مرة ، وجبهته مرة ، ويقول يا نفس ذوقي ، فما أعظم عند الله مما صنعت بك ، ورسول الله ينظر إليه ما يصنع ، ثم أن الرجل لبس ثيابه ، ثم أقبل فاقوماً إليه النبي ﷺ بيده ، ودعا فقال له : يا عبد الله لقد رأيتك صنعت شيئاً ، ما رأيت أحداً من الناس صنعه ، فما حملك على ما صنعت ، فقال الرجل حملني على ذلك مخافة الله ، فقلت لأنفسي يا نفس ذوقي فما عند الله أعظم مما صنعت بك ، فقال النبي ﷺ : لقد خفت ربك حق مخافته ، وإن ربك ليباهي بك أهل السماء ، ثم قال لأصحابه يا معشر من حضر ، ادنوا من صاحبكم ، حتى يدعو لكم ، فدنوا منه ، فقال : اللهم اجعل أمرنا على الهدى ، واجعل التقوى زادنا ، والجنة مأبنا .

وحكى أن أويس القرني (ره) كان يحضر القاس ، فيبكي من كلامه ، وإذا ذكر النار صرخ أويس ، ثم يقوم منطلقاً ، فيتبعه الناس يقولون : مجنون ، مجنون .

وحكى أمير المؤمنين عليه السلام خوف شيعة في حديث الهمام ، وقال : فلولوا الاجال التي كتب الله لهم ، لم تستقر أرواحهم في أبدانهم طرفة عين أبداً شوقاً إلى

لقاء الله والشواب ، وخوفا من أليم العقاب ، عظام الخالق في أنفسهم ، وصفر ما دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن قد رأياها ، فهم على أرائكها متسكنون وهم والنار كمن قد رآها ، وهم فيها معذبون ، صبروا أيتاماً قليلة فاعقبتها راحة طويلة ، أرادت لهم الدنيا ، فلم يريدونها ، وما طلبتهم ، فأعجزوها ، أمّا الليل فصافون أقدامهم ، يتلون لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلاً ، يعظون أنفسهم بأمثاله ، ويستشفون لدائهم بدوائه ، تارة ، وتارة ، ويفترشون جباههم وأكفهم ، وركبهم وأطراف أقدامهم ، تجرى دموعهم على خدودهم ، يمجّدون جباراً عظيماً ، ويجارون إليه في فكاك رقابهم ، هذا ليلهم ، و أمّا نهارهم فعلماء صلحاء ، برة أقياء ، برّهم خوف بارئهم ، فهم كالقذاح ، تحسبهم مرضى ، وقد خولطوا ، وما هم بذلك ، بل خامرهم من عظمة ربهم ، وشدة سلطانه ، ما طاشت له قلوبهم ، وزهبت منه عقولهم اه ، وإذا فرغ من كلامه ، فصاح همام صيحة ، و وقع مغشياً عليه ، فحرق كوه ، فإذا هو قد فارغ الدنيا .

وروى عن رسول الله ﷺ قال : إذا جمع الله الأولين ، و الآخرين لميقات يوم معلوم ، فإذا هم بصوت يسمع ، أقصاهم كما يسمع أدناهم ، فيقول : يا أيّها النّاس انّني قد انصّلت لكم منذ خلقتكم ، فانصتوا إليّ اليوم ، أمّا هي أعمالكم ترد إليكم ، أيّها النّاس إنّني قد جعلت نسباً وجعلتكم نسباً ، فوضعتكم نسبي ، ورفعتكم نسبكم ، قلت : إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، وأبيتم إلا أن يقولوا فلان بن فلان ، و فلان أغنى من فلان ، فالיום اضع نسبكم ، وارفع نسبي أين المتّقون ، فيرفع للقوم لواء فيتبع القوم لوائهم ، إلى منازلهم ، فيدخلون الجنة بغير حساب ، و التقوى عبارة عن إجتنب الشبهات من مخافة الله .

و كان من مناجات الإمام السجّاد عليه السلام : يا إلهي لو بكيت إليك

حتى ينقطع صوتي ، وقمت لك حتى تنتشر فداي ، وركعت لك حتى
ينمطع صليبي ، وسجدت لك حتى تتفقا خدقتاي ، وأكلت تراب الأرض
طول عمري ، وشربت ماء الرماد آخر دهرى ، وذكرتك في خلال ذلك حتى
يكل لسانى ثم لم أرفع طرفى إلى آفاق السماء استحياء منك ، ما استوجبت
بذلك نحو سيئة واحدة من سيئاتى .

روى الأسمعي قال : خرجت إلى الحج إلى بيت الله ، وزيارة النبي
صلى الله عليه وآله فبينما أنا أطوف حول الكعبة ، وكان ليلة مقمرة ، وإذا
بصوت أين ، وحنين ، وبكاء ، فتنبت الصوت ، وإذا بشاب حسن الوجه ،
ظريف الشمايل ، وعليه ذوائب ، وهو متعلق باستار الكعبة ، وهو يقول :
يا سيدي ومولاي ، قد نامت الميون ، وغارت النجوم ، وأنت حي قيوم ،
إلهي غلقت الملوكة أبوابها ، وقام عليها حجباها وحرأسها ، وبابك مفتوح
للسائلين ، فها أنا ببابك انظر برحمتك لى يا أرحم الراحمين .
ثم أنشأ يقول :

يا من يجيب دعا المضطرّين في الظلم * يا كاشف الضرّ والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانقبهوا * وأنت يا حيّ يا قيوم لم تنم
أدعوك ربّ حزيناً خائفاً قلعا * فارحم بكائى بحق البيت والحرم
إن كان عفوك لا يرجوه ذو سرف * فمن يجود على العاصين بالتعم
ثم قال : رفع رأسه إلى السماء ، وهو ينادي إلهي أطعك بمشيئتك ،
فلك الحجة عليّ بآظهار حجّتك إلّا ما رحمتني ، وعفوت عني ، ولا تخيبني
يا سيدي .

ثم قال : إلهي وسيدي المحسنات مسرك ، والسيئات ما تضرّك ،
فاغفر لي فيما لا يضرّك .

ثم أنشأ يقول :

ألا أيها المأمول من كل حاجة * شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت كاشف كربتي * فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
فزادي قليل لا أراه مبلغي * على الزاد أبكي أم على بعد سفرني
أتيت بأعمال قباح رديئة * وما في الوردى عبد جنى كجنايتي
أحرقني بالنار يا غاية المني * فأين رجائي منك و أين مخافتي
قال الأصمعي : كان يكرر هذه الأبيات حتى سقط منشيئاً عليه ،

فدنوت منه لأعرفه ، فإذا هو زين العابدين بن الحسين بن علي عليه السلام .

قال الأصمعي : فأخذت رأسه ووضعت في حجري ، و بكيت قطرت
قطرة من دموعي علي خداه ، ففتح عينيه ، وقال : من هذا الذي شغلني عن
ذكر ربي ؟ قلت : عبدك ، وعبد أجدادك الأصمعي ، فما هذا الجزع والفرع
والبكاء ، والآنين ، وأنت من أهل بيت النبوة ، وموضع الرسالة ، وقوله تعالى
إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ، ويطهركم تطهيراً ، قال :
فاستوى قاعداً ، وقال : هيهات هيهات يا أصمعي ، إن الله خلق الجنة لمن
أطاعه ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً ،
أما سمعت قوله تعالى : فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم .

وروى أبو الدرداء أنه رأى أمير المؤمنين ليلة تخلى من الناس ، وهو ضاحي
ويمسكي ويقول : إلهي كم من موبة حلمت عن مقابلة بها بنفمتك . و كم من
جريرة تكرمت علي كشفها بكرمك ، إلهي لأن طال في عصيانك عجزى و
اعظم في الصنح ذنبي ، فما أنا مؤمل غير غفرانك ، ولا أنا يراج غير رضوانك ،
إلهي افكر في عفوك ، فتهون علي خطيئتي ، ثم اذكر العظيم من اخذك ،
فيعظم علي بليتي آم ان أنا قرئت في الصحف سيئة أنا ناسيها ، وأنت محصيها

فتقول خذوا ، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته ، ولا تنفعه قبيلته ، آ من نار
تضج الأكباد والكلى ، آ من نار نزاعة للشوى ، آ من غمرة من لهيات
لظى .

ثم قال : إذا قد خمد صوته ، قلت له : نام فذهبت لأوقفه ، وحر كته
فاذا هو كالخشب اليابسة ، قلت إنا لله وإنا إليه راجعون ، مات أمير المؤمنين
وذهبت إلى أهله ، وأخبرت فاطمة عليها السلام بذلك ، فقالت : هذه الغيبة التي
تعرضه كل ليلة ، من خشية الله ، ثم أتوه بماء فنضجوه على وجهه ، فأفاق
ونظر إلي ، وأنا أبكي ، فقال ، مما بكأك يا أبا الدرداء ، فقلت مما أراه تنزله
بنفسك ، فقال : يا أبا الدرداء فكيف ، ولو رأيته ودعي بي إلى الحساب ،
وأيقن أهل الجرائم بالمذاب ، واحتوشتنى ملائكة غلاظ ، وزبانية فظاظ ،
فوقفت بين يدي الملك الجبار ، قد أسلمني الحياء ، ورحمني أهل الدنيا لكنت
أشد رحمة لى بين يدي من لا تخفى عليه خافية ، فقال أبو الدرداء ، فوالله ما
رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله ﷺ ،

و روي أنه إذا نزلت من أول سورة الحج زلزلة الساعة ليلاً ، في
غزوة بنى المصطلق والناس يسرون ، فنادى رسول الله ﷺ فجشوا المطى ،
حتى كانوا حول رسول الله ﷺ ، فقرأها عليهم ، فلم ير أكثر باكياً منه
تلك الليلة ، فلما أصبحوا ، لم يحطوا السرج عن الدواب ، ولم يضربوا الخيام
والناس بين باك ، وجالس حزين متفكر الخ ، فتفكر في أحوال قوم يسرون
إلى الجهاد ، في خدمة النبي ﷺ ، في هذه الدرجة من الخوف ، وقس عليه
حوالنا اليوم في هذه النعمة .

وروي أنه إذا نزلت آية ، ولها سبعة أبواب ، أنه سئل النبي ﷺ
جبرئيل عليه السلام أي أبوابنا ؟ فقال : لا ، ولكنها مفتوحة بعضها أسفل من

بعض ، من باب إلى باب مسيرة سبعين سنة ، كل منهما أشد حرًا من الذي بينه سبعين ضعفًا ، يساق أعداء الله إليها ، فإذا انتهى أبوابها استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل ، فتلك السلسلة في فيه ، ويخرج من دبره ، وتغل يده اليسرى إلى عنقه ، وتدخل يده اليمنى في فؤاده ، ويخرج من بين كتفيه ، و يشد بالسلاسل ، ويقرن كل آدمي مع شيطان في سلسلة ، ويسحب على وجهه ، وتضربه الملائكة بمقامع ، من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها ، فقال النبي ﷺ : أخبرني من مكان هذه الأبواب ؟ قال : فاسأ الباب الأول ، ففيه المنافقين ، ومن كفر من أصحاب المائدة ، و آل فرعون ، واسمها الهاوية .

والباب الثاني ، ففيه المشركون واسمه الجحيم .

والباب الثالث ، ففيه الصابئون ، واسمه سقر .

والباب الرابع ، ففيه إبليس ، ومن تبعه ، والمجوس ، واسمه لظى .

والباب الخامس ، فيه اليهود ، واسمه الحطمة .

والباب السادس ، فيه النصارى ، واسمه سقر ، ثم أمسك جبرئيل ﷺ

فقال النبي ﷺ : ألا تخبرني من مكان الباب السابع ؟ قال : يا محمد لا تستلني

عنه ، فقال : بلى يا جبرئيل أخبرني عن الباب السابع ، فقال : هي أهل الكباير

من أمّتك ، الذين ماتوا ولم يتوبوا ، فغضب النبي ﷺ مغضباً عليه ، فوضع

جبرئيل ﷺ رأسه في حجره ، حتى أفاق فلما أفاق قال : يا جبرئيل عظمت

مصيبتني واشتد حزني ، أو يدخل من أمّتي النار ؟ قال : نعم أهل الكباير من

أمّتك ، ثم بكى رسول الله ﷺ ، وبكى جبرئيل ﷺ ، ودخل رسول الله ﷺ

منزله ، واحتجب عن الناس ، وكان لا يخرج إلا إلى الصلوة ، يصلي ويدخل

ولا يكلم أحداً ، وياخذ في الصلوة ، ويبكي ويتضرع إلى الله تعالى ، فلما

كان من اليوم الثالث ، أقبل أبو بكر حتى وقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة هل إلى رسول الله ﷺ من سبيل ؟ فلم يجبه أحد ، فتنحى باكياً ، فأقبل فصنع مثل ذلك ، فلم يجبه أحد فتنحى ، وهو يبكي ، أقبل سلمان ، فوقف بالباب ، فقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة ، هل إلى مولاي رسول الله ﷺ من سبيل ؟ فلم يجبه أحد ، فأقبل يبكي مرة ، ويقوم أخرى ، حتى أتى بيت فاطمة عليها السلام ، فوقف بالباب ، وقال ، السلام عليكم يا أهل بيت المصطفى ، وكان علي عليه السلام غائباً ، فقال سلمان : يا بنت رسول الله ، رسول الله ﷺ احتجب عن الناس ، فليس يخرج إلا إلى الصلاة ولا يكلم أحداً ولا يأذن لأحد أن يدخل عليه ، فاشتملت فاطمة عليها السلام بعبائة قطوانية ، وأقبلت حتى وقفت على باب رسول الله ﷺ ، ثم سلمت ، وقالت : يا رسول الله أنا فاطمة ، ورسول الله ﷺ ساجد يبكي ، فرفع رأسه ، فقال ﷺ : ما بال قرّة عيني فاطمة حجبت عني ، افتحوا لها الباب ، ففتح الباب ، فلما نظرت إلى النبي ﷺ بكت بكاء شديداً ، لما رأت من حاله مصفراً ، متغيّراً لونه مذاً بالحم وجهه من البكاء ، والحزن ، فقال : يا رسول الله ما الذي نزلت عليك ؟ فقال النبي ﷺ : جئني جبرئيل عليه السلام ، ووصف لي أبواب جهنم ، وأخبرني بأن في أعلا بابها أهل الكبائر من أمتي ، فذلك الذي أبكاني ، وأحزنتي ، قالت : يا رسول الله ، أو لم تسأله كيف يدخلونها ، قال : يسوقهم الملائكة إلى النار ، لا تسود وجوههم ، ولا تزرق عيونهم ، ولا تخضم على أفواههم ، ولا يقرنون مع شيطان ولا يوضع عليهم السلاسل والأغلال ، قالت ﷺ : يا رسول الله كيف تقودهم الملائكة ؟ قال النبي ﷺ : أمّا الرجال فباللحي ، وأمّا النساء فبالذوائب والنواصي ، فكم من ذي شبهة من أمة قد قبض على شيبته ، يقاد إلى النار ، وهو ينادى واشيبتاه ، واضعفاء .

وكم من شاب من أمتي يقبض على لحيته ويقاد إلى النار ، وهو ينادى وا شباباه
واحسن صورته ، وكم من امرأة من أمتي تقبض على ناصيتها يقاد إلى النار
وهي تنادي وا فضيحتاه ، وا هتك ستراه ، حتى ينتهى بهم إلى مالك ، فإذا
نظر إليهم المالك ، قال للملائكة من هؤلاء ؟ فما ورد علي من الأشياء أعجب
من هؤلاء ، لم تسود وجوههم ، ولم توضع السلاسل والأغلال في أعناقهم ،
فتقول الملائكة هكذا أمرنا ان نأتيك بهم ، فيقول لهم يامعشر الأشياء من انتم
وفي رواية لما فادتهم الملائكة ، فتنادون واتجاه ، فلما رأوا مالك نسوا اسم
عهد من هيبته ، فيقول لهم : من أنتم ، فيقولون : نحن ممن نزل عليهم القرآن
ونحن ممن نصوم شهر رمضان ، فيقول المالك : وما نزل القرآن إلا على عهد
فإذا سمعوا اسم عهد صاحوا وقالوا نحن من أمة عهد ، فيقول المالك : ما كان
لكم في القرآن زاجراً عن معاصي الله ؟ فإذا وقف بهم على شفير جهنم ، و
نظروا إلى النار ، وإلى الزبانية ، فقالوا : يا مالك ائذن لنا نبكى على أنفسنا
فيكون الدموع حتى لم يبق لهم الدموع ، فيكون دماً ، فيقول مالك : ما
أحسن هذا لو كان في الدنيا ، لو كان هذا البكاء في الدنيا من خشية الله مامسكم
النار اليوم ، فيقول للزبانية . القوم في النار ، فنادوا بأجمعهم لا إله إلا الله
فرجع عنهم النار ، فيقول مالك للنار خذيه فتقول النار كيف اخذهم ؟ وهم
يقولون : لا إله إلا الله ، فيقول مالك : نعم بذلك أمر رب العرش ، فتأخذهم
فمنهم من تأخذه إلى قديمه ، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ، ومنهم من تأخذه
إلى حقويه ، ومنهم من تأخذه إلى حلقه ، قال : فإذا أهوت النار إلى وجهه
قال مالك : لا تحرقى وجوههم ، فطال ما سجدوا للرحمن في الدنيا ، ولا تحرقى
قلوبهم ، فطال ما عطشوا في شهر رمضان فيقربها ما شاء الله ، فينادون يا
أرحم الراحمين ، يا حنان يا منان ، فإذا أنفذ الله حكمه ، قال : يا جبرئيل

ما فعل الماصون من أمة محمد ، فيقول : إلهي أنت أعلم بهم ، فيقول : انطلق فانظر ما حالهم ، فينطلق جبرئيل إلى مالك ، وهو على سرير من نار في وسط جهنم ، فإذا نظر مالك إلى جبرئيل قام تعظيماً له ، فيقول ، يا جبرئيل ما أدخلك هذا الموضع ؟ فيقول : ما فعلت العصاة العاصية من أمة محمد ﷺ ، فيقول : ما أسوء حالهم ، واضيق مكانهم ، قد احترق النار أجسامهم ، وأكلت لحومهم ، وبقيت وجوههم ، وقلوبهم يتلأأ فيها الايمان ، فيقول جبرئيل : ارفع الطبق عنهم حتى أنظر إليهم ، قال : فيأمر المالك الخزنة أن يرفعوا الطبق ، فإذا نظروا إلى جبرئيل عليه السلام ، وحسن خلقه علموا أنه ليس من ملائكة العذاب ، فيقولون : من هذا العبد الذي لم يرق قط أحسن وجهاً منه ؟ فيقول مالك ، هذا جبرئيل الكريم على الله تعالى ، الذي كان يأتي محمداً بالوحي فإذا سمعوا باسم محمد صاحوا بأجمعهم وقالوا يا جبرئيل اقرء محمداً ﷺ منّا السلام وأخبره ان معاصينا فرقت بيننا وبينك ، وأخبره بسوء حالنا ، فينطلق جبرئيل حتى يقوم بين يدي الله ، فيقول الله : كيف رأيت أمة محمد ؟ فيقول : ما أشدّ حالهم ، واضيق مكانهم ، فيقول : هل سنلوك شيئاً ، فيقول : يا رب سنلوني ان اقرء على نبيهم السلام ، وأخبرهم بسوء حالهم ، فيقول الله اطلق ، فأخبره فيدخل جبرئيل عليه السلام على النبي ﷺ ، وهو في خيمة من درة بيضاء لها أربعة آلاف باب ، ولها مصراعان من ذهب ، فيقول : يا محمد جئتك من عند العصاة العاصية من أمتك ، يمدّون في النار وهم يقرؤنك السلام ويقولون ما أسوء حالنا ، واضيق مكاننا ، فيأتي النبي عند العرش ، فيخرّ ساجداً ، ويثنى على الله ثناءً لم يثنه أحد مثله ، فيقول الله عز وجل : ارفع رأسك ، واسألني ، واشفع تشفع ، فيقول : الأشقياء من أمتي قد انفذت فيهم حكمك

فيقول الله تعالى : قد شفعتك فيهم ، فأت النار ، فأخرج منها من قال لا إله إلا الله ، فينطلق النبي ﷺ ، فإذا نظر مالك إلى النبي ﷺ فتح الباب ، ورفع الطبق ، فإذا نظر أهل النار إلى محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم ، فيقولون : قد أحرقت النار جلودنا ، وأحرقت أكبادنا ، فيخرجهم جميعاً ، وقد صاروا فحماً أكلتهم النار ، فينطلق بهم إلى نهر بيباب الجنة يسمى الحيوان ، فيفسلون فيه فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً ، مكحلين ، وجوههم مثل القمر فيدخلون الجنة .

هذه مخاوف المؤمنين ، والأُنبياء، والأُولياء فانظر الى حالك من أي ديوان يخرج اسمك ، هل من ديوان المؤمنين ، أو المقرئين ؟ فإن الخوف والرجاء بقدر الايمان ، يعظمان الجنة والنار ، والقرب والبعد ، وإيتاك أن يكون حالك مثل حال الملحدين في الخوف والرجاء ، ويكون وجود جهنم وعدمه عندك سواء ، ولا تغتر بظواهر العقائد الحقّة من الايمان بالله ، واليوم الآخر ان لم يؤثر في خوفك ورجائك ، فإن الموجود الغير المؤثر كالمعدوم ، فامتحن نفسك ان أدعت الخوف ، فإن للخوف آثاراً ، أمّا في البدن فبالخول والصفار والبكاء ، وأمّا في الجوارح فبكتفها عن المعاصي ، وتقييدها بالطاعات ، وتلافى ما فات ، والاستعداد لما هو آت ، وأمّا في القلب فبالذلّول والخشوع ، والاستكانة ، ومفارقة الكبر ، والحقد والحسد ، وبالعجلة شغل القلب بهم المخوف منه وخطره ، والاهتمام بالنجاة من غوائله حتّى لا يبقى لسائر الهموم محلّ فيه ، أو يكون كأحد الهموم لا محالة ، فإن الخوف أي خوف كان إذا غلب على القلب ، واستوعبه يحرق كل شهوة ورغبة ، وميل ، ولا يبقى فيه متسع للغير للاشتغال بالغير ، وينسى كل شيء ، ولا يكون له هم ، ولا شغل إلا مراقبة المخوف منه ، والمجاهدة في تحصيل النجاة منه ، ويضنّ

بالانفاس والمحظلات ، فضلاً عن الأيام ، والساعات ، وأدنى درجاته يظهر في الجوارح ، بالكفّ عن المحذورات ، فيكون ورعاً ، وأوسطها ان يجتنب المشتبهات فيدخل في المتقين ، وأعلى منه ترك ما لا بأس به ، وإذا انضم إليه التجرد للخدمة ، فلا يبنى ما لا يسكن فيه ، ولا يجمع ما لا يأكله ، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنه يفارقه ، ولا يصرف إلى غير الله نفساً من أنفاسه ، قيل : هذا جدير بأن يسمى صديقاً ،

فصل في علاج الخوف

أقول : علاج أصله الايمان بالله واليوم الآخر ، والثواب والعقاب ، والجنة والنار ، سواء كان عن تقليد وسماع ، أو عن تحقيق وبرهان ، أو كشف وعيان ، والخوف الناشي عن الايمان التقليدي يشبه خوف الصبي عن الحية إذا سمع من أمه أنه يلدغ ، ويقتل ، ويقوى إذا رأى ان أبويه يفرّان منه ويتزاولان من رؤيته ، والناشي عن الايمان التحقيقي يشبه خوف العقلاء ، مما يحكم العقل بضرره ، واهلاكه ، ويقوى بكون مباديه قريبة من الحس ، وبكثرة الذكر والفكر فيه ، والناشي عن الكشفى هو الذي يجمع جميع فضائل الخوف ، ويحرق في القلب كل شهوة ورغبة ، وينسى كل شيء ، ولا يبقى للمؤمن إلا همّ المخوف منه ، والخلام منه ، وله أيضاً مراتب فإنّ الذي كوشف له نار جهنم ، لا يبلغ خوفه مبلغ من كوشف له عذاب البعد والحجاب عن لقاء الله ، أما تسمع أمير المؤمنين عليه السلام بعد ما بعد شدة عذاب جهنم ، وطول مدتها ، يقول : وهبني يا إلهي وسيدي ، ومولاي وربّي ، صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك ؟ وهبني صبرت على حرّ نارك ، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك ؟ .

وإن شئت ان تعرف الفرق ما بين عذاب نار جهنم ، وعذاب نار الفراق

فقس بين العالم الحسّي والعالم العقليّ ، ودرك الحسّ والعقل ، فان نسبة الحسّ إلى العقل كنسبة القطرة إلى البحر ، بل الفرق أزيد ، وخوف البعد والحجاب للمقرّين ، هو مهلك قطعاً الا ان الله انّما يتولّى سياسة قلوب أوليائه ، فاذا حاج في قلوبهم مبادئ هذا الخوف ، وأحرق قلوبهم وقربوا من الهلاك ، يحببهم بما يلقي إليهم من انفحات رحمته ، ويهبط على موات قلوبهم من امطار رجاء رأفته ، إلى أن يقضى فيهم حكمه وحكمته ، ويقرب احوالهم التي كتب الله عليهم ، وعند ذلك يطوى عنهم بساط الخوف والرجاء ، فيشد على قلوبهم شوق اللقاء ، حتّى يكونوا إلى الموت آنس من الطفل إلى ثدي أمّه ، ولعل هذه معاملته تعالى ببعض أوليائه ، ولكلّ منهم معاملة خاصّة ، كلّها ناشئة عن كرمه وجوده ورأفته ورحمته ، وعظيم فضله وإحسانه بما يناسب حاله في الترقى إلى ما كتبه لهم من الدرجات العالية ، بمقتضى اسمائه وصفاته ، وإذا تمهد ذلك تعرف ان اصل الخوف سببه الايمان ، وكلّ مؤمن لابدّ ان يكون فيه مقتضى الخوف في الجملة ، ولكن قد يكون الايمان ضعيفاً ، فيضعف الخوف ، وقد يكون قوياً فيكون مقتضى الخوف أيضاً قوياً ، ولكن يمنع من فعليته مانع ، فالعلاج اما بتقوية الايمان ، أو رفع المانع.

أما الأول فليس هنا محلّ ذكره .

وأما الثاني فهو في المقام أمران

أحدهما غفلة القلب مما امن به من الجنة والنار .

وثانيها غلبة حب الدنيا على القلب بحيث صار القلب مريضاً بمرض

العشق .

أما الأول فعلاجه الوعظ والتذكير ، وتمدّكّر اسباب الخوف من

العذاب الديوى والأخروي ، وينفع كثيراً قراءة آيات العذاب ، وتكرارها والتفكر فيها ، وتصويرها واقعة على النفس ، في كل يوم و ليلة مرتين أو مرات ، ولكن يكثر تكرارها ساعة أو ساعتين لا عمالة فيؤثر أثرأ كاملا ، وفي ملازمة الخائفين ، ومشاهدة حالاتهم ايضاً لفوز عظيم ، وسماع أحوالهم ايضاً بدل منه .

وأما الثاني فعلاجه هو تقوية باعث الدين ، وتضعيف باعث الهوى ، وحب الدنيا ، فإن القلب دائماً معركة هذين الجندين ، حتى يغلب أحدهما فيملك القلب ، ويكون هو السائس والحاكم فيه ، فيجرى أحكام الدين على الجوارح التي هي ايضاً جند القلب .

وتفصيل تقوية باعث الدين على باعث الهوى ، ليكون له اليد العليا المتصرفة في مملكة البدن يعلم بمثال .
مثلاً إذا أردنا أن يكون العقل والشرع حاكمين في الشهوة ، فلنا أن نضعف الشهوة ، ونقوى العفة .

أما الأول فيكون بثلاثة أمور :

أحدها قطع اسبابها الخارجية ، وهي الأغذية القوية والمشبهة نوعاً ، و مقداراً ، فلا بد من قطعها ، فلا يأكل المريد المشبهة النوعية ، ويقل من المقداري ، ولذا أمر الشرع في تمكسير الشهوة بالصوم .

الثاني قطع أسبابها المبهجة الفعلية ، فانها إنما تبهج بالنظر إلى مظاهرها ، إذ النظر يبهج القلب ، والقلب يحرّك الشهوة . وهذا ايضاً يحصل بالاعتزال ، والاحتراز عن مظان رؤية الصور الجميلة ، والمشبهة ، ولذا ورد في الشرع النهي عن النظر إلى النسوان ، والولدان الجميلة ، وقال عليه السلام : النظرة سهم مسموم من سهام إبليس ، فإن سهمه هذا إنما هو من قوس

الصور ، ومن طريق البصر ، فلا يدفعه إلا غمض الاجفان ، والهرب من مظان الأَبصار .

الثالث تسليّة النفس بالمباح من الجنس الذي تشتهيه ، وهو النكاح .

وأما الثاني ، وهو تقوية العقّة فبوجهين :
أحدهما تذكر فوائدها وثمراتها الدنيويّة ، وثمراتها الاخرويّة ،
ثمّ ورد في الآيات والأخبار .

وثانيهما تعويدها بالغلبة ، فيكون بالعمل بمقتضاها تدريجاً فيقوى بذلك ، حتّى ان الغلبة في المرّة الثانية اسهل منها في الاولى ، حتّى ينتهي إلى أن لا يبقى للمخصم قوّة للمصاوعة ،

ثمّ انّ الخوف من الامور الاخرويّة أيضاً ينقسم : إلى مكروه ، و
حرام ، ومستحب ، وواجب .

ومن الأوّل ان يشتدّ من درجة الاعتدال ، فيكف الاشتغال به عن
دوام الذكر ، والفكر ، والفراغ لكثرة العمل .

ومن الثاني ان يصل إلى درجة القنوط ، وهو كبيرة موبقة .
ومن الثالث كلّ ما يصير سبباً للتقوى ، وزيادة العمل عن حدّ الوجوب
الشرعي ،

ومن الرابع كلّ ما يمنع عن المحرّمات الشرعيّة ، ويبعث على العمل
بالواجبات الشرعيّة .

وايضاً ينقسم بلحاظ آخر : إلى ناقص ، ومعتدل وزايد .
فالناقص ما يكون سبباً لتألم ما يوجع القلب ، ويبكى العين ولا يمنع
من المحرّمات والشهوات ، ولا يبعث على مجاهدة العبادات ، فاذا سمع آية

أو رواية واردة في وصف جهنم ، وشدة عقابها يبكى ، وإذا غفل ينقضي أثره فلا يكفّ عن شيء ، ولا يبعثه إلى أمر نظير رقة النساء ، وهذا ناقص ، وجوده كالعدم ، لضعف نفعه ، وهو درجة خوف العامة ، والمعتدل هو ما ينبعث على العمل ، والتقوى والجهاد الأكبر ، وهو على درجاتها مطلوبة نافعة جداً ، ولها مثوبات عظيمة .

والزائد هو الذي يقضى إلى اليأس والقنوط ، ويكفّ عن العمل ، أو يفضى إلى الموت والهلاك ، وإخلال العقل ، وهذا هو المرغوب عنه بأقسامه ، والسبب فيه أن الخوف ، ليس بنفسه من الفضائل ليزداد حسنه بازدياده ، بل هو في نفسه نقص ، وصار مرغوباً لرفع نقص آخر أهم من نفسه ، فإذا يكون دأباً مدار ذلك ، فإذا زاد عن الحد بحيث لم ينفع في رفع النقص الآخر ، أو زاد في نقصه ، فيكون قبيحاً ، ومرغوباً عنه .

وبالجملة ما يثمر في العمل المرغوب الشرعي هو المطلوب ، وما لا يثمر في ذلك ، أو يثمر في خلافه ، فهو غير مرغوب فيه قطعاً .

فصل في الخوف من سوء الخاتمة ، وإنما افردنا له فصلاً لاستحقاقه لذلك ، فهو سوء حال الإنسان عند موته ، سواء ختم بالكفر ، والجحود ، أو بالفسق والفجور ، أو بنقص لا يرضى به فانّ الكمل من عباد الله ، إنما يكون من ذلك ، وإن كان من جهة كونه كاشفاً من السابقة ، فالأمن إنما هو بالخلاص منه ، وبالجملة سوء الخاتمة ، أمّا بالكفر والجحود ، وهو أن يغلب على القلب عند سكرات الموت ، التي تكشف بسبب اضطراب الروح عندها للمحتضر عن بعض أحوال الآخرة ، بمناسبة من أحوال قلبه من العقائد ، والملكات ، أو أثر الأعمال السابقة بالخاصة ، ما يوجب الشك أو الجحود ، فيختم له بذلك ، فيسير سبباً للخلود في النار ، وأمّا بالفسق والفجور ، وهو

أن يحصل للمصرّ في الكباير محبة راسخة لبعضها ، بحيث يغلب على قلبه ذكرها ، فيتصور له عند الموت صورتها ، فيحيل لاقترافها ، فيقبض عليه ، ووجه روحه إلى عالم الطبيعة ، فيكون ناكساً رأسه إلى الدنيا ، فيحجب بذلك عن الله ، وإذا حجب عن ربه نزل العذاب ، وظهرت آثار الذنوب ، فإنّ الإنسان يموت على ما عاش عليه ، ويحيى على ما مات عليه ، أى يكون عند موته حاله على ما غلب على قلبه من نور الأعمال ، وظلمتها اللذين يجبران الثواب ، والعقاب ، بل هما عين الثواب والعقاب ، ولكن على غير صورتها الجزائية ، فإذا انقلب وجه الروح إلى عالم البرزخ ، ينقلب صور آثار الأعمال إلى صورها البرزخية الجزائية ، فينقلب الظلم مثلاً ظلمة ، والدراهم والدنانير الزكوية التي يدخل بها ، ناراً فتكوى بها جبهته ، وظهره ، وقد أشرنا سابقاً إلى أن لكل شيء في كل عالم صورة ، غير صورته في العالم الآخر ، وذكرت أن من هذا الباب ما يرى في المنام بعض الأحوال الآتية بصورها البرزخية ، فيعبره من يعرف حقايق الصور البرزخية ، فينطبق الأمر على ما عبّر ، مثلاً رأى زجل في زمان الحجاج أن على جدار مسجد رسول الله ﷺ حمامة بيضاء جميلة ، فإذا جاء صقر فصادها ، وحكى رؤياه على ابن سيرين ، قال : كان رؤياك هذا صدقاً ، يتزوج الحجاج ابنة عبد الله ابن جعفر ، وما مضت أيام حتى تزوجها الحجاج ، وسئل عن المعبر عن وجه تعبيره ، قال : أن المسجد صورة بيت شريف ، والحمامة صورة بنات الشرفاء ، والصقر صورة الرجل القاهر الجبار ، ولم يكن اليوم في المدينة بيت أشرف من هذا البيت ، ولم يكن بها أجهل من بنت عبد الله ، ولم يكن في الرجال أقهر وأجبر من حجاج ، ولذا عبّرته بهذا التعبير ، فإذا الحقايق لها صور بحسب العوالم ، فإذا معنى سوء الخاتمة ، أن يكون الإنسان في مدّة

عمره ، كسب لروحه آثاراً ظلمانيةً ناريةً سميّة ، ويظهر عند قرب الموت على المحتضر ما هو الأغلب على قلبه ، وروحه من الآثار والأحوال ، فيميل إليه ويبقى روحه عند قبضه على حال من الأحوال على ذلك الحال ، ويبقى بصورته البرزخية ، فيكون معدّ بآبئه ، حتّى ينقضى ويتمّ الأثر ، ويظهر نور الايمان الضعيف عند انقضاء الظلمة للأعمال الراسخة ، فيأخذه روح الله ، ويردّ عفوه ، هذا إذا كانت آثار الأعمال القبيحة ضعيفة ، وقد يكون قوّة بحيث لا يتمّ في البرزخ ، ويبقى ليوم البعث ، وينقلب على صورها المناسبة لعالم القيامة ، وينقضى في خلال هذه المدة في بعض مواقفها ، أو يقوى من ذلك أيضاً ، فيدخل في جهنّم فيقضى فيها .

لا يقال : هذا الذي ذكرت إنّما هو آثار الأعمال ، ومقتضيات الصفات فأين الثواب والعقاب ، ورحمة الله وقهره ، وعفوه وأخذه .

قلت : إنّ الآثار إنّما هو الثواب والعقاب ، الذين يخلقهما خالق الأشياء كلّها برحمته ، وقهره وعفوه وأخذه نظير ما ترى في الدنيا ، أنّك تقول رزقني الله ولداً ، أي جعل مائك الذي خلقه في صلبك في رحم زوجتك ولداً ، أي وهب لمائك في رحم زوجتك الأثر الذي أودعه فيه بحكمه ، وحكمته وعادة الله بمقتضى حكمته جارية لخلق الأشياء بالأسباب في الدنيا والآخرة ، وذلك لا ينافي نسبة الآثار إلى الله ورحمته ، وغضبه ولطفه وقهره ، ولا ينافي ان يسمّى ثواباً وعقاباً ، فإنّ الثواب هو أن يكون مملك مقتضياً لأن يهبك الله ما حكم بمملك هذا من الآثار الخيرية ، من الجنان والقصور والحدود ، وهكذا العقاب أن يخلق الله من مملك ناراً تمعّذب بها ، هذا كلّهما إنّما هو قضية بعض القواعد العبدية ، وحكم ما يرى من عادة الله الجارية في عالمنا ، وبعض العوالم القريبة من عالم المحسّ ، والذي وضّل إلينا حكمه من الشرايع

من ساير العوالم ، ولعلّه لا بأس به بحكم الشرع والعقل بل والكشف أيضاً ، وبالجمله ليس سوء الخاتمة إلا أثر الأعمال السابقة ، وليست هي إلا حكم ما اقتضته الصفات الذاتية ، فظهرت في الجوارح بصورة الأعمال القبيحة ، ليتمّ بذلك حجة الله البالغة في حكمه ، وليست الصفات إلا بحكم ما وهبه الله بحكمته ، وعدله وجوده للذوات ، حيث سئلت عن ربّها بلسان حال استعدادها ذلك ، فمعنى قول المحقّقين أنا نخاف من اليوم السابق هو هذا المعنى ، يعنون بذلك أنا نخاف من اليوم الذي اوجدنا ربّنا ، وسئلت لسان حال ذواتنا من الله هذه الصفات التي تصير منشأً للأعمال القبيحة ، والميل إلى عالم الطبيعة ، والاخلاد الى الأرض ، حتّى حجبنا بذلك عن لقاء ربّنا وقربه وكرامته ، وقيدنا بقيود هذه الصفات الرزيلة ، في سجن عالم الطبيعة المظلمة ، هذا والذي يتفاوت به الأمر ، انّ الاصطلاح انما قيد استعمال لفظة سوء الخاتمة بما إذا كان ظهور الشقاوة عند الموت ، بخلاف ما ستر ظاهراً للعامة من حسن الحال ، وهذا الاصطلاح لا بأس به ، والفرق بين المعنى اللغوي ، والاصطلاحى بالعموم والخصوص ، فإنّ المعنى اللغوي يصدق على كلّ من ختم له بسوء حال وشقاوة ، والاصطلاح لا يصدق من هؤلاء إلا على من كان ظاهر حاله قبل الموت عند العامة حسناً ، فظهرت عند الموت أمر باطنه ، من الخبث والشقاء ، وختم له به .

وبالجمله قد يقال : انّ السبب لسوء الخاتمة بالكفر والجحود

أمران :

أحدهما أن يمتدّد الإنسان في ذات الله ، وصفاته وأفعاله خلاف الحق ويرى عند قرب الموت حين كشف له عن بعض الحقائق ، خلاف ما اعتقده ، فيصير ذلك سبباً لفكّه في ساير معارف إيمانه ، فيختم له بالشكّ ، والزهد

والصلاح لا ينجى من هذا الخطر، كذا قيل، ولكن ظنني أن الزهد والصلاح الواقعيين ينجيان منه بالخاصية، أما من سببه أو من نفسه، بل السبب القريب للوقوع في خلاف الواقع من العقائد، ليس إلا اتباع الهوى والفساد قيل: والبله بمعزل عن هذا الخطر، ولم اتحقق كونه بمعزل، لأنهم غالباً يعتقدون بعض الأمور الغير الواقعية، فإذا رأوا بطلانه يصير ذلك سبباً لشكهم في غيره من عقائدهم الحقّة، نعم يمكن أن يدعى أن ذلك يقلّ فيهم، من جهة أنهم لا اعتقاد لهم راسخة في باب الصفات والأسماء، ويبالى أن المنجى من هذا الخطر بعد فضل الله أن يكون المؤمن فطناً، قليل الوثوق بنظره و فهمه، ولا يكون قطعاً، متسكلاً على الله في نجاته من الكفر والهلاك، و كثير الدعاء في ذلك، بقوله: اللهم ثبتني على دينك، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، أو يقول: اللهم عرفني نفسك، فأنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني نبيك، فأنك إن لم تعرفني نبيك، لم أعرف حجبتك، اللهم عرفني حجبتك فأنك إن لم تعرفني حجبتك، ضللت عن ديني. كما ورد به الرواية^(١)، ويكون ثابتاً في الإيمان الاجمالي، بأن جميع ما جاء به محمد ﷺ وأوصيائه عليهم السلام حق، نعم ليس البحث عن الكلام^(٢) لأغلب الناس حسن العاقبة، لا سيما مع الاشتغال بالجدال كما ورد النهي عنه، فالاولى في تحصيل المعارف طريق المجاهدة في تزكية النفس، و دوام الذكروالفكر والدعاء.

(١) كما في اكمال الدين للصدوق عليه الرحمة على ما نقل +

(٢) يعني البحث في علم الكلام لأغلب الناس ليس - بنا - لأن أغلب مباحثها مطالب قشرية لا واقع لها، فيظن الجاهل أن تلك المطالب حق، فإذا عاين عالم البرزخ، أو غيرها من المواقف عند الموت، يرى خلاف ذلك فينكرها فيغتم له بسوء العاقبة نموذجاً بالله منه.

وثانيهما هو ضعف الايمان في الأصل ، ثم استيلاء حب الدنيا على القلب ، وإذا ضعف الايمان ضعف حب الله ، وقوى حب الدنيا ، ويغلب القوى على الضعيف ، حتى لا يبقى موضع لحب الله ، إلا من جهة حديث النفس ، ولا يظهر له أثر في مخالفة الهوى والشيطان ، فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات ، واقتراف المعاصي ، حتى يظلم القلب ، ويقسو ، ويسود من تراكم ظلمة الذنوب ، ولا يزال يطفى نور الايمان ، حتى يصير زينةً قطعاً ، وإذا جاءت سكرات الموت وأيقن فراق الدنيا المحبوبة ، واستشعر ان ذلك من الله يخشى ان يؤثر في باطنه حب الدنيا ، وألم فراقها ، بحيث ينكر تقدير الله لذلك ، بل يتبدل الحب الضعيف بالبنفس ، فإن ختم له في تلك اللحظة ، مات مبغضاً لله ، وهذه الخاتمة اسوء من الأولى ، هذا وقد ورد في بعض المعاصي أيضاً كتارك الحج مثلاً ، أن يموت ^(١) يهودياً ، أو نصرانياً ، وهذا بالخاصية .

وأما سبب سوء الخاتمة بالفسق والعصيان ، فهو ان يكون إيمانه قوياً أيضاً ، ولكن يكون مع ذلك مقارفاً للذنوب ، ومنهمكاً في الشهوات ، فيصير سبباً لان يتمثل ما يشتهي عند اضطراب الروح ، وضعف العقل ، ويميل إليه ، ويقبض عليه ، وهو راغب إلى معصية الله ، فيصير محجوباً عن الله ويصير ذلك سبباً للعذاب ، ولكن دون عذاب الأولين ، ويكون موقناً بقدر غلبة ظلمة المعاصي على سر القلب ، وهذا الذي يرجي له العفو والمغفرة ، والشفاعات ، وكثير الذكر بالله وباليوم الآخر ، وكثير المواظبة على الطاعات

(١) كما في الوسائل نقلاً عن كتاب المتبر للمحقق العلي (ره) عن النبي صلى الله عليه وآله .

قال صلى الله عليه وآله : من مات ولم يعرج ، فلا عليه ان يموت يهودياً أو نصرانياً .

بعيد من هذه الخطورة ، لأن القلب عند ضعفه ، وميله إلى الباطن يتصور فيه ما علب عليه ذكره سابقاً ، وارتسخ فيه محبته ، ويتمثل له ذلك فيشتغل به جوارحه .

كما حكى أن بقالاً كان يموت ، وبلغه أهله عند موته بالشهادتين وهو يقول : ستة ، خمسة ، أربعة ، كلما يذكر الملقن له الشهادتين ، وهو مشغول بذكر هذه الألفاظ التي أكثر التلقظ بها في حياته ، حتى رسخ في قلبه ، قيل : وإنما المخوف عند الموت خاطر سوء يخطر فقط ، وهو الذي قال رسول الله ﷺ : أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة ، حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فوق^(١) ناقة ، فيختم له بما سبق به الكتاب ولهذا أعظم خوف العارفين من ذلك ، لأن الإنسان لو أراد أن لا يرى في المنام إلا أحوال الصالحين ، وأحوال العبادات والطاعات ، عسر عليه ذلك ، وإن كان للمواظبة على الصلاح والعبادات مدخلا فيه انتهى ، ولا يذهب عليك أن العمل خمسين سنة بعمل أهل الجنة ، ليس المراد منه العمل الخالص ، بل مطلق العمل فإن العمل الخالص في هذه المدة ، ينجى قطعاً عن سوء الخاتمة ، بل ليس سوء الخاتمة إلا من آثار عدم الاخلاص في العبودية ، نظير عبادة إبليس ، وخوف العارفين إنما هو من جهة الصدق ، والاخلاص ، باحتمال أن يكونوا مقصرين في الاخلاص مشتبهي في اعتقادهم الاخلاص .

فصل في الرجاء وحقيقته .

أقول : حقيقة الرجاء هوارتياح القلب لا انتظار المحبوب ، وله اطلاقان : الأول العام يطلق على مجرد الارتياح المذكور ، سواء كان غروراً ،

(١) الفواق بالفتح والضم : ما بين العليتين من الوقت .

وقيل : ما بين فتح يد العالب وقبضها ، ومنه قولهم : امهلني قدر فواق حالب .

وحاقة أو تمنى ، ورجاء خاصاً ، والاطلاق الثاني في مقابل الغرور ، والحاقة والتمنى ، وهو الارتياح للمحبوب ، إذا كان احتمال وجوده قريباً ، وهو لا يكون إلا إذا كان الباقي من أسباب وجوده قليلاً ، وشيئاً قريب الحصول للأكثر ، أو شيئاً بعيد الحصول ، وأما إذا كان احتمال الوجود بعيداً غاية البعد ، بحيث لا ينتظره العقلاء ، فاسم الغرور والحمدق أصدق عليه من اسم الرجاء ، وأما إذا كان احتمال وجوده عند الرجل من جهة عدم علمه بوجود الأسباب ، أو عدمها أو قربها أو بعدها ، فهو التمنى ، وميزان معرفته درجة الاحتمال ، أن يكون هذا الاحتمال مؤثراً في طلب المرجو ، ويصدق العقلاء فإن كل ما يريده الإنسان ، ويطلبه لها أسباب كثيرة مختلفة ، وقد يكون بعضها في اختياره ، وقد لا يكون ، والمطلوبات الشرعية من قبيل الأول ، وحينئذ نقول : الموجود الذي لم يوجد بعد ، أما أن يكون أغلب أسبابه التي خارجة عن قدرة المكلف موجودة ، وكان الباقي قريب الحصول ، أم لا ، وأيضاً أما أن يعلم المكلف بذلك ، أم لا وفي الصور كلها أما أن يأخذ في تحصيل مقدماته التي بيده أم لا فصل ثمانية معان :

الأول : ما يكون أغلب الأسباب موجوداً والباقي قريب الحصول والمكلف يعلم به ، ويأخذ في تحصيل مقدماته التي بيده ، فهذا هو الراجح الصادق في رجائه .

والثاني وهو الذي كذلك ، ولكن لا يعلم به المكلف ، ومع ذلك يأخذ في المقدمات ، وهو التمنى .

والثالث هو الذي كذلك ، وهو يعلم ، ولكن لا يأخذ في مقدماته التي بيده ، وهو المضيق المهمل ، وله رجاء كاذب ، فإن من لاجى شيئاً طلبه ،

والرابع أن لا يكون الأغلب موجوداً ، وكان الباقي بعيد الحصول ،

وهو يعلم بذلك ، ومعذلك يأخذ في تحصيل المقدمات ، فهو الأحق .
والخامس أن يكون كذلك ، ولكن لا يعلم به ، ويأخذ في التحصيل ،
وهذا أيضاً كالثاني .

والسادس أن يكون كذلك ، وهو يعلم ، ولا يأخذ ، وهو يدعى الرجاء
وهذا مفرور ، و الذي لا يعلم بكيفية الأسباب ، ولا يأخذ سواء كان الباقي
قريب الحصول ، أو بعيد ، فإن ادعى الرجاء فرجائه كاذب ، وهو في ادعائه
مفرور ، والسر في الحكم بكذب الرجاء في صور عدم اشتغال المكلف بتحصيل
المقدمات التي يبدى ، هو أن الرجاء الصادق عبارة عن علم يصير سبباً لصفة
تؤثر في فعل ، فإذا لم يؤثر العلم في الصفة ، لا يطلق عليه الرجاء اصلاً ،
وإذا أثر في الصفة ، ولكن الصفة لم تؤثر أثرها المتوقع منها ، يكون
وجودها كعدمها ، فيطلق عليها أنها كاذبة .

بيان ذلك أن الرجاء لا يكون إلا بانتظار الشيء المحبوب للراجي ،
فإذا وجد المحبة ، وجد الطلب لأن الإنسان طالب للخير والسعادة ، وإذا
وجد الطلب لابد أن يوجد الإرادة والعزم ، فيتحرك العضلات ، ويتحرك
الأعضاء نحو المطلوب ، وتحصيله ، ولذا ورد ^(١) من رجا شيئاً طلبه ، ومن
خاف من شيء هرب منه .

هذا وقد مثل علماء الأخلاق مثلاً ، للرجاء ، واخوانه بالبشر ، فإن
الإنسان إذالقى حنطة جيدة مثلاً ، في أرض صالحة ذاتاً وصفة ، وكانت في
بلاد كثيرة الأمطار ، ثم أسده بالنقبة ، وإصلاح الأرض ، وكلما يحتاج إليه
الزرع ، ثم جلس ينتظر أن يتفضل خالق الأشياء من زرع حنطة ، أضعاف

(١) كما في نهج البلاغة لولي الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام
وكما في الكافي من ابن أبي نجران عن أبي عبد الله عليه السلام ورواية علي بن
محمّد في باب الخوف والرجاء .

ما زرعه من البذر كان هذا راجياً ، وصادقاً في الرجاء ، ولكن إذا ألقى شعيراً ، وانتظر حنطة ، أو ألقى في أرض سبخة غير صالحة ، وأرض لا يصل إليه الماء بالسوق ، أو بالمطر ، وجلس ينتظر زرعاً كاملاً صحيحاً ، هذا أحق مغرور ، مثله فيما نحن فيه من ألقى حبّ الرّياء في القلب ، وانتظر ان يحصد نور العمل الخالص ، أو قرء القرآن أو شيئاً من الذكر والدعاء ، والمناجات ، ولكن قلبه مسنغرق في ذكر الدنيا ، ومشغول بها ، وبهمومها ، أو فرثها بقلقة اللسان ، لا عن حضور القلب وهو ينتظر القبول ، أو أن يفتح له أبواب أسرار القرآن ، أو يجد لذّة الذكر والمناجات ، وإن ألقى بذره في أرض صالحة يصل إليها الماء من الأنهار ، ولكن تركها لا يتعاهد البذر ، ولا الأرض بدقية وسوق ماء ، ونحوه جلس ينتظر الزرع الصحيح ، فهو كاذب في رجائه ومغرور في انتظاره لأن الانتظار للمحال العادي غرور ، وإذا ألقى البذر في أرض صالحة من جميع الجهات ، وأتى بجميع ما يصلحها للزرع ، ولكن لاماء لها إلا الأمطار ، وكان البلد من البلاد التي لا يعتاد فيها كثرة الأمطار ، فانتظر ان يحى المطر في هذه السنة بخلاف السنين الماضية ، يسمّى ذلك تمنّياً ، ومثاله من الشرعيّات لمن يقوم أمثالنا من أبناء الدنيا للمتهجد في لياليه ، ويتضرّع ويتباكى ، ويدعو الله أن يجعل قلبه متأثراً بوجدان لذّة المناجات ، وقرء القرآن ويتدبّر ويفقه معانيه ، ولكن قلبه متلوّث بحبّ الدنيا ، وهو ينتظر أن يفهم أسرار هذا أيضاً تمنّي ، ولكن ليس متمنعاً أن يأخذ نفعة من نفحات ربّه ، فيصل إلى امنّيته بسببها .

قال الغزالي : وقد علم أرباب القلوب ، إنّ الدنيا زرع الآخرة ، والقلب كالأرض ، والإيمان كالبذر فيه ، والطاعات جارية مجرى تغليب الأرض ومجرى حفر الأنهار ، وسياقة الماء إليها ، والقلب المستهتر بالدنيا ، المستغرق

بها الأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ، ويوم القيمة يوم الحصاد ، ولا يحصد أحد إلّا ما زرع ، ولا ينمو زرع إلّا من بذر الايمان ، وقلّما ينفع ايمان مع خبث القلب ، وسوء اخلاقه كما لا ينمو زرع في أرض سبخة .

أقول : هذا التشبيه صريح قوله تعالى : « ومن يرد حرث الدنيا تؤته منها ، ومن يرد حرث الآخرة نزر في حرثه » ، وقوله ﷺ : الدنيا مزرعة الآخرة ، وأمّا الدليل النقلي على نفي حقيقة الرجاء لمن لم يجاهد في سبيل الله قوله تعالى : « والذين آمنوا ، وهاجروا ، وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله » حيث حصر الرجاء فيهم ، وفي سورة الشمس ، دلالة على عدم انتفاع الرجل إلّا بالقلب المزكّى ، وقال رسول الله ﷺ : فيما روى عنه الفريقان : الأحق من اتبع نفسه هويها ، وتمنى على الله الجنة ، قيل ^(١) للصادق عليه السلام إن قوماً من مواليك يلمتّون بالمعاصي ، ويقولون نرجو ، فقال : كذبوا ليسوا لنا جموأل ولئلك قوم ترجّحت بهم الأمانى ، من رجأ شيئاً عمل له ، من خاف شيئاً هرب منه ، وقال ^(٢) لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى يكون خائفاً راجياً ولا يكون خائفاً راجياً حتّى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو .

وليت شعري ما بالذا لا نشك في حق من ألقى الشعير على أرضه ، وانتظر الحنطة ، ولكن منتظر ان يحصد من يذر النفاق محصول الايمان والاخلاص ، والله تعالى يقول : « ليس للإنسان إلّا ما سعى ، وإن سعيه سوف يري » .

فإن قلت : إن الأخبار صريحة ^(٣) في أن من ظن بالله خيراً الله يستحيى

(١) كما في الكافي في رواية علي بن محمد عن الصادق عليه السلام .

(٢) في الكافي ايضاً عن الحسن بن ابى سارة في باب الغرور والرجاء .

(٣) كما في الكافي باب حسن الظن بالله عن بريد بن معاوية و سيأتي الإشارة إليها ايضاً .

أن يحرمه من ذلك ، وإن الله تعالى عند^(١) حسن ظن عبده المؤمن ، فإن من عمل بالمعاصي وحسن ظنه بالله أنه يغفره بل يعامله بكرم عفو ، فيبدل سيئاته بأصافها من الحسنات ، فمقتضى هذه الأخبار أن الله تعالى يعامله بما ظنه من هذه المغفرة ، والعفو والكرم .

قلت هو كذلك ، ولا منافات بينه وبين قوله تعالى : ان ليس للانسان إلا ما سعى ، لأن حسن الظن بالله بهذه الدرجة امر عظيم ، لا يمكن حصوله إلا بصحي بلبح ، وهو ، مقام من لا يرى في الوجود ضاراً ، ولا نافعاً الاثني يكون وثوقه بعناية الله أكثر من اعتقاده بتأثير الأسباب ، وهذا المقام لا يبلغ بالهويانا ، نعم دعواه كثير ، ولكن حقيقته لا يوجد إلا في الاوحدى من الاولياء ومن كان هذا حاله فعليه ان لا يخاف في الدنيا أحداً . بل شيئاً من الأشياء ، ويشق بعناية الله في الامور الدنيوية من خيراته ، وسعاداته أكثر منه بالاسباب الدنيوية ، ومثل هذا المؤمن يكون وجود الاسباب وعنده عنده سواء ، ويكون المدح والذم عنده سواء ، فأين هذا المقام ، فمن لا يثق بضمان الله لرزقه ، فيأكل الحرام ، ويقول الله كريم ، وأنا أقول : الله كريم ، ولكن قولك هذا كلمة حق يراد بها الباطل ، وأنت لست تعتقد بكرم الله بل ولا تعتقد بصدق الله وأنه لا يخونك ، وأنت مغرور غررك بربك الكريم عدوك الغرور اللئيم ولو كنت معتقداً بصدق الله وكرمه كنت واثقاً بضمانه ، ووعدته وقسمه ، حيث أقسم في كتابه بأن رزقك يصل إليك ، ولم تنظلم أحداً في أكل ماله بالحرام وإن شئت صدق دعويك ، فانظر حالك ، وقلبك ، وعملك في الوثوق بكرمه

(١) كما في الكافي أيضاً في رواية اسماعيل بن بريع من الرضا عليه السلام .

في محاربيك الديويّة ، فإذا رأيت من قلبك وعملك تصديق هذه الدرجة من حسن الظنّ بربك ، فاقترّ عيناً ، وهنيئاً لك من مقام سنى يوصلك إلى منتهى آمالك في الدنيا والآخرة ، وإيتاك أن ترضى بدرجة دون الغاية القصوى ، من درجات المقرّبين .

فصل في أسباب الرجاء والأصل فيها صفاته الجماليّة ، قيل : وهي أكثر من ^(١) صفات الجلال .

لا يقال : إن كان الأمر على ما وصفت ، فكيف يزيد عدّة الهالكين على الناجين ،

لأنّا نقول : لا نسلم ذلك ، فإنّ نسبة الملائكة الرّوحانيين بالنسبة إلى الثقلين ، الذين فيهم طبقات الهالكين كنسبة البحر إلى القطرة ، فمثل هذه العوالم المظلمة السفليّة ، مع العوالم العالية النوريّة ، كمثل خال في وجه تمثال لصاحب جمال .

وبالجملة الأصل في الرجاء ، أن الشرّ والغضب وجودهما إنّما هو بطفيل وجود الخير والرحمة ، وهو أحد معاني سبقة الرحمة على الغضب .

ثمّ إنّ الاعتبار إنّما يحكم بقوة الرجاء ، وذلك لأنّ الإنسان إذا نظر في معاملة الله مع خلقه في هذه الدنيا ، وكثرة نعمه التي لا تحصى ، وكثرة عنايته تعالى لعدم اهمال شيء من مكملاته ، ونوافل عيشه وزينته في بدنه ، ومتعلقاته ، وأيضاً الأغلب على أهل هذه الدنيا الضيقة المظلمة ، مع أنّها أدون العوالم ، وأبعدّها من الرحمة الإلهيّة ، السلامة ، بحيث لا يتمنى

(١) صفات الجمال يطلق على الصفات الثبوتية ، و صفات الجلال على السلبية سواء كانت مصرحة أم راجحة إليها لباً ، مثل سبوح و قدوس فإنها ليست في الظاهر سلبية ولكنها راجحة إليها لباً ، إذ منهاها سلب النقيض عنه تعالى .

أهلها الموت ، فكيف بدار الحيوان الواسعة النورية .

وقد ورد أن الله أنزل على هذه الدنيا جزء من مائة جزء من رحمته
فما يوجد في هذا العالم كلها من هذا الجزء ، وإذا كان عالم الآخرة يضم الله
تعالى هذا الجزء أيضاً على أصله ، ويعامل بهذه الرحمة الكاملة مع عبده ، و
كيف كان فقد ورد في الأخبار والآيات أمور عظيمة لتقوية الرجاء .
أمّا الآيات فمنها قوله تعالى : « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ،
لا تقنطوا من رحمة الله ، فإن الله يغفر الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور
الرحيم » .

وقوله تعالى : « ولسوف يعطيك ربك فترضى » فإنه عليه السلام لا يرضى
بأن يذهب الله أحداً من أمته .

وقوله : « ومن يغفر الذنوب إلا الله » .

وقوله تعالى : « وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع
إذا دعان ، فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .
وآية الصلوة .

وقوله تعالى : « فأنذركم ناراً تملأن لا يصلوها إلا الأشقي الذي كذب
وتولى » .

وقوله : « ذلك يخوف الله به عباده » .

وقوله : « وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم » .

وقوله : « واتقوا النار التي أعدت للكافرين » .

وقوله : « وذلك ظمكم الذي برّبكم اربكم » .

أمّا الأخبار فمن الباقر عليه السلام قال : وجدنا في كتاب علي عليه السلام

أن رسول الله ﷺ قال وهو في منبره : و الذي لا إله إلا هو ، ما أعطى مؤمناً قط خيراً الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له ، وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين ، والذي لا إله إلا هو ، لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار ، إلا بسوء ظنه بالله ، وتقصيره من رجائه ، وسوء خلقه ، و اغتيابه ، والذي لا إله إلا هو ، لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن ، لأن الله كريم بيده الخيرات ، يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به ظنه ، ثم يخلف ظنه ، ورجائه ، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه .

وعن النبي ﷺ يقول الله عز وجل : أنا عند ظن عبدي ، فليظن ما شاء (١) .

وقال : لا يموتن (٢) أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله .
وقال (٣) رسول الله ﷺ : قال الله : لا يتسكل العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي ، فأنهم لو اجتهدوا ، وأتعبوا أنفسهم أعمالهم في عبادتي كانوا مقصرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي ، فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنائي ، ورفيع الدرجات العلى في جوارى ، ولكن برحمتي فليشقوا ، وفضلي فليرجوا ، وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا . فإن رحمتي عند ذلك تدركهم ، ومنيتي تبلغهم رضواني ، ومغفرتي تلبسهم عفوي ، فإني أنا الله الرحمن الرحيم ، وبذلك تسميت .

وبالجملة الذي يفهم من الأخبار أن العبد إذا أذنب ، فهو لا يخلو من أن

(١) وهذا المضمون كثير في الروايات .

(٢) كما في روضة الواعظين .

(٣) في الكافي باب حسن الظن عن أبي عبيدة العلاء عن أبي جعفر عليه السلام .

يندم منه أم لا ، وإذا ندم يكون كفارة لذنبه ، وإن لم يندم فإن اتبعه بحسنة يكون كفارة له ، وإن لم يتبعه بحسنة ، فإن لم تكن من الكبائر يكون الصلوة الخمس كفارة لما يقع بينها ، وإن لم تكن صلواته صلوة مكفرة ، فإن ابتلاه الله بعقابه في الدنيا باهداء بلاء ومصيبة إليه في دنياه ، تطهره ذلك وإلا فاستغفار الملائكة من بعده ، وإلا فشفاعة المؤمنين ، وإلا فشفاعة النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام من بعده ، وإلا فرحمة الله الواسعة ، وإن بقى بعد ذلك شيء ، وحرم من ذلك كله فيطهره الله بشدة الموت ، وإن لم يطهر فبعذاب القبر ، وإن لم يطهر فبأحوال يوم القيامة ، وإلا فبعذاب جهنم ، هذا كله تفصيل ميزان الله ، وزاد في السوم على نفسه بأن جعل الثواب على الحسنة عشرة ، والعقاب للسيئة بواحدة ، هذا أيضاً غير ما وعد من التضييف لأعمال بعض الأزمنة الخاصة ، مثل ليلة القدر ، وغيرها ، والأمكنة الخاصة ، مثل مسجد الحرام ، ومسجد الرسول ، والمشاهد المشرفة ، ونحوها ، وإن شئت أن تعرف قدر ما تلوت عليك في هذه الكلمات ، فراجع إلى ما ورد في تفصيل كل واحد منها في الأخبار .

وإذا تأملت فيها على التفصيل ، تجدك تشك في نجاة إبليس ، ولكن الخوف الحقيقي للاكياس من ضعف الايمان ، وسوء الأعمال المؤدية لسوء الخاتمة ، والموت بالكفر والجحود ، لأن ما ذكرناه كله لمن يموت مؤمناً ، وإلا فللمؤمن عند الله قدر من القدر ينجي ، لا محالة بشيء من هذه الأسباب العظيمة ، والحمد لله كما حمد الله لنفسه ، ربنا أت أئنت على نفسك ، ونحن لا نحصى ثناء عليك .

ويدلك على عظمة قدر المؤمن ما في حديث الأهرابي ، من قول النبي

(١) هو رواية اساميل بن بريع الذي تقدمت الإشارة اليه قبيل ذلك من الكافي

ﷺ إِنَّ اللَّهَ شَرَفَ الْكعبةَ وَعَظَّمَهَا ، وَلَوْ أَنَّ عَبْدًا هَدَمَهَا حجراً حجراً ،
ثمَّ أَحرقها ما بلغ جرم من استخفَّ يولي من أولياء الله ، قال الأعرابي :
ومن أولياء الله ؟ قال : المؤمنون كلهم أولياء الله .

وفيه أيضاً قال : يا رسول الله من يلي الحساب ؟ قال : الله ، قال : هو
بنفسه ؟ قال : نعم فتبسم الأعرابي ، فقال ﷺ : لم ضحكت يا أعرابي ؟
قال : إنَّ الكريم إذا قدر عفى ، وإذا حاسب سامح ، فقال النبي ﷺ :
صدق الأعرابي ، ألا لا كريم أكرم من الله ، هو أكرم الأكرمين ، ثم قال :
فقه الأعرابي .

وبالجملة قد ورد الآيات ، والأخبار مختلفة يقوِّي الرجاء ، ولكن
علماء الأخلاق من جهة إنَّ الغالب على الناس ، أن إذا سمعوا شيئاً منها
يجعلونه سبباً لترك العمل ، وترك المبالاة في الدين ، ولا يؤثر فيهم الرجاء
الواقعي الذي هو مشوق ومرغَّب في الطلب ، كما سمعته يظنون بذكرها
ولكن الأولى الاقتداء في ذلك بأنبياء الله ﷺ في ضبطها في الشريعة ، وعدم
إخفائها كليّة ، ولكن قد يعاملون مع الناس في الموارد الجزئية هذه المعاملة
مثلاً إذا رأوا من عليه الكسل ، وعدم المبالاة بأمر دينه كعامّة الناس ،
يكثرون عنده ذكر أسباب الخوف ، ليسوقوه بسوط الله إلى الجادة القويمة ،
وإن رأوا أحياناً من غلب عليه الخوف ، وقلَّ رجاءه بحيث مال إلى القنوط
يكثرون عليه من ذكر آيات الرحمة ، وأسباب الرجاء ، ويقودونه بذلك عن
الميل إلى القنوط الذي فيه هلاكه إلى الطريقة الوسطى ، والمهجة البيضاء ،
فإنَّ الصراط المستقيم الذي أنعم الله به على عباده ، هو أن يكون الخوف
والرجاء فيهما متساويين إلى قرب موته ، فالأولى أن يترك حديث الخوف ،
ويشتغل بأخبار الرجاء ليزيده ذلك شوق اللّقاء ، ولا يكدره الخوف وهو ليس

بنفسه من الصفات الجميلة ، ولكنّه مرغوب لفائدة منع النفس عن الشهوات والمعاصي ، وإذا تمّ وقت العمل فلا يبقى فيه حسن من جهة تكديره شوق اللقاء ، ولذّة الانس يكون مضرّاً فرغب عنه ، ولذلك قيل : إنّ العمل على الرجاء اعلى منه على الخوف ، لأنّ الرجاء يزيد في الحب ، ويقوي لذّة الانس ، نعم لأهل المحبّة أيضاً خوف أشدّ من خوف ساير الأصناف ، وهو خوف الوقوف ، والاعراض ، والحجاب ، ولكنّه خوف كامل لا يكدر اشعار أسبابه لذّة المؤانسة . وقلّ ما يحتاجون إليه أهله ، وقد يباليهم بذلك ما يظهر منهم من الغلق ، والاضطراب على غيرهم من السالكين ، ويباهي بهم ملائكة المقرّبين .

خاتمة قد ورد في الأخبار : إنّ الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله فليخلط الوعظ في وعظهم من ذكر أسباب كليهما ، ولكن من جهة أنّ الغالب على العامّة الأمن من مكر الله وسخطه ، فليكثر من أسباب الخوف ، ولا يلتفت لشكوى المستمعين اكثرت من التخويف ، وليلاحظ هو بنفسه احوالهم ، لا يدرون ما الخوف والقنوط والرجاء ، والأمن ، وشكوايهم إنّما هو ممّا يجدونه من ألم أوّل درجة الخوف ، فيحسبونه قنوطاً وإلا فكيف لا يرى فيهم أثر الخوف ، وكيف تجاوزوا الخوف ، وبلغوا القنوط ولم يباشروا به ، أو جازلهم العفوة ، فإنّ من لم يخف قط خوفاً يمعنه عن المعصية ، كيف يدعى شدّة الخوف ، وتجاوزهم عن حد الاعتدال إلى القنوط بل ليس قنوطهم ومنهم إلاّ من جهة انتفاء الموضوع في قلوبهم ، فإنّ القنوط تجاوز الخوف عن حدّ الاعتدال ، وهو يستدعي ان يعتقد مخوفاً ، ويتذكّر شدّته وبأسه ، ثمّ يقلب ألم احتراقه في القلب ، بحيث يئأس عن النجاة منه

وأين لأهل الدنيا والمشعوفين بحبها ، والمنهمكين في شهواتها ، والمشغولين على التطلّاب بحطامها من اعتقاد صادق ، وإن وجد فأين لهم من ذكر الآخرة وشدة عذابها ، فضلا عن غيبة ألم الخوف بحيث يتجاوز إلى حدّ القنوط ، بل إن وجد فيهم يأْس من رحمة الله ، فهو من جهة عدم صدق اعتقادهم بالله ، وشدة سخطه ، كما أن الأمن عبارة عن تجاوز الرّجاء عن حدّ الاعتدال ، وهو يستدعي أن يعتقد في الله تعالى عناية ورحمة واسعة ، وينقلب رجائه بحيث ينسى احتمال التخلف عنه ، فينقلب الرجاء إلى الأمن ، وابن لعشاق الدنيا هذا الاعتقاد . لصادق ، ثمّ أين في قلوبهم محلّ لذكر الله ورحمته ، فضلا عن غيبة ذلك حتّى ينسى جانب الخلاف ، فينقلب إلى الأمن ، بل أمنهم أيضاً مثل يأْسهم من شأنه عدم صدق عقايدهم بالله ، ورحمته ، وفضله وهبته ، فالسبب في شكوكهم ليس الأمن جهة أن ماذا كره أسباب الخوف بولم القلب ، ولو في الجملة ، والالام مكروه بالقرائن ، و الإنسان مجبول بالفرار منه ، والنفس والشيطان يريدان دفع ألم الخوف ، لكيلا ينقص عليه عيشه وشغله بالدنيا ، فيدلسان عليه الامر ، فيرى أن خوفه تجاوز عن الحدّ ، ونعم ما كان يقول في جواب هذه الشكوى بعض المعاصرين ره كان يقول : لا تخف فانك لا تخاف قطعا ، ثمّ إن ما ذكرنا من مرجوحية جانب الترجية لمن ابتلى بوعظ العامة ، انما هو في حق من يرجي بالاسباب الصادقة الواردة في الشرع ، وانما من يرجي الناس بالاسباب الكاذبة ، ويفترى على الله فهم شياطين الناس ، وقطاع طريق السالكين الى الله ، وهم اولياء الشياطين ، قد دلسوا الامر ، وغشوا للمسلمين في التلبّيس بلباس أهل العلم ، والوعظ ، والاشتغال بصورة الوعظ ، فيحرّقون الكلم عن مواضعه ، ويفسّرون الايات والاخبار من عند انفسهم ، مثلاً يقول الرّياء في الرثاء معفو ، ويستدلّ لذلك باخبار التباكي ، ثمّ يذكر ، ويرثي برثاء

كاذب ، ويعرض على المستمعين ، ويشوقهم الى الصبيحة ، و التباكى ثم يقسم بالافساح العظيمة ، والايمان المؤكدة ، ان أهل المجلس قد غفرت لهم ذنوبهم ، وهكذا يذكر شيئاً من العبادات من صلوة وصوم ، يقول : صل مثلاً في هذه الليلة هذه الصلوة ، ثم اذهب حيث شئت ، وقد غفر لك ، و العاصي المسكين يفتتر بقوله ، ويستريح قلبه من الخوف الكامن في قلبه بمقتضى ايمانه ، فيشتاق نفسه إلى حضور مجلس هذا الرجل من جهة اربياح قلبه عن الم خوف الله ، وهو يرى انه مجلس ذكر ، و علم وله في حضور هذا المجلس مثوبات مجالس العلم ، مثلاً فيجلس فيه ساعة و يتخيل انه اساب أجر مائة شهيد ، والعياذ بالله من الضلال ، والاضلال ، وليكن هذا اخر ما نورد في الخوف والرجاء ، ثم إنتهى تقدم بالخوف ، و اختتم بالرجاء تفألاً بأن يختم الله لي بزيادة الرجاء على الخوف ،

فصل في القيام ، وهو مسئول بين يدي الله للخدمة و العبادة و اظهار العبودية بالقلب والجوارح كلها ، و كمال قيام البدن أن يكون على طمأنينة وسكون وهيبة وحياء ، مطاطاً راسه ناظراً الى موضع سجوده مقيماً تحره و صلبه مرسلأ يديه على فخذه ، غير عابث بهما ، ولا مشتغل برفع رجله ، و مستقبلأ برؤس اصابع رجله إلى القبلة ، وصافاً بهما إليها ، و فاصلاً بينهما باصبع إلى شبر ، وثابتاً عليهما ، و كمال مثل القلب أن يكون ذا كراً لقوله تعالى الذي يريك حين تقوم ، وأن يكون سكون عليه تحت الاوامر الالهية وخجل واستحياء من استشعار القصور ، والتقصير ، في همته لاداء حق العبودية بقدر الامكان ، ومشيراً بارسال اليدين ، وصف القدمين للكون في مقام الخدمة ، واقفاً على قدم الخوف والرجاء ، وقاصداً باطراق الرأس التبري من الكبر و التراس ، وليكن ذا كرا الهول المطلع ، وليقدر في نفسه لاحالة انه حاضر بين

يدى واحد من ملوك الدنيا ، خائناً مقصراً ، فكيف يكون حاله ، ويكون
بشرار وجوده ناظراً إلى ما يصدر عنه من عتاب ، وخطاب ، ورد ، وقبول ، و
كيف تهدء اطرافه ، وتسكن جوارحه ، وإذا لم تسمح نفسه المواد باللعب
والعبث ، واللهو عن عظام الامور ، وحقائق العزائم بالجد في الخشوع ، و
الاستكانة بقدر حضور هذا الملك ، عند حضور ملك الملوك تعالى جلّت عظمته ،
فعلية ان يعاتب نفسه ، ويقول : انا استحيى يا خبيث أن يكون هو جلّ جلاله
عندك اهون من عبد مملوك لا يقدر ان نفسه نفماً ، ولا ضراً ولا موتاً ، ولا حياة
ولا نشوراً ، والى م تسلك بي مسالك المهالك ، وتجعلني عند المالكي وسيدي
اهون هالك ، فان لم يكن لك الحياء ، ولم تنفعل من الخطاء والجفاء
فعليك ان تخاف من خطر مقامك ، وسوء حالك لقبيح فعالك ، وقد ورد (١)
في الرواية قال رسول الله : أما يخاف من يحول وجهه في الصلوة ، ان يحول
الله وجهه وجه حمار .

قال بعض المحققين المراد انه اما يخاف من يلتفت عن الله ، وعظمته
في حال الصلوة ، ان يديم الله غفلته ، فيكون وجه قلبه كوجه قلب الحمار .
فبالجملة هول المطلق أمر عظيم .

روي ان الحسن (٢) عليه السلام كان يبكي عند ذكر هول المطلق ،
روي عنه عليه السلام ايضاً انه يبكي عند وفاته ، وسئل عن بكائه قال : ابكى
من هول المطلق .

فصل في النية ، وهى قصد العبادة لكونها محبوبة لنفسها لله أو خوفاً
أو طمعاً دينياً أو دنيوياً ، والواجب أن يكون خالصة لواحد من هذه الوجوه

(١) نقله الشهيد (ره) في شرح اللمعة وغيره في غيره ويألى انه نكرة بذلك .

(٢) أورده في الارشاد وفيه .

مع التعمين أو التعمين ، والإحوط الأول إلا فيما ورد فيه النص ، كصوم شهر رمضان ، ولا يضركم تخلف بعض الصفات إذا عين من بعض الجهات الأخرى ، مثلاً إذا أمر المولى بصلوة ركعتين في الوقت الفلاني ، أو المكان الفلاني ، ووجبهما فأتى بها المكلف بقصد الاستحباب اشتباها لا يضركم ، وكما إذا اشتبه عليه القضاء بالأداء ، ففعل أحدهما مكان الآخر لا يضركم ، وإذا وجد قصد المحبوبة فلا يضركم أن يكون الداعي إليها فائدة دنيوية ، ولو من باب الخاصية ، والعبرة بهذا القصد ، ولو لم يخطر بالبال .
ثم إن القصد في العبادة النية والإخلاص ، واندليل عليهما الآيات والإخبار .

كقوله تعالى : وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين .

الله الدين الخالص ،

وقوله : من كان يرجو لقاء ربه ، فليعمل عملاً صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ، وقول (١) النبي ﷺ : إنما الأعمال بالنيات ،
وقوله ﷺ : لكل أمر ما نوى ،

وقوله ﷺ (٢) ومن كانت هجرته إلى الله ورسوله ، فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها ، أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه ، وإنما قال ذلك في المهاجرة إلى الجهاد ، وصار أصلاً في جميع العبادات .

قيل أن هذا الخبر عند أصحاب الحديث من المتواتر ، وهو أول ما يعلمونه

(١) رواه في الوصائل في باب وجوب النية في العبادة وهي جزء من الرواية التي رواه في البحار عن منية المرید .

(٢) رواه في البحار عن كتاب منية المرید للشهيد (ره) ، وهي رواية طويلة نفيسة نقلها مختصراً .

اولادهم ، ويقولون : انه نصف العلم ،
وما روي ^(١) عن النبي ﷺ يقول الله تعالى : من عمل عملاً أشرك فيه
غيري ، فهو له كلفه ، وأنا منه بريء ، وأنا أغنى الاغنياء عن الشرك .
وقول ^(٢) الصادق عليه السلام : قال الله تعالى : أنا خير شريك ، من أشرك
معي غيري في عمل ، لم أقبله إلا ما كان خالصاً لي .
ومجمل القول في النية ان الصورة الواحدة لعمل واحد ، لا يشرك فيها
حقايق مختلفة ، لا يميزها الا بالمقصود ،
مثلاً صورة الانحناء ، إنما يشترك فيها التعظيم ، والاستتبراء . والتمثيل
والتعليم ، والرياء ، وقد يكون لجرّد أخذ شيء من السفلى ، أو وضعه فيه ،
و مرادنا من القصد الباعث للعمل ، فان كان الباعث للانحناء عظمة المولى ،
يسمى ذلك عبادة ، وله حكمها ، بخلاف غيرها من الأقسام المختلفة ، فلا يصدق
عليها العبادة ، بل بعضها ضد العبادة .
وهكذا القول في العبادة فانها ايضاً قد يكون للصنم ، وقد يكون لملك
من الملوك ، وقد يكون لله .

وهكذا العبادة لله قد يكون لرغبة أو رهبة ، أو تعظيم أو محبة ، أو لكونه
اهلاله ، والرغبة ، والرّهبة ايضاً ، قد يتعلّق بأمر ديني ، أو دنيوي ، وايضاً
قد يشترك في الباعث للعمل عبادة الله وشيء من الامور المذكورة غير الاضداد ،
او غير ذلك من المباحات ، والمستحبات ، فان كان الشريك من المستحبات ، كما
إذا سلّم وقصد به افشاء السنة ، وصلة الرحم و تعظيم المؤمن ، فهو وجميع ما

(١) رواه في البحار عن مسلم في الصحيح ، ولكن العبارة هكذا : روى عن النبي
صلى الله عليه وآله انه قال الله عز وجل : أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، فمن عمل
عملاً أشرك فيه غيري ، فأنا منه بريء ، فهو الذي أشرك .

(٢) رواه في الوسائل ايضاً في باب وجوب النية في العبادة .

ذُكر من وجوه عبادة الله فهو صحيح لا محالة ، وأما أن كان الشريك من المباحات
كقصد التبريد في الوضوء مثلاً ، فإن كان على وجه التبعية والتقوية ، لأعلى وجه
العلية ، فالظاهر إنه غير مضر ، وإن كان على الوجه العلية التامة ، أو كان
جزء العلة فهو مشكل ، ويجب فيه الاحتياط ، وإما إذا كان الشريك رياء
أو سمعة ، أو عبادة أحد دون الله ، فهو باطل مطلقاً ، سواء كان في ابتداء النية قبل
العمل ، أو في الانتهاء ، والمتأخر منه حرام على الظاهر ، ومحبط للأجر لما مضى
من أخبار الشريك وآياتها ، وغيرها من أخبار الشيعة ، ولا تصح إلى قول الغزالي
في هذا الباب ، من كون عبادة من أشرك الغير في نيته ذات أجر ، ووزر كل
بحسب قصده ، فإن زاد قصد القرية على قصد الغير يترجح جانب الثواب
بقدر الزيادة ، فإن أخبار أهل بيت الوحي يردّه ، وأهل البيت أدرى بما في البيت
وهكذا قول من ذهب منا إلى بطلان عبادة من تعبد من خوف النار ، أو لدخول
الجنة فإنه أيضاً خال عن التحقيق ، والمعجب من قائله كيف ذهب إلى هذا
القول ، وهو منصوس على جوازه ، بل العبادة الخالصة من الخوف ، و الرغبة
الآخرويتين ، غير ممكنة لأغلب الناس ، بل جلّهم إلا من شذّ من أهل المعرفة
الكاملين ، بل ربّما يتعبد المقرّبون أيضاً من خوف النار ، كما يشهد بعض
المناجات الواردة عن الأنبياء ، والأوصياء صلوات الله على نبينا ، وأوصيائه وعليهم
أجمعين والسرّ في ذلك ، إن ما يشاهد من أحوالهم ، ويدلّ عليه أخبارهم التي لا ريب
فيها ، أن أحوالهم مختلفة بحسب التجليات الاسمائية ، بمقتضى الحكمة
الالهية والعناية الربانية ، والذي لا يعرضه الأحوال هو الذات المنزّهة عن
جميع الصفات والحالات ، والدليل على اختلاف أحوالهم يعرف لمن تأمل في
آثارهم من ظهور الخوف الشديد ، والرجاء العظيم ، والقدرة والعجز ، و
الأخبار مما يأتي ، والتحرير فيما حضر ، والعلم بما كان ويكون ، وعدم العلم

وقوله ﷺ كلميني يا حيرا ، وظهور بعض الحالات عند نزول الوحي ،
وبالجملة كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول تارة : انا قسم الجنة والنار ،
وتارة يغشى عليه من ذكر النار ، ويقول : اه من نار تنضج الأكباد والكلى
اه من نار تزاغة للشوى ، ويغمر مغشياً عليه ،

وأيضاً كان في بعض الدرجات يقترب من اليهود ودرهما وتارة يصير التراب
فضة وزهياً ، وكيف كان لا مجال لتوهم أحد من الناس لعدم جواز التبعيض من
خوف النار ، ورجاء الجنة ، فضلاً عن أهل العلم ، فضلاً عن مثل رئيسهم و
شيخهم آية الله شيخنا العلامة الحلبي القائل بهذا القول ، ولكن امثال هذه
السقطات من هؤلاء الاجلة عبرة للمعتبرين ، ورحمة من رب العالمين لعباده
المؤمنين لئلا يسكن أحد بعلمه وعقله أو غيرهما من فضائله ، ويرى نفسه و
جميع نعم الله عنده في قبضة خالقها ومالكها ، وهو لا يقدر لنفسه نفعاً ولا ضرراً ،
ولاموتاً ولا حيوة ولا نشوراً ، ولو كان ذلك غير جائز لما صح لأغلب المؤمنين ،
ولاجازلهم شيء من العبادة ، بل ولا يكون ذلك إلا بعد الوصول إلى معارج
المقربين العارفين بالله ، وباسمائه وصفاته الذين يرون الجنة والنار سورعين
لرحمته ورضاه ، ثم التبعيد لخوف النار وطمع الجنة ، أولشيء من الاشياء
عبادة العبيد والاجراء ، رأتها الاحرار والاولياء فلهم مع معبودهم حالات لا
يلتفتون فيها إلى شيء مما سواه ، حتى أنفسهم بل ولا إلى القرب والبعد ،
فضلاً عن الجنة و النار هذا شيء ماورائه شيء ، ولكن دونه سائر مقامات
المخلصين ، ومقاصد المجاهدين في الله والمراقبة لعمالهم ، وآفات أنفسهم على
درجاتهم المتفاضلة ، فاول درجتها أن يكون العبادة خالصة من وجوه الفساد
الشرعي المبطل للعمل ، أو المحبط للاجر ، وهو اخلاص العمل عن شوائب
الرياء ، والسمعة ، والشرك الخفى ، ومهما بقي للرجل شيء من حب المدح ،

وبغض الذم فلا اطمينان له بالخلاص عن جميع وجوه هذا الشرك ، وهو خفي واخفى ، وقد ورد فيه انه اخفى من اثر ديب النمل ، في اللبلة الظلماء على الصخرة الصماء ،

ومن كواشفها ان يزيد نشاط الرجل اذا رآه أحد للعبادة . لا اقول يزيد في عبادته اذا رآه أحد ، بل اقول يزيد نشاطه الواقعي عند رؤية الناس . ومنها ان يستريح قلبه ويستلذ روحه اذا ظهرت عباداته المخفية كذا قيل ،

وقيل : أن من كواشفها أيضاً أن يرى لنفسه الفضل على غيره ممن لم يعمل عمله ، وأن يتوقع من الناس الاكرام ، والمساحة في المعاملات . وحكى عن بعض السادات الاجلاء أنه قضى صلوة ثلاثين سنة ، لأنه كان يصلي في هذه المدة صلواته مع الجماعة في الصف الاول ، وتأخر يوماً ففاته الصف الاول ، ووجد في نفسه خجلة ، وحياء من الناظرين ، واستكشف من ذلك الخجل أنه كان فيما صلاه في الصف الاول عند الناس سروراً وراحة للنفس ، فقضى جميع ماصلي في تلك المدة ،

ومن الاخلاص ان يخلص العمل عن سائر القصود المباحة ، ولو كان تبعاً لقصد العبادة مثل ما يوصف من مجاورى النجف الاشرف ، أنه كان في أيام العاشورا في البلدة المباركة مجالس قائمة لعزاء الامام الشهيد ارواح العالمين فداء ، وكنت أرى نفسى مائلة الى واحدة من هذه المجالس دون غيرها ، ولم افهم وجه الترجيح ، وعلمت لرغبتى لهذا المجلس ان للنفس فيه مدخلا ، و تفكرت ولم ار شيئاً زايداً فيه من حظوظ النفس ليس في غيره ، ثم بالفت في التفكير ، فظهر لي بعد اللتيا واللتى ، ان اختياري لهذا المجلس لم يكن خالصاً من جميع جهات حظوظ النفس ، وكيف كان للاخلاص مراتب ، لا يمكن

تحصيلها الا لمن هداه الله من فضله ، واعطاء الحكمة وجعلها نورا وشفاها لصدوره وبصره حيل نفسه الفرور ومداخل عدوه الكفور الشرور ، وابتدءه بجنوده وسدده حتى خالص عمله عن الافات كلها ، وآخر درجاتها أن يكون العمل خالصاً من شوب جميع الرغبات ، حتى الاخرية منها ويكون العبادة خالصة لوجه الله ، وباعثها حبه تعالى ، وكونه اهلاله ، ولذا ^(١) ورد في حقيقته ان تقول ربّي الله ثم تستقيم كما امرت وتعمل لله لا محب أن تحمد عليه .

وروي ^(٢) عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : طوبى لمن اخلص لله العبادة والدعاء ، ولم يشغل قلبه بما ترى عيناه ، ولم ينس ذكر الله بما يسمع اذناه ، والقول البالغ في ذلك ما في المصباح ، قال الصادق عليه السلام : الاخلاص يجمع فواضل الاعمال ، وهو معنى مفتاحه القبول ، و توقيعه الرضا ، فمن تقبل الله منه ، ورضى الله عنه فهو المخلص ، وإن قلّ عمله ، ومن لا يتقبل الله منه ، فليس بمخلص وإن كثّر عمله ، اعتباراً بآدم و ابليس ، و علامة القبول وجود الاستقامة ببذل كل المحاب ، مع اصابة علم كل حركة وسكون ، و المخلص ذائب روحه وبازل مبهجته في تقويم ما به العلم و الاعمال ، و العامل والمعمول بالعمل لانه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل ، وإذا فاتته ذلك فقد فاتته الكل ، وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد ،

كما قال الاول ^(٣) : هلك العاملون إلا العابدون ، و هلك العابدون إلا العالمون ، و هلك العالمون إلا الصادقون ، و هلك الصادقون إلا المخلصون

(١) لم ينظر عليه

(٢) رواه في الوسائل في باب وجوب الاخلاص في العبادة والنية وآخر الحديث

« ولم يحزن صدوره بما اعطى غيره »

(٣) وهذه عبارة مصباح الشريفة في باب الاخلاص

وهلك المخلصون إلا المتقون ، و هلك المتقون إلا الموقنون ، وإن الموقنين
لعلى خطر عظيم ،

قال الله تعالى لنبيه واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ، وادنى حد الاخلاص
بذل العبد طاقته ، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً ، فيوجب به على ربه مكافأة بعمله ،
لعمله إنه لو طال به بقاء حق العبودية لعجز ، وادنى مقام المخلص في الدنيا
السلامة من جميع الاثم ، وفي الآخرة النجاة من النار والفوز بالجنة انتهى
والظاهر أن المراد من قوله : مفتاحه القبول ، وتوقيعه الرضا ، أنه لاسبيل
الى التخلص من شوائب الشرك الخفى إلا بفضل خاص من الله ، وهو القبول لمن
رضى له بمثل هذا المقام السنى وأن يبصره حيل النفس ومدخل الشيطان ،
بدقائق العلم ، ويوفقه ويسدده للتحرز منها ، فيكون عمله خالصاً لوجهه
الكريم ، وهذا هو العمدة ، وأن كان العمل قليلاً ، ولا عبرة بكثرة العمل إذا
لم يكن خالصاً .

كما اشير إليه في الرواية الواردة في تفسير قوله تعالى : ليلوكم ايكم
احسن عملاً ، ليس يعنى أكثركم عملاً بل اصوبكم عملاً ، و المراد من قوله
وعلمة القبول ان يعرف هذا الذي تقبله ربه ، وجعله من المخلصين ، لتلايقتر
احد بأنه ممن قبله لله ، ورضى عنه ، فجعل العلامة وجود الاستقامة ، وهو
الذي اراده الامام عليه السلام في خبر آخر في حقيقة الاخلاص بقوله : و هو ان
تقول ربى الله ثم تستقيم كما امرت ، وتعمل لله لانحب أن محمد عليه ، ولذا
قيدها بكونها ببذل كل المحاب مع اصابة علم كل حركة وسكون ، لأن
السالك إذا بقى في قلبه مراد ، ومقصود غير وجه الله لا يستقيم له الاخلاص ، فلا
يكون له بد من ان يراعى هذا المراد ، والمحبوب في حر كانه ، فهو معنى بذل
المخاب كلها ، وهذا ايضا لا يكفيه إذا لم يعلم وجه رضى ربه في حر كته وسكونه

لأنه يمكن ان لا يكون له قصد سوى وجه الله ، ولكن يجهل وجه رضاء في اعماله ، فيكون عمله عمل جاهل متفلسك ، فوجب العلم فاحتاج مرئد الاخلاص به جاهدة شديدة في تقويم علم الحركات ، والسكنات بأن يخلصها من البدع ، و الابتلاء بخلاف رضى الرب وتقويم الاعمال وتقويم نفسه وما يحصل من عمله أو حفظ عمله عن الابطال بعده كل ذلك يحتاج إلى المجاهدة الشديدة ، والصبر العظيم لتحمل الاعمال الشاقة في تحصيل العلم النافع ، وتذكية النفس فان أذبال الفروز في الاعمال اوسع مما بين العرش والفرش ، ولا اظن احدا يتخلص منه إلا من عصمه الله بلطفه ، ولذا ترى الناس يعملون عمل المقرين ، ولا ينتفعون منه بشيء . وليس ذلك إلا من جهة آفات الاعمال ، وإلا فلو كان العمل عملا ، فلا بد ان يشر نورا ، ومعرفة في القلب ، فلا يزال يزداد نوره ، حتى يكون محسوسا لكل احد ، اما سمعت ما في الحديث القدسي لا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل ، حتى اجعله مثلى الخ ، ولا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى احبته وكنيت سمعه الذي يسمع به الخ كيف يمكن ويتصور ان يكون الصلوة معراجا ، وزيارة للولا يزداد بها نور القلب وصفائه ، وزهده عن الدنيا ، و اقباله على الله ، اما سمعت قوله ﷺ : من لم تنه الصلوة عن الفحشاء والمنكر ، لا يزداد في صلواته من الله الا بعدا ،

وبالجملة من اشتغل غالب أوقاته بالعبادة نظير اغلب الناس ، لاسيما أهل العلم فان غالب شغلهم العبادة لأنه لاعادة اشرف من محصيل العلوم الربانية ولا يرى في قلبه نورا وصفاء وزيادة معرفة ، فيعلم بالقطع ان عمله معيوب ، وهو من جملة الاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ، وليحذر ان يبدوله من الله ، مالا يحتسب ، و يبدوله سيئات اعماله ، ويرى مثلا صلواته في كفة سيئاته ، وتحصيله للعلم

محصيلا للجاء والشرف ، وهكذا ،

وبالجملة يعمل في مدة عمر خمسين أو ستين سنة عمل أهل الله في زمرة أهل القدس والتقوى ويدعى في الناس بالمقدس ، ويشار إليه بالتقوى ، ويكون اسمه في الدنيا مؤمناً ومتقياً ومجاهداً في الله وفي الآخرة مراثياً وغادراً وفاجراً بل منافقاً أكافراً أو العياذ بالله من الغرور ، والشيطان الغرور ، ولا أرى ولا اعتقد داء للقلب أضرب للمسالك ، ولا أقرب إلى الهلاك من الغرور ، ولا عملاً يكون أحشر للرجل يوم الحسرة ، ولا أخسر من عمل المغرور ، وما نحن هذا المغرور ، أمجانا الله ، بفضلته من غوائله ، وما أقبح حالنا إذا رأينا في صحايف أعمالنا ، بل وجدنا في صحيفة أنفسنا ما حسبناها عبادة لله أنه كان من جملة عبادة الشيطان ، ومبعداً عن الله ، ووجدنا نورنا ظلمة ، وشفيعنا ماحلاً ، أن الله وأنا إليه راجعون ، مصيبة عظم زلزلها وجل عقابها ، فوا أسفاه من خجلتي ، واقتضاهي ، والاهفاء من سوء عملي ، واجترأحي كيف يكون حال من يلوم الناس ، ويعظمهم من مخالفة الله ، ومصيبته إذا واجههم يوم القيمة ، وهم مغفورون ، وفي وجوههم نظرة النعيم . وهذا قد أسود وجهه من ظلمة المعاصي ، ولعمري أنه مصيبة بخلاف مصائب الدنيا ، لأن مصائبها إنما كان لها سلوة بالثواب الآخروية ولصاحبها أسوة بالابرار ، ومصائب الآخرة مصائب لاسلوة منها أبداً ، ولا أسوة فيها إلا للشيطان وحزبه ، وهم أعداء الله المخذولون الملعونون ، يعمون بالله الهادي وبأسماؤه الحسنی كلما عامة أن ينجيننا من غوائل وجوه الغرور ، أو يبدل سيئاتنا بالحسنات ، فاته ولي الرغبات ، والمنجى من الهلكات ،

وبالجملة قد أشار عليه السلام بقوله : وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد ، إن الإخلاص لا يكون إلا بالنزوع عن جميع وجوه الشرك ، ولا يصح ذلك إلا لمن وحده الله في الوهيته توحيداً ، يسرى في أعماله ، فيكون موحداً بشارش

وجوده واعتقاده وعمله ، ولا يرى في ملك الله مؤثراً غير المالك الحقيقي ، فلا يرى ضاراً ولا نافعاً غير الله ، ومثل هذا الرجل كيف يبقى له مراد ومقصود غير الله ، لأن الإنسان لا يتحرك إلى شيء بحركة اختيارية إلا لما يراه خيراً ، وسعادة لنفسه أمّا في العاجل ، وهو الغالب للعامة ، أو الأجل وهو الغالب للعقلاء ، و إذا لم ير في الوجود مؤثراً غير الله ، فلا يبقى له رغبة ، ولا رغبة إلا إلى الله ، و من الله ، ويدخل في عباد الله ، ولا يكون للشيطان عليه سلطان ، لأن سلطانته في باب الإخلاص والشرك ، أمّا هو من وجوه الرغبة والرغبة ، وإذا انسدها بهما بفتح باب التوحيد ، فقد خنس اللعين .

ثم إن هذا كله بالنسبة إلى أصل الإخلاص ، وأمّا تفصيل مراتبه ، فيعلم من تفصيل مراتب معارف الإيمان ، فكل مؤمن بحسب معرفته له إخلاص لا يمكنه غيره ، ألا بالترقي عن معرفته إلى ما فوقها من المعارف ، فإن العمل للجنة والنار لا ينافي إخلاص بعض المؤمنين ، ولكن ينافي في بعض الأحيان إخلاص بعضهم ، فأنهم في بعض الاوقات لا يسمعون الالتفات إلى القرب والبعد ، فضلاً عن الجنة والنار ، هذا ويستحب للعامة أن يكون ^(١) صلوته صلوة مودع ، فكانته آخر صلوته فاتته يزيد في اقباله وخشوعه .

فصل في الاذان والاقامة ، وفيه فصول :

الاول في فضيلتهما .

عن ثواب الاممال ^(٢) باسناده عن رجل وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : من تولى اذان مسجد من مساجد الله ، فازن فيه وهو يريد وجه الله ، اعطاه الله عز وجل ثواب اربعين الف الف نبي ، واربعين الف الف صدق

(١) كما مر عن السجود عليه السلام .

(٢) نقله في البحار وغيره .

واربعين الف الف شهيد ، وادخل في شفاعته أربعين الف الف أمّة ، في كلّ أمّة أربعون الف الف رجل وكان له في كلّ جنة من الجنان أربعون الف الف مدينة ، في كلّ مدينة أربعون الف الف قصر في كلّ قصر أربعون الف الف دار ، في كلّ دار أربعون الف الف بيت في كلّ بيت أربعون الف الف سرير ، على كلّ سرير زوجة من حور العين ، سعة كلّ بيت منها مثل الدنيا أربعون الف الف مرة ، بين يدي كلّ زوجة أربعون الف الف وصيف ، وأربعون الف الف وصيفة ، في كلّ بيت أربعون الف الف مائدة ، على كلّ مائدة أربعون الف الف قصعة ، في كلّ قصعة أربعون الف الف لون من الطعام ، لو نزل به الثقلان لادخلهم في أدنى بيت من بيوتها لهم فيها ماشاؤا من الطعام والشراب ، والطيب واللباس و الثمار ، والوان التحف والطرائف من الحلوى والحلل ، كلّ بيت منها يكتفى بما فيه من هذه الاشياء عسا في البيت الآخر ، فاذا اذن المؤذن فقال : اشهدان لا إله إلا الله ، اكتبته أربعون الف الف ملك ، كلّهم يصلون عليه ، ويستغفرون له ، و كان في ظلّ الله عزّ وجلّ حتّى يفرغ : و كتب له ثوابه أربعون الف الف ملك ثمّ صعدوا به الى الله عزّ وجلّ (١) ،

وفي حديث (٢) بلال الطويل : اكتب بسم الله الرحمن الرحيم سمعت رسول الله ﷺ يقول من اذن عشر سنين اسكنه الله مع ابراهيم في قبته او في درجته و الاخبار في ان من صلى مع اذان و اقامة يصلّى معه صفّان من الملائكة فوق حدّ الاستفاضة و في بعضها ، قلت له : وكم مقدار الصفّ قال

(١) رواء في البعار من مجالس الصدوق (ره) ، وهي رواية طويلة لم ينقل صدها ولا ذيلها ، وهي مشتملة على فضائل كثيرة ، ونقل منها المؤلف (ره) فضيلة واحدة فقط .

(٢) كما في البعار عن نواب الاعمال .

أقله ما بين المشرق والمغرب ، و أكثره ما بين السماء والارض ، و روى ^(١) عن علي عليه السلام أنه قال : قال رسول الله : للمؤذن ما بين الاذان و الاقامة مثل اجر الشهيد المتشحط بدمه في سبيل الله ، قال قلت : يا رسول الله انهم يجتلدون على الاذان قال كلا انه ليأتمى على الناس زمان يطرحون الاذان على ضعفائهم ، و ذلك لحوم حرّمها الله على النار وعن ^(٢) مجالس الصدوق باسناده عن الصادق عليه السلام عن ابيه ، قال قال النبي صلى الله عليه وآله : الاومن اذن محتسبا يريد بذلك وجه الله صلى الله عليه وآله اعطاه الله ثواب اربعين الف شهيد ، و اربعين الف صديق ، و يدخل في شفاعته اربعون الف مسيء من امتى الى الجنة ، الا وان المؤذن اذا قال اشهدان لا اله الا الله صلى عليه تسعون الف ملك ، و استغفروا له ، و كان يوم القيمة في ظلّ العرش حتى يفرغ الله من حساب الخلايق ، و يكتب ثواب قوله اشهدان تحمداً ، و الله اربعون الف ملك ،

اقول : اياك ان تقول في امثال هذه المثوبات الواردة في جزاء الاعمال انها صدرت مبالغة ، لانه قول طائفة من الملاحدة ، فان استعدّ عقلك الضعيف ، فلك في رفع استعباده امران : الاول ان تعرف ان القدر المتيقن من هذه المثوبات انما هو لمن اتى حقايق هذه الاعمال خالصة لوجه الله ، ثم تنفكر في انه لا يمكن ذلك الا لواحد بعد واحد من الالوحديين ، واما امثالنا من العامة ، فلأن يكون بعض عباداته مبعدة عن الله ، و معصيته موجبة للنار احق من ان يكون

(١) في الوسائل باب استجاب تولى الاذان رواه عن الشيخ ، و رواه في البحار عن ثواب الاموال ، و في بعض الالفاظ اختلاف يسير ، ففي رواية الشيخ : يجتلدون و رواية الصدوق : يفتارون ، و في بعض النسخ : يجتازون بالخير و الرواء ، و الكل واضح .

(٢) رواه في البحار

مقرّبة اليه ﷻ ، و موجبة للمثوبات ، و انت اذا تأملت في معنى لا اله الا الله ، ورايت ان الله كلمة توحيد ، ومعناه اثبات الالهية ، والمنفردية له تعالى ، و نفيا عن غيره ، ثم تأملت في نفسك ورايتها انها تعامل مع الله في جميع تقلباتها معاملة من لا يعتقد فيه الوهية ، و انما يعتقد الالهية والمنفردية لكل من يعتقد فيه شيئا من القوة ، والقدرة من المخلوقين ، ولا يثبتها على الله ، ولا يفزع في حوائجه اليه بل الى الاسباب والوسائط ، مثل ان ترى نفسك اذا كان لهاب ذو ثروة ، وذو عدة وكفاية لمهماتك ، يطمئن له بحوائجه ، ويفزع اليه في مهماته ، و ليس تطمئن الى الله ، ولا تفزع اليه ، ولا تسكن الى وعده الرزق ، و الاجابة لدعائه اذا دعاه ، و هو مع ذلك يقول في لسانه : لا اله الا الله ، هل يكون هذا موحدًا ، و هل يصدق عليه في قوله هذا : انه موحد صادق في توحيده ، او مشرك و كاذب او عايب ، ولاخ او مستهزئ ، و منافق ، و اذا اعتقدت ان لا اله الا الله كلمة عظيمة ، لا يقدران يقولها حق قولها الا العارفون بالله ، فلا يستبعد ماورد فيه من المثوبات ، و الامر الثاني ان يتفكر في قدرة الله ، و ان جميع ماورد في الاخبار من وصف المثوبات ، والجنة انما يقدر على خلقها بارادة واحدة ، و يقول كن ، و لا مؤنة له عز وجل في خلقها و اضعاها الى غير النهاية ابدًا ، فانه يفعل ما يشاء ، و يخلق ما يريد ، و لا يؤده خلقه و حفظه ، و يتفكر في عنايته وانه جواد ، لا يبخل ، و هو اكرم الاكرمين ، و ارحم وارفع للمؤمن من الالم الشقيقة ، فاذا اجتمع لك معرفة الامرين ، و تصديقه بحقيقة التصديق لا تستبعد شيئا من ذلك فان استبعاد هذه المثوبات في انظار العامة انما هو بوجهين : احدهما استعظام امكانها و القدرة بخلقها ، وتخيل مؤنة في خلقها ، وحفظها لخالقها ، وثانيهما استحشار

موجبها ، و انما يدفعها الامران المذكوران كما هو ظاهر .

فصل ورد في بعض الاخبار ^(١) استحباب زيادة الشهادة فيهما بالولاية ، او امره المؤمنين لعلي عليه السلام مرتين بعد الشهادة بالرسالة ، و اعترف به الصدوق في رواية الشيخ والعلامة قال الصدوق : كنا نعرف الغلاة بروايتها : و ذكر الشيخ ان روايتها من المفوتنة ، ثم ذكر انه لا بأس بقولها ، اقول : اما كونها من اجزاء الاذان التي تبطل تركها ينفيه الاخبار الكثيرة ، و اما استحباب ذكرها فيهما ، فلا معارض لهذه الاخبار فيها ، و ان لم يصح اسنادها فلا بأس بالعمل بها من باب المسامحة ، و يرجي لمن قالها رجاء للثواب ان يعطيه الله ذلك الثواب ، و ان لم يكن مستحباً في الواقع ، و اما شذوذ اخبارها فهو يمنع عن العمل بها عند التعارض ، ولا معارض فيها في مجرد استحباب الذكر ،

واما قول الصدوق : ان روايتها كان عنده ميزاناً لمعرفة الغلاة ، فهو ميزان مخصوص به ، و لم يثبت لنا كما هو الشأن في بعض موازينه الاخر للزمي بالغلو .

فصل في حكمهما اما الاذان فلا اشكال في عدم وجوبه لكل صلوة للمنفرد ، و الاحوط عدم تركه في الجماعة اذا لم يجمع بين الصلوتين ، و

(٤) كما في رواية الطبرسي في الاجتماع ؛ و رواه الصدوق في الفقيه عن أبي بكر الحضرمي في مقام الطعن على الشيعة .

اقول ، ورد في روايات عديدة ، انه يستحب الشهادة على ولاية علي عليه السلام وامرته بعد اشهاد علي رسالة نبينا صلى الله عليه وآله ، كما ورد في البصائر في تفسير قوله تعالى فطروا للناس فيها ، و افتى به بعض اجلة فقهاء الشيعة رحمهم الله فلاحظ وتدبر .

احوط منه عدم تركه للمنفرد في الفجر والمغرب في الحضر ، ان لم يسمع اذان الغير .

هذا كله للرجل طيب واما النساء فلا يجب عليهن اذان ؛ ولا اقامة في شيء من الصلوات في حال من الحالات ،

واما الاقامة فالاحوط ان لم يكن اقوى عدم تركها للرجل مطلقا ، نعم يستطآن في المسجد اذا صلى فيه جماعة ، وان لم يصل معهم وان لم يسمع اذانهم واقامتهم ، لكن بشرط بقاء المصلين او بعضهم على هيئة الجماعة ،

فصل يستحب فيهما الطهارة والاستقبال ، والقيام وتأكيد في الاقامة
والاولى بل الاحوط ان لا يترك فيها والاستقبال في الشهادتين اكد منه في غيرهما وكذا يستحب الوقف على الفصول مع التأنى في الاذان والحدس^(١) في الاقامة ، ورفع الصوت للرجل في الاذان والافصاح بالالف والهاء ، و

(١) قوله : يستحب الوقف آه اقول : المراد من الوقف هو الوقوف على اواخر الفصول في الاذان ، والمراد من الحدس في الاقامة هو الاسراع الموجب لظهور الاحراب في اواخر الفصول ،

واما قوله : والافصاح بالالف والهاء ، فقد ورد في روایات كما في الوسائل وغيره : ان الاذان جزم بافصاح الف والهاء ، والاقامة حذر .

فيمكن ان يكون المراد بالالف والهاء الأمور بافصاحها مطلق الف والهاء الواقعين في الاذان : كما في لفظة « اشهد » و « الله » و « لا اله الا الله » و عرفان عدم الافصاح بالالف والهاء فيها ربما يشير المعنى تبييراً فاحتجاً ، ويمكن ان يكون المراد الف والهاء في لفظة الجلالة فقط ،

او في لفظ « اشهد » فتدبر فلا مجال لنا في اطلالة الكلام .

وراجع الكتب الفقهية ، واما سائر الاستعجاب التي ذكرها قدس سره ، فهي مذكورة في الكتب الفقهية ، وكتب الاخبار ، ومشهورة عند الشيعة ، فلا حاجة الى تطويل الكلام فيها .

وضع الأسبعين في الأذنين عنده ، ويستحبّ الفصل بينهما بخطوة ، ورداء ، و سجدة ، و ركعتين من نوافل الظهر والعصر في أذانها ، وفي بعض الروايات أن من أذن ثم سجد ، وقال لا اله الا انت ربى سجدت لك خاضعاً خاشعاً فخر الله له ذنوبه ،

وفي الآخر من سجد بين الأذان و الإقامة ، وقال في سجوده رب لك سجدت خاضعاً خاشعاً ذليلاً ، يقول الله : ملائكتي ، وعزتي ، وجلالي لأجعلن محبتك في قلوب عبادي المؤمنين ، و هيبته في قلوب المنافقين ،

وفيها قال ابو عبدالله عليه السلام : من جلس بين اذان المغرب و الإقامة ، كان كالمشحط بدمه في سبيل الله ، ويستحب الدعاء جالساً بالمأثور ، وهو اللهم اجعل قلبي باراً ورزقي داراً ، واجعل لي عند قبري بيتك عليه السلام قراراً ومستقراً ، وروى الفصل بر كعتي الفجر بين اذانها ، و بالجملة الفصل مؤكداً بينهما ، لا ينبغي تركه مبدأً ، ومن السنة أن تكون في الظهر والعصر بر كعتين من نافلتهم ، ويستحب أيضاً في الفجر بر كعتيها للإمام المنتظر ، بل للمنفرد ، أيضاً ، وفي باقي الصلوات بسجدة ، أو جلسة ، أو نفس ، أو تسبيح أو تحميد ، و يستحب في الجماعة لغير المؤذن ، ان يجلس حتى يقول المقيم ، قد قامت الصلوة ، فيقوم ، ولا يجلس ، ثم ان الأحوط أن يكون عند الاشتغال بفصول الإقامة قائماً ساكناً ، مستقبلاً ، و يراعى أحوال الصلوة فيها و لا يتكلم فيها بغير ما يتعلّق بالصلوة ، وردت الروايات بحرمة التكلم إذا اقيمت .

فصل في عبرهما قال في الحقايق : وإذا سمعت نداء المؤذن ، فاحضر في قلبك نداء يوم القيامة ، وتشمّر بظلمتك ، وباطنك للإجابة والمشاركة ، فإن المسارعين إلى هذا النداء ، هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء ، فإن وجدته مملوئاً بالفرح ، و الاستبشار ،

مشحوناً بالرغبة إلى الابتدار ، فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى ، والفوز يوم القضاء ، ولذلك قال النبي ﷺ ارحنا يا بلال ، ارحنا بها وبالنداء إليها ، إذ كانت قرّة عينه فيها .

أقول : يعني الأذان نداء اللّقاء ، وكما أن يوم القيمة ينادون الناس إلى العرض على الله ، فكذلك المؤذنون ينادون المؤمنين إلى مجلس الحضور والمعراج والزبارة ، فإن كان حال الانسان في هذه الدّنيا من المعرفة بحيث يلتذّ بهذا النداء ، فالمعرفة في الدّنيا بذر المشاهدة في الآخرة ، وإن كان من الجهالة بحيث يسوء من هذا النداء ، فهو أيضاً يورث سوء حاله من نداء يوم القيمة ، وإن كان من الغافلين ، يكون حاله ما يناسب غفلته ، فكذلك الحال في سائر مقامات الدين ، ونواميس الشرع ، فإنّ الانسان يموت على ما يعيش ويحشر على ما يموت ويحصد ما زرعه في أرض قلبه ، فمن عرف موقع الصلوة في معاملته مع ربّه ، وعرف أنّها لطف عظيم من الله الرحيم ، لابدّ أن يكون قرّة عينه في الصلوة ، ولا بدّ أن ينتظرها كما ينتظر مجالس الأُنس مع أحبّائه ، ويجب به نداء الأذان بما يجاب به دعاء الأحباء ، وإن شئت أن تعرف حقّ ذلك فانظر معاملة الله تعالى معك عند إقبالك عليه واعترف بأنّك لو بذلت جميع قدرتك في تحصيل حقّ أدب هذا النداء ، لا تأتي بجزء من عشر معشار ما يجب عليك بحكم الحكمة والعدل ، وإن عرفت ذلك بحقيقة المعرفة ، لا تكسل عن أداء ما يمكنك في ذلك . ومع ذلك لا يخلو قلبك من حياء التقصير ، وعند ذلك يدركك من قبوله تعالى ، وشكره العظيم ما لا يبلغه فطنة العلماء ، وعقول العقلاء .

وقال : واعتبر بفصول الأذان وكلماته ، كيف افتتحت بالله ، واختتمت بالله ، واعتبر بذلك إنّ الله هو الأوّل ، والآخِر والظاهر والباطن .

أقول : كأنه أراد أن في وضع الأذان كذلك إشارة إلى هذا .
قال ووطن قلبك بتعظيمه عند سماع التكبير ، واستحق الدنيا وما
فيها ، لئلا تكون كاذباً في تكبيرك ، وأنف عن خاطرك كل معبود سواه بسماع
التهليل .

أقول : المراد بكل معبود سواه كل من يعامل معه بمعنى العبودية
وإن انكر ظاهراً عبادته ، فإن العباداة حقيقة التواضع ، والميل والتبعية ،
فيدخل فيه اهواء النفس التي هي من أبغض المعبودات التي تعبد في الأرض
كما في الخير ، ويدخل أيضاً الشيطان ، والدنيا بوجوهها الباطلة .
وقال : واحضر النبي ﷺ وتأدب بين يديه ، واشهد له بالرسالة
مخلصاً .

أقول : اخلاصها عبارة عن تخلية القلب من وجوه الاعتراض في أحكام
الشرع ، حتى لا يكون في نفسه وقلبه حرج مما جاء به ، وقضى عليه ولو
أضر به .

وقال : وصل عليه واله .

أقول : وتفكر في معرفة الصلوات لتكون عالماً بما تدعوه وتطلبه من
الله لهم ، ووفق بين قلبك ولسانك في ذلك ، ليقع عن غناية ، ومعرفة لا عن
جهل ومجرد لقلقلة اللسان .

وقال : وحرّك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدّعاء إلى الصلوة ،
رما يوجب الفلاح ، وما هو خير الأعمال .

أقول : إن أمكنتك أن تعتقد بحقيقة قلبك ، بأن الصلوة معراج العبد
وزيارة الرب لتعتقد أنها موجبة للفلاح ، وإنها خير الأعمال ، ولا ترضى من
إتيان أعمالها وأركانها كلها بالصورة ، وأذكّرها ومخاطبتها ومناجاتها بقلقة

اللسان ، ويتأثر قلبك وروحك من أفعالها ، وقرائتها ومناجاتها ، وتكبيرها الذي هو المقصود الأصلي منها ، بل هو روحها وحقيقتها ، فعند ذلك يحصل اللذة من القراءة ، والمناجات ، ولطيف المخاطبات كما ورد في الأخبار .

قال : وجدّ عهدك بعد ذلك بتكبير الله ، وتعظيمه واختمه بذلك ، كما اقتتحت به ، واجعل مبدئه منه ، وعودك إليه ، وقوامك به ، واعتمادك على حوله وقوته ، فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

يعني إن كيفية فصول الأذان ، يشعر بأن مبدئه كل شيء إنما هو الله ، ومصيرها إليه وقوامك به ، واعتمادك على حوله ، وقوته هذا .

ويستحب أن يدعو بعد الإقامة بدعاء التوجه ، وهو أن يقول : اللهم إني أتوجه إليك بمحمد وآله ، وأقدمهم بين يدي سلوتي ، وأتقرب بهم إليك ، فصلّ عليهم ، واجعلني عندك وجيهاً بهم في الدنيا والآخرة ، ومن المقرّين ، أنت مننت علينا بمعرفتهم ، فاختم لنا بطاعتهم ، ومعرفتهم ، وولايتهم فإنها السعادة ، فاختم لنا بالسعادة إنك على كل شيء قدير .

فصل في نفس الصلوة .

أقول : يكفي في معرفة أن المقصود من الصلوة حقيقتها لا صورتها المجردة عن الحقيقة ، الآيات والأخبار .

ومن الأولى قوله تعالى : أقم الصلوة لذكرك ، فإن التعبير بالإقامة ما يلائم لحقيقة الصلوة ، والتقييد بقوله : لذكرك صريح في ذلك .

ومنها قوله تعالى : « ولا تقربوا الصلوة وأنتم سكارى ، حتى تعلموا ما تقولون » والعلة لا تلائم بالصورة الخالية عن الحقيقة .

ومنها قوله : « إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر » فإن النهي لا يوجد إلا في حقيقتها .

وَأَمَّا الْأَخْبَارُ ^(١) ، فمتواترة يكفي منها قوله ﷺ : إِنَّ الصَّلَاةَ
تَمَكِّنُ ، وَتَوَاضِعُ ، وَتِيَّاسُ ، وَتَنْدَمُ ، وَتَقْنَعُ ، تَمُدُّ يَدَيْكَ ، وَتَقُولُ : اَللّٰهُمَّ فَمَنْ
لَمْ يَفْعَلْ فِيهِ خَدَاجٌ .

ومنها قوله ﷺ : لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى صَلَاةٍ لَا يَحْضُرُ فِيهَا الرَّجُلُ قَلْبَهُ
مَعَ بَدَنِهِ .

وقوله ﷺ : إِذَا صَلَّيْتَ صَلَاةً فَرِيضَةً فَصَلِّ فِي وَقْتِهَا صَلَاةً مُودِعَةً ،
تَخَافُ أَنْ لَا تَعُودَ فِيهَا .

ومنها قولهم ﷺ : الصَّلَاةُ مِرَاجُ الْمُؤْمِنِ .

ولا سيما مع ملاحظة ما ورد من تشريعها في معراج النبي ﷺ ،
على ما روي من أَنَّ مِعْرَاجَهُ كَانَ بِأَجْزَاءِ الصَّلَاةِ .

وما ورد في صَلَاةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْأَنْمَةِ ﷺ من الْأَحْوَالِ السَّنِيَّةِ .

(١) قد مرّت هذه الأخبار ، ولم نجد الرواية الأولى والثانية منها ، فبنا بأيدينا
من الكتب ، والرواية الثالثة قد مرّت ، والرابعة أيضا مشهورة ورواها في البحار
بلا إسناد ، وما ذكره قدم في معراج النبي صلى الله عليه وآله أيضا مذكور في البحار
وغيره في معراج النبي صلى الله عليه وآله ، وما ورد في صَلَاةِ الْأَنْبِيَاءِ ، وَالْأَنْمَةِ
قد مرّت الإشارة إليها ، مثل ما ورد في حق إبراهيم علي نبينا وآله وعليه الصلوات
والسلام ، وما ورد في النبي صلى الله عليه وآله ، وفاطمة عليها السلام ، وعليه السلام
والحسن عليه السلام ، وعليه بن الحسين عليه السلام ، ومذكورة في البحار في كتاب
الصلوة ، وكتاب وسائل الشيعة وغيره ، وكذا رواية أن للصلوة أربعة آلاف حدود ،
أو باب ، مروية عن الناقب وعلل الشرايع .

إيضاح : قوله صلى الله عليه وآله : في الرواية الأولى والأخيرة الخداج ، الخ ، التقصان
يخال خدجت الناقة إذا ألفت ولدها قبل أن وان العجل وأعدجته إذا ولدته ناقص
العلق .

وما ورد فيما يقوله الله تعالى عند صلوة المؤمن في كل جزء جزء من أجزائها وأفعالها ، وأذاكارها .
وما ورد إن للصلوة أربعة آلاف حدود أو باب .
وما ورد أنها عماد للدين ، إن قبلت قبل ما سواها ، وإن ردت رد ما سواها .

وما وقع في السنة كتب الله ، وأنبيائه من اسمها ، وأسماء أجزائها ، فإن ذلك أيضاً بحكم العرف ، واللغة أدل دليل على أن المراد منها ليس الصورة المحضة .

وقد أشرنا إلى لفظ الصلوة في أول الكتاب .
وأما أسماء أجزائها من التكبير ، والقراءة ، والذكر ، والركوع ، والسجود ، والتشهد ، والسلام كلها ، إنما يطلق عرفاً ولغة على الصور مع الحقائق ، ولا يطلق على الصور المحضة ، فإن التكبير باللفظ إذا خالف القلب لا سيما إذا كان القلب ، والعمل مضاداً للتكبير ، بأن يسمى تحقيراً أولى من تسميته بالتكبير ، وهكذا السجدة ، أصل معناها التواضع ، ولا يقال لكل انحناء ، ووضع جبهة على الأرض أنها سجدة ، فإن الانحناء لوضع شيء على الأرض ، أو مسح جبهة على الأرض لغير خضوع ، لا سيما إذا كانت الغاية مضادة لحقيقة التواضع ، لا تسمى سجدة ، وهكذا الركوع ، والتشهد ، والسلام ، وهكذا القراءة ، فإن إجراء لفظ القرآن على اللسان ، لا يسمى قراءة القرآن ، حتى يكون بقصد القرآن ، وهكذا التسميع والحمد .
وبالجملة وضع الأسماء إنما هي للمعاني ، وإطلاقها على الصور مجاز بل قد يصير غلطاً في بعض صور الإطلاق وإذا تحقق ذلك ، فالذي يفهم من الاخبار ، إن حقيقتها إنما تكمل بستة معان :

الأول حضور القلب ، والمراد به فراغ القلب عن غيرها ، وحضوره عند فعلها ، وقولها ، فيصدر عنه الفعل والقول مقررناً بالعلم ، فلا يكون الفكر جارياً في غيرها ، فيصدر عنه العمل مع الغفلة ، وإذا وقع صدورها كذلك فقد حصل الحضور .

والثاني التفهيم ، والمراد منه أن يكون القلب حاضراً مع معاني الاعمال من الأقوال والأفعال ، وهذا أمرٌ زائد على الحضور ، لأنه قد يتحقق بحضوره عند الألفاظ ، وصور الأفعال مع الغفلة عن الحقائق ، والمعاني والتدبر فيها .

الثالث التعظيم لله العلي العظيم ، واجباته .

الرابع الهيبة ، وهي خوف ، ووجل ، من التعظيم ، والاخلاص .
الخامس الرجاء إلى فضل الله ، وقبوله .

السادس الحياء ^(١) وهو التثبت عند كل شيء ينكره التوحيد و المعرفة ومستنده استشعار التقصير وتوهم الذنب .
وأما أسباب تحصيل هذه الصفات .

أما الحضور فسببه الهم ، فإن القلب تابع للهم فإذا كان همتك الصلوة فقلبك حاضر عندها ، وإذا كان غيرها فقلبك عند هذا الغير ، وهو غافل عن الصلوة ، لأنه ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ، فقلبك مع همتك ، فلا علاج لحضور القلب عند الصلوة ، إلا بصرف الهمّة إليها ، والهمّة عند مظنة الخير ، واعتقاد السعادة بالحضور عند الصلوة تابع للإيمان بحقيقة الصلوة وخيريتها فإن من اعتقد أن صلوته معراج ، يكون همه كله عندها لا يصرفه عنها شيء ، ومن كان همه عند الصلوة ، يكون قلبه حاضراً عندها ، غافلاً عن الأشياء بغير همه فمن آمن بالله ورأى إن الله خير وأبقى

وانّ الصلوة معراجة إلى الله ، وبإشراف إيمانه بذلك قلبه ، يكون قلبه همة عند صلواته ، ولا يمكنه الغفلة عنها .

وأما التفهيم فهو ان يستوضح من كلّ فعل ، وقول ما يليق بهما من المقاصد ، والمعاني ، اذ الصلوة معجون الهيّ رغب فيه دواء كلّ داء ، وتأثيره استجلاب كلّ السعادات الممكنة للإنسان الكامل ، وتحت كلّ حركة وسكون من فعل ، وقول منها معنى مقصود لجعلها ، من مقدّماتها واجزائها وشرائطها وتعقيباتها ،

وقد ورد في الاخبار ان من لم يقصد من أفعالها ما هو المقصود منه ، فكأنه لم يأت به .

اقول : سيأتي فيما بعد معاني كلّ جزء منها عند ذكر كلّ واحد منها ، حتّى رفع اليد للتكبير ، والقيام على الرّجل اليميني واليسرى ، ونفس القيام و هكذا الى آخرها ،

ثمّ انّ الذي نذكرها في ذلك انما عرفنا ممّا تعرض به السلف من علماء الاسرار ، واكثرها استفدناها من الاخبار ، وبعضها الاقل من التفهيم مع ما يشهد له من الاخبار ، ونعلم علماً قطعياً ان ما خفي علينا من ذلك اضعاف ما عرفنا منها ،

ثمّ انّ الذي اشرنا اليه من التفهيم لمطلق الاجزاء ، واما خصوص قرائتها ففى تفهيمها امور عظيمة خارجة من حيلة البيان ، وعلوم واسرار عظيمة تظهر في الجنان ، وقد روى عن امير المؤمنين عليه السلام انه ما اسر الى رسول الله ﷺ شيئاً كتبه عن الناس ، الا ان يؤتى الله عبداً فهماً في كتابه وبالجملّة للمصلى في تفهيم القراءة خيراً كثيراً ، قد ينجلي له ما يتفهّمه عند قرائته ، فيفور بذلك سعادة جليّة ،

و قيل ان كون الصلوة ناهية عن الفحشاء والمنكر ايضاً من هذه الوجهة ، حيث ان المصلّي قد يفهم من قراءته في صلوته ، ما لم يخطر بيا لغير ذلك ، فيكون ما فهمه ناهية له عن الفحشاء ، وكيف كان فسبب التقيّم ، ادمان الفكر في معاني ما يفعل ، و يقول ، واحضار القلب عند معاني الأفعال و الأقوال ،

و علاجه ، علاج حضور القلب و الجهد في دفع الخواطر الشاغلة ، ولا يدفع الآ بقطع موادّها ، و هي على قسمين ،

الأول ان تكون المادّة ضعيفة ، فيضعف اثرها ، فعلاجه باستعمال بعض المسكّنات و هو ان يعدّ قبل الدّخول في الصلوة عدته ، من الفكر في عظمة الصلوة ، وخطر المحض ، وكثرة الفوائد و عظمة السّعادات ، وقرب الرّب ، و تقليل الموانع الخارجيّة ، و التّحفظ للقلب عن الاشتغال بغير الصلوة ، و ان يعتمد قبل كلّ عمل باخطار معناه الى قلبه ، ثم يشتغل به ، و العمدة ان يحفظ في جميع الحالات حضور الله ﷻ ، و علمه و نظره و جواباته وصنيعته به عند كلّ فعل و قول ،

والثاني ان تكون المادّة قويّة لا ينفع في دفع اثرها هذه المسكّنات فلا حيلة ، ولا علاج الا من دفعها ، و لا ريب ان اصل موادّ جميع الخواطر الشاغلة و مرجعها حبّ الدّنيا ، و الشّغل بها ، اما سمعت قوله ﷺ : من اصبح واكبرهته الدّنيا ، الزم الله قلبه شغلا لا فراغ له منه ابداً ، و همّاً لا ينقطع عنه ابداً ، و املاً لا يبلغ منتهاه ابداً ، و فقراً لا ينال غناه ابداً ، و أنّه ليس من الله في شيء ، فمن تشعبت همومه في اودية الدّنيا ، يتكثر همومه في أمور مختلفة ، و لا يزال في التّرايد ، و الانتقال من امر الى امر ، او امور حتّى يستغرق قلبه ، و جميع اوقاته في الشّغل ، بها حتّى لا يكفيه يومه ، و ليلته

لشغلها ، بل لو اراد ان يصرف ذهنه منها بالفكر في امر الآخرة ، يجاذبه هموم الدنيا الى جهات الافكار الدنيوية المألوفة له ، و لو عاد الى قهره الى طرف الآخرة ، عادت الى جذبه الى الدنيا ، حتى يستمر فيها او يتم صلوته في الاشتغال بالتنازع ، و التجاذب ، فيفوته الحضور و التفهم فلا علاج لهذا المرض ، ألا بالمسهل ، و الاستفراغ ولا يفيد التسكين و التلطيف ، فلا مطمع لمحبة الدنيا ، و زينتها في ان يصفوله حلاوة مناجاة الله ، و لذة مخاطباته ، ولو بقهر نفسه على العبادات .

ففي (١) حديث المعراج : لو صلى العبد صلوة اهل السماء و الأرض ، و صام صيام اهل السموات و الأرض ، و طوى من الطعام مثل الملاءكة ، و لبس لباس العارى ، ثم ارى في قلبه من حب الدنيا ذرة ، او سمعتها او رياستها ، او صيتها ، او زينتها لا يجاوزني في داري ، ولا نزع من قلبه محبتي ، ولا ظلمن قلبه ، حتى ينساني ، ولا اذيقه حلاوة معرفتي ، و الرواية قاضية بان محبة الدنيا يكون قلبه مظلما ، ناسيا لله ، و لا يكون فيه نور الذكر ، فان من كان فرحه بالدنيا ، و الدنيا قرّة عينه ، لا يفرح بالله ، و يكون همه مع قرّة عينه ، فتحصل من جميع ما ذكرنا ، أن العلاج الكلي لمن قوى في قلبه حب الدنيا ، لقهر همه الى الحضور ، و التفهم في الصلوة ، لا يتم الا بالانفلاق عن محبة هذه الدنيا الدنية ، و مع ذلك في المجاهدة بتجديد ذكر الآخرة ، و خطر المناجات ، و الوقوف بين يدي الله نفعا ، و ذكروه المطلق و تفريغ القلب ، و تقليل الموانع الخارجية ، بغض البصر عن محل السجود ، و الاجتناب عن الصلوة في الاماكن التي يكثر شواغلها ، نفعا كثيرا في بعض مراتب الحضور ، و التفهم ، و اخطار

(١) - في الارشاد الديلي .

معنى كل فعل ، وقول قبل الاشتغال به ، مؤخر في ذلك جداً ، مثلاً اذا اراد القراءة ، اخطر معنى بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم يقرئه ، ثم اخطر معنى الحمد لله رب العالمين ، ثم يقرئه ، وهكذا اية الى اخرها ، وهكذا اذا اراد رفع يديه قبل الركوع ، يتذكر لمعناه ، ثم يرفعهما ، ثم يتذكر معنى الركوع ، ثم يركع ، وهكذا الى اخر الصلوة .

فان قلت : ان قضية هذه الايات ، والاخبار ، وما ذكرته من نفي الاسم عن الصور الخالية من الحقائق ، بطلان صلوة جمهور اهل الاسلام ، بل التدقيق فيما ذكرته ، يقتضى بطلان صلوة من غفل عن حقيقة جزء واحد من اجزائها ، ولو اتى غيره مع حضور ، وتفهم ، وتعظيم ، وهيبة ، ورجاء ، وحياء ، لان ذلك حكم المركب لا يمكن ذلك لاحد في جميع الصلوة الا المعصومين عليهم السلام .

قلت التحقيق بحكم المركب ، وبحكم وضع الاسماء ذلك ، ولكن الذى يفهم من الجمع بين الاخبار ، ان الامر ليس بهذه الصعوبة ، لان الله تعالى قد جعل في الصلوة الشمولية في اولها بالنية والحضور اثرأ مخصوصاً لها وهو كونها مسقطاً للقضاء ، والفقهاء اتما يطلقون الصحة بهذا المعنى ، واما القبول وسائر الآثار ، فهي موقوفة على التى لا يكون خالية كلها عن جميع مراتب الحضور ، بل يجب لها ان لا يكون شيء من اجزائها خالياً من الحضور ، الا ان الحضور ايضاً له مراتب ، والذى خلا عن جميع مراتبه ، فهو المردود على صاحبه ، ولكن ذلك ايضاً قليل لان الحركات الاختيارية للانسان ، لا بد ان يوجد فيها درجة من حضور قلبه معها ، ولو اجمالاً وآلام يكن اختيارية ، وحركات الانسان ينقسم الى اقسام ، قسم منها خلو من جميع مراتب القصور وحضور القلب ، كحركات النائم ، وقسم يكون فيها قصداً ،

ولكن لا ينطبق القصد مع المقصود ، كـبعض اقسام حركات السَّامى ، وقسم يكون فيه هذا القصد و منطبقا مع المقصود ، ولكن اجمالياً في باطن القلب ، ويكون اثره بمجرد ادخالها في الاراديات ، وقسم يكون قصدها تفصيلياً ولكن بالنسبة الى الصور ، و اجمالياً بالنسبة الى المعانى ، وقسم يكون القصد فيها تفصيلياً بالنسبة الى الصور والمعانى ، ويكون القلب بكاه حاضرا عندهما ، وهذا هو التَّامُّ الكامل ، لاسيما اذا حضر المصلّى بكاه وشرائح وجوده بين يدى الله ، مع اجلال و هيبة ، و رجاء و حياء ، و الذى يفهم من الاخبار ان القسم الذى فيه قصد اجمالى منطبق مع المقصود اذا زيد عليها اقبال ، وقصد على حقيقة الاجزاء و معانيها بقدر عشر الصلوة لا تترك هذه الصلوة ، بل يرفع منها بقدر ما اقبل فيها ، و يكون بحكم الصورة ايضا مسقطا للقضاء ، فان جبر كسرهما بالتوافل ، فالمرجوان يقبل كلها ، و ان نقص ما اقبل فيها من الاجزاء عن العشر ، تلفت و يضرب بها وجه صاحبها ، هذا ما يمكن ان يستفاد من الاخبار من حيث حكم نفس الصلوة حكما عاما لا يتخلّف غالبا ، و ذلك لا ينافي ان يشمل فضل الله عبداً من جهة اخرى ، فيقبل منه غير هذا القسم ايضا ، كما ورد جزاء لبعض الاعمال المستحبة ، او يصير عبد بسبب منه مستحقاً للمخذ لان ، فيرد من صلوته ما كانت واجدة للاقبال و الحضور التفصيلى التَّام ، كما يدل عليه عموم قوله تعالى :
وقدمنا الى ما عملوا فجعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً ، و الذى يدل على ذلك من الاخبار ما فيه تصريح بان العمل اذا لم يكن مع الولاية لا يقبل ، و لو اجتهد فيه صاحبه اجتهدا ، ثم لا يذهب عليك ان الذى دل عليه الاخبار من رفع صلوة اقبل فيها العبد بقدر عشرها الى السَّماء ، يحتمل ان يكون من باب الفضل الكلى الذى دل عليه قوله تعالى : من جاء بالحسنة فله عشر امثالها ،

و من جاء بالسّيئة فلا يجزى الا مثلها ، فان كان من هذا الباب يحتمل قوياً ان يكون هذا القسم مقبولا ككله ، من غير حاجة الى الجبر بالنوافل ، فيكون الجبر جارياً في غير هذا القسم الفاقد لقصد الحقايق الا عند النية اجمالاً ، و لا يبعد عن فضل الله ان يتقبلها بمجرد روح النية في اولها ، ثم ان عمدة خير الصلوة و فايدتها انما هو في التقسيم ، لانه سبب قريب للمعرفة ، والمعرفة كلها خير بل الخير كله في المعرفة ، كما ان الجهل كله شر بل الشر كله في الجهل ، ولم ذلك ان روح المصلّي اذا توجه الى العالم الاعلى ، و تخلى عن ذكر العالم الاسفل ، و فكره تجرد بذلك عن بعض القيود ، و تأثر من الموالم العالية نوراً يتجلى به احياناً حقايق بعض الايات القرآنية على قلبه ، فينتفع بهذا الكشف و التجرى انتفاعاً لا ينتفع نظيره بعبادة سنين ، و قد يكشف للعبد عند قراءة اسماء الله حقايق هذه الاسماء ، بحيث لا يثبت جسمه بتحمل هذا الحال فيغشى عليه ، كما روى ذلك عن الصادق عليه السلام أنه لحقه في الصلوة حال فطر مغشياً عليه ، فلما افاق قيل له في ذلك ، قال ما زلت اردد هذه الاية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمي لمائة قدرة .

قال السيد السند في فلاح السائل : قد روى ان مولينا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام كان يتلو القرآن في صلوته ، فغشى عليه فلما افاق سئل ما الذي اوجب ما انتهى اليه حالك ، فقال : ما مناه ما زلت اكرر آيات القرآن ، حتى بلغت الى حال كانني سمعتها مشافهة ممن انزلها علي المكاشفة والعيان ، فلم يعم القوة البشرية لمكاشفة الجلالة الالهية ، ثم قال : واياك يا من لا تعرف حقيقة ذلك ان تستبعدها و يجعل الشيطان في تجوز الذي رويناه عندك شكاً ، بل كن به مصداقاً ، اما سمعت قول الله يقول : فلما تجلّى ربه للجبل

جعله دكاً ، وخرّ موسى صمعا - انتهى كلامه قده .

وقد ينكشف له حقيقة الجنة عند قراءة ايها ، او حقيقة النار والقيمة وغير ذلك ممّا في القرآن من الحقائق ، و الاسرار ، هذا و سنشير الى بعض مراتب التفهم عند ذكر اسرار القرائة .

وامّا التعظيم فهو من احوال القلب المورثة للاستكانة والخشوع ، و الانكسار لله جلّ جلاله ، مولد من معرفة عظمة الله و جلاله بقدر ما يمكن من ذلك للبشر ، و العمدة في تأثير الحضور في الصلوة ذلك ، بل العمدة في كمال جميع العبادات ، و الايمان ذلك ، و من معرفته حقارة النفس ، و خستها ، فان العبد اذا عرف عظيم سلطان الله ، وسعة ملكه ، و جليل قدرته ، وعرف ان الممكن لاشي محض ، و انه ليس له من نفسه مثقال ذرة من خير ، و انه لا يقدر على نفسه نفعا ولا ضررا ، ولا موتا ولا حياة ، ولا نشورا انقهر عقله ولبسه بالاستكانة ، و اظهار الذلّ و الخشوع بين يديه ، و اخبت قلبه عند عظيم جلاله ، و جليل سلطانه اخباء خارجا عن الحدّ و الوصف ، و يراقب حضوره و نظره ، و ما يبدو له من الرّدّ و القبول مراقبة لا يشدّ عنها طرفه عين ، كيف لا يكون كذلك ، و الذي يراء بعينه من عظيم سلطانه على خلق السموات و الارضين ، و جليل قدرته على ذلك ، وعلى امساكها و رزقها و حفظها و تربيتها . و ما يسمعه من المخبر الصادق ، في خبر زينب العطارّة بان هذه الارض والبحار و الجبال ، مع ما فيها بالنسبة الى السماء الدنيا كحلقة في فلاة ، و همامع ما فيهما بالنسبة الى السماء الثانية كحلقة في فلاة ، و هي بالنسبة الى ما فوقها كحلقة في فلاة ، و هكذا الى العرش ، و هذه كلّها بالنسبة الى عالم المثال غير محدود النسبة ، و هذه كلّها بالنسبة الى عوالم المجرّدات حتّى ينتهى الى العقل الكلّي لانسبة بينها محدودة ، و الله تعالى خلق كلّها بكلمة

واحدة ، بلا مؤنة ولا كلفة ، ولا يؤده حفظهما و ان شاء اعدامها فبمجرد قطع
 نيف الوجود ، فسبحانه من عظيم ما اعظمه ، و من جليل ما اجله ، و من
 قدير ما اقدره ، و بالجملة اذا قدر العبد هذا الملك و السلطان قدره بعقله ثم
 استشعر خطر جناياته ، و خطير مقام مناجاة هذا السلطان العظيم ، يكون
 بعقله و نفسه و روحه ، و قلبه و بدنه و شرار وجوده كله عيناً مراقبته ، و سماعاً
 لاسماع كلامه ، و لساناً لاستغفار ذنوبه ، و عرض استكانته و ، اعتذاراً من
 خطير جناياته ، و من هذا الباب ما ورد من تفسير الاحوال في الصلوة من
 الانبياء ، و الائمة عليهم السلام مثل ما روى عن الخليل عليه السلام انه كان يسمع تأوته
 على حدة ميل ، و كان في صلوته يسمع له ازيز كازيز المرجل ، و كذلك يسمع
 من صدر سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله مثل ذلك ، و قال بعض ازواجه كان يحدثنا
 و يحدثه ، فاذا حضروا وقت الصلوة فكانه لم يعرفنا ، ولم نعرفه ، و كان
 امير المؤمنين عليه السلام اذا اخذ في الوضوء يتغير وجهه من خيفة الله ، و كان اذا
 حضر وقت الصلوة يتزلزل ، و يتلون و قيل له في ذلك يا امير المؤمنين فيقول
 جاء وقت الامانة التي مرضها الله على السموات و الارض و الجبال ، فاين
 ان يحملنها و اشققن منها و كانت فاطمة عليها السلام تنهج في الصلوة من خيفة الله ،
 و كان الحسن عليه السلام اذا فرغ من وضوئه تغير لونه ، فقيل له في ذلك ، فقال
 حق علي من اراد ان يدخل على ذي العرش ان يتغير لونه .

وروى مثل ذلك عن السجاد عليه السلام ، و انه عليه السلام اذا توضأ اصفر

لونه ، فيقول له اهله : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول اندزون بين
 يدي من اريدان اقوم ، قيل : و رايته يصلي فسقط رداؤه عن منكبه ، فلم يسوء
 حتى فرغ من صلوته ، فسئلته عن ذلك ، فقال : و يحك اندري بين يدي
 من كنت ، ان العبد ما يقبل منه صلوة الا ما قبل فيها ، فقلت ، جعلت فداك

هلكنا ، قال : كَلَّا إِنَّ اللَّهَ بِتَمِّ ذَلِكَ بِالنَّوَافِلِ .

و عن الصادق عليه السلام كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلوة كأنه ساق شجرة ، لا يتحرك منه إلا ما حرّكته الريح ، وعنه كان علي بن الحسين عليه السلام إذا قام إلى الصلوة تغير لونه ، وإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرض عرقا .

و عنه عليه السلام قال : لا يجتمع الرغبة والرهبة في قلب ، إلا وجبت له الجنة ، فإذا صليت فاقبل يوجهك على الله ، فإنه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله في صلوته ، ودعائه ، إلا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين ، وأيد مع مودتهم أيام بالجنة .

و أمّا الهيبة ، فهي أيضا يتولد من معرفة صفات الجلال ، فمن عرف من القادر المتعال ، و علم ما فعل من الأخذ والعقاب بالجاحدين والمعاندين ، من الأمم الماضية ، و علم ابتلاء الأنبياء والأولياء بالمصائب الجليلة ، و تأثرهم من خوفه بالبكاء والغشوة ، و التضرع والابتهال ، و الأنابة والاستغفار ، و عرف درجة تقصيره وكثرة ذنوبه ، و قبح أفعاله لا بد أن يتغير حاله عند الوقوف بين يديه ، و يأخذه رعدة الخائفين فيميته الخوف و يذيبه الحياء .

و بالجملة كلما ازداد العلم بالله ، ازدادت الحسنة ، فلواقبست حكمته هلاك الأولين ، و الآخرين لم يمنع منه مانع ، حتى الرقة لآله منزلة عن التأثر والانفعال ، و بالجملة قد يتأثر بعض الأنبياء والأولياء عن التعظيم والهيبة ، بحيث ينسى غير الله تعالى ، و يغفل عن جميع ما سواه ، حتى عن بدنه ، و من ذلك إخراج السهم عن رجله عليه السلام في الصلوة ، و عدم تأثره منه ، و من ذلك غشوائه حتى يظن له الموت .

و أمّا الرجاء فمنشأ معرفة فضل الله و كرمه ، و لطفه و انعامه ، و

انه لم يخلق هذه الخليفة للاشتغال منهم ، بل خلقهم عناية بخلقهم ، ولا تنفعه طاعتهم ، ولا تضرهم معصيتهم ، ومعرفة عنايته الجميلة في الخليفة ، وطول اناته ، وكثرة علمه و صدقه في وعده بالجنة للمصلين ، و مغفرته للذنوب ، بالندم و تبديله السيئات باضعافها من الحسنات ، و ما جعل لاوليائه من الشفاعة ، و قوله في كتابه : ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولكن يجب على العبد الجدد في الاستخلاص من الغرور في ذلك ، فان النفس والهوى قد تغرر الانسان ، ويدلس عليه عدم المبالات بالدين بالرجاء ، فلا يد عند احتمال ذلك من الاستكشاف بملايم الامرين ، ومن ايات الرجاء الطلب ، كما ان من شواهد عدم المبالات الكسل عن الطلب .

و اما الحياء فبمعرفة جلال الله و جماله ، و مقام عفوه و كريم صنايعه و سبوغ نعمه و عدم رضاه لعبده بنعمة دون اخرى ، و عدم غفلته عن مراقبة احواله مع معرفة قبائح اعمال نفسه ، و سوء معاملته مع هذا الرب الودود بالشقاق والنفاق في حضوره ، مع علمه بذلك ، واذا اجتمع للعبده هذه المعارف ، و تثبت عند ما تنكره معرفته ، فهو الحياء ومن تخطى خطوة في ساحة هيبة الله اليه بالحياء ، فهو خير له من عبادة سبعين سنة .

و الحياء خمسة انواع : حياء ذنب ، و حياء تقصير ، و حياء كرامة ، و حياء حب و حياء هيبة ، و لكل واحد منها اهل ، و لاهله مرتبة عليحدة ، اقول : هذه الصفات و الاحوال لا ريب في انها فرع هذه المعارف كما نراه بالوجدان في معاملتنا مع امثالنا فلن انسا ان اذا عرف من شخص سلطنة و قدرة مثل ذرة من سلطنة الله جل سلطانه ، يعظمه و يراقبه ، و يهابه فان عرف منه مع ذلك كونه منعما عليه مثل ذرة من نعم الله تعالى ، يفديه بنفسه و اهلكه و ماله ، و لا يففل عن خدمته و القيام بوظايف عبوديته في آن من

الاناث ، و اذا زاد على هاتين المعرفتين استشعار تقصيراته ، ومخالفاته مع هذا السلطان المنعم حين انعامه و افضاله في حضوره ، لمات من الحياء والخجل . و اما ضعف تأثيرات العامة بالنسبة الى الله جل جلاله مع اعتقادهم و ايمانهم بعظمته التي تصغر عندها كل عظمة و عظيم ، و بنعمه التي لا تحصى ، و هذه الذنوب و الكبائر من المعاصي من انفسهم .

فوجهه أولاً ضعف الايمان بالغيب عن الشهود والعيان ، فان سلاطين الدنيا ومنعميها عندهم شهود ، وسلطنتهم ونعمهم محسوسة ، ومشهودة ، واما الله جل جلاله ، وعظم برهانه عندهم غيب يمتقدون وجوده ، ويعترفون بعظمته ونعمه بالأدلة العقلية ، فالاعتقاد بالغيب ضعيف بالنسبة ، إلى رؤية العيان ، و لذا لا يؤثر هذه المعارف في حقه التعظيم والهيبة والحياء ، مثل ما يؤثر في معاملات عظماء الدنيا ومنعميها .

و ثانياً أن الأمر في عظمة الله و نعمه ، من الجلالة بمكان لا يمكن لأحد أداء حقها ، ولا شيء من أجزاء حقوقها ، وإذا عرفوا من انفسهم النقص بهذه المرتبة فأهملوها كلها .

وثالثاً يتخيلون أن منافع خدمة سلاطين الدنيا نقد ، و نفع عبادة الله تعالى نسبة في العالم الآخرة التي اعتقدوا وجودها خلافاً لحسبهم بالأدلة العقلية .

وهذه الوجوه التي منشأها كلاً غرور و جهل ، إنما سارت أسباب مسامحة العامة ، وتفریطهم في طاعة الله والعيان بالله من يوم يصير فيه الغيب عياناً ، فينادون واحسرتاه على ما فرطنا في جنب الله .

وهذه الأمور الستة إنما روح الصلوة بها ، وكمالها بكمالها ، والعمدة فيها التعظيم ، وهو من لوازم الايمان فمن كمل إيمانه وباشر قلبه ،

ولم يمنع عن تأثيره محبة الدنيا، والاستهتار بذكرها، وفكرها وشغلها،
لأبدان يكمل صلوته من أولها إلى آخرها بجميع أجزائها على هذا
التفصيل.

أما تكبيرها ففيه مطالب :

الأول في رفع اليدين وفيه أمور :

الأول في كفيته، وهو أن يده به بأول التكبير، ويكون آخره
أيضاً مطابقاً لآخره، حتى يكون تمام الرفع بتمام التكبير، وأن يجعل
في الرفع باطن كفيه إلى القبلة.

والثاني في مقداره، والاولى في ذلك أن يصل أصابعه إلى شحمة أذنه.
والثالث فيما يقصد به، وهو التبري من الاشراك، وما يقوله
المشركون، وثمرته أن يبرء إلى الله من آثامه وذنوبه، ومن عذاب جهنم ونيرانها
كذا ورد في تفسير الإمام عليه السلام.

والثاني في نفس التكبير، وفيه أيضاً مطالب.

الأول أن الواجب منه تكبيرة الإحرام، ويستحب بعدها على الأقوى
ست تكبيرات.

والثاني في الدعاء المأثور عندها وهو أن يقول بعد الثالثة أَللّهُمَّ
أَنْتَ الْمَلِكُ الْحَقُّ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنْكُمْ، وَظَلَمْتُ نَفْسِي
فَاغْفِرْ لِي، فَاتِهِ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ.

وبعد الخامسة : لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس
إليك، والمهدى من هديت، سبحانك منك عبدك وابن عبدك، وبك ولك
وإليك، ولا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك، سبحانك وحنايك، تباركت
وتعاليت، سبحانك رب البيت الحرام، ويقول بعد السادسة، يا محسن

قد أتاك المسيء ، أنت المحسن ونحن المسيئون ، فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك .

ويقول بعد السابعة ، وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض ، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين ، على ملة إبراهيم ودين محمد ﷺ ، وهدي أمير المؤمنين والأئمة المعصومين ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، أن سلوتي ونسكى ومحياي ، ومماتي لله رب العالمين ، وبذلك أمرت ، وأنا من المسلمين .

ثم يستحب أن يكبر بعد تكبيرات الصلوات ليكون عند نسيانه بدلاً عنه .

و الثالث أن يكون في تكبيره ، ودعائه قاصداً حقايقها ، وصادقاً في ذلك .

وقد روى عن الصادق عليه السلام إذا كبرت فاستغفر ما بين العلى والثرى ، دون كبريائه ، فإن الله تعالى إذا أطلع على قلب العبد ، وهو يكبر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره ، قال : يا كاذب اتخذ عني ، وعزتي وجلالي لأحرمتك حلالة ذكري ، ولأحجبتك عن قربي ، والمسرّة بمناجاتي ، فأعتبر أنت قلبك حين صلوتك ، فإن كنت تجد حلالتها وفي نفسك سرورها ، وبهجتها وقلبك مسروراً بمناجاته ، وملتذداً بمخاطباته ، فأعلم أنه قد صدقك في تكبيرك ، وإلا فقد عرفت من سلب لذة للمناجات ، وحرمان حلالة العبادة ، أنه دليل على تكذيب الله لك ، وطردك عن بابه .

أقول : هذا كاف في التنبيه على لزوم التحقق بحقيقة التكبير وآية تصديقه ، وإن شئت أن تعرف حقيقته فأرجع الى عرفك والى نفسك فانظر

إذا تريد أن تتكبر ولدك وخدمك لك ، وأعلم أن كل كبير وعظيم تقدر أن يتغلبه أعظم وأكبر من كل شيء فهو أيضاً صغير حقير في جنب كبريائه ، فيجب بحكم العقل أن يكون تكبيرك لربك بقدر قدرتك ، وإستطاعتك و يبدل كل مجهودك ، ثم تعترف بقصورك ، لأن حق تكبيره خارج عن قدرتك هذا .

والأولى أن يقصده أنه تعالى أكبر من أن يوصف ، هذا في التكبير .
و أما الدعاء الأول ، فيجب بحكم الصدق أن يعامل العبد مع الله تعالى معاملة من يقول بأن الله تعالى هو الملك الحق ، أي المالك بالاستحقاق لجميع العوالم ، وجميع العالمين ولا ينقص ذلك بأن يتصرف في ملكه تعالى بغير رضاه ، وبأن لا يرضى لأن يفعل الله في ملكه ما يشاء وإذا أستعصر من نفسه قصوراً في القيام بمقتضى ذلك فيستغفره .

وأما الدعاء الثاني ، فليحضر نفسه ، و حقيقته وقلبه وقالبه وكله لأجابة دعوة الرب بالقيام بوظائف هذا المحضر الجليل ، ويعلم أنه قريب يجيب ندائه ويسمع دعائه وأن بيده الخيرات والسعادات كلها ، ولا يرى الخير في يد غيره ، ولا يتوقعه من غيره ، وأن ينزله من الظلم والشر ، ويعتقد أن الظلم منه على نفسه ، والشر من جهته ، ثم يستدرك ذلك بأن وجوده وبدئه ومعهاده ، وقوامه منه ، وبه وإليه وأن الشر وإن كان منسي ، لكن خالقه أيضاً هو الله ، ولا ضار ولا نافع في الوجود إلا الله ولا ملجأ ولا منجى إلا إليه ، ثم ليعلم أن من كان مؤمناً بأن الخير كله بيده الله ، لا يرغب إلى أحد إلا الله ومن كان مؤمناً بأن لا ضار إلا الله لا يهرب أحداً غير الله ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، والحمد لله .

وأما القيام فحقيقة القيام هو الماثول بين يدي الله لاداء حق العبودية واستجلاب خيرات الربوبية ، والاستيناس به جلّ جلاله ، والالتذاذ بمخاطباته في كلامه ، وبمناجاته في دعائه ، والعلاج لطول مقام يوم القيمة ، ودفع هول المطلق وليستشر بالوقوف على الرّجلين الوقوف في مقام الخوف والرّجاء ، و باطراق الرّأس على الزّام القلب التّذلل والتّواضع والتّبرى عن التّراش والرّياسة ، والتّكبر ، وليعلم أنّ له مقاماً بين يدي الله يوم القيمة ، وخطره إنّما يناسخ بكمال هذا القيام ، فليجد كلّ جدّه في تصحيح قيامه في صلوته ، وليعلم أنّ سريره وضمائره مكشوفة عند ربّه ، يعلم من سرايره ما لا يعلم هو ، فليراقب أنّ لا يخالف سريره رضائره ، فلا محالة يكون تواضعه في هذا المقام الخطير ، مثل تواضعه عند القيام في محضر سلطان من سلاطين الدّنيا ، كيف يراقب في مكلمته ، ومشافهته أنّ لا يخالف رضاه ، ولا يسهو عن قصد معاني ما يخاطبه ، وإشارات مخاطبات السّطان ، ولا يكون الله جلّ جلاله ملك الملوك ، جبار الجبابرة أهون عليه من بشر مثله .

وأما القراءة فيستحب قبلها الاستعاذة بالله السميع العليم من الشّيطان الرّجيم ، فهي الالتجاء إلى حفظ الله في دفع ما يضلّ من وساوسه و مكائده بالقلب ، والعمل واللّسان ، فاتّه عدوّ للبشر مترصد ليصرف قلبه عن الله ، وبدنه عن الطّاعة ، ولسانه عن الذّكر ، فإنّ الاستعاذة من ذلك كلّها باللّسان أنّ يقرء لفظ الاستعاذة ، وبالجوارح أنّ يتحوّل عن محابه ، وطاعته إلى مراضى الله جلّ جلاله ، ومحبته ، وبالقلب أنّ يصرفه في الاشتغال بالله ، وبلذّة مناجاته .

وأما الاكتفاء بمجرد القول باللّسان ، فلا فائدة فيه ، إلّا قليلاً بل قد يكون لغوا محضاً ، وقد يكون مضرّاً فإنّ التّحصن عن العدو بالحصن ،

إنما هو بالتحوّل إلى الحصن من محلّ إختطافه وميدانه ، وأمّا قول: أعوذ بهذا الحصن الحصين ، فلا فائدة فيه ، وحسن الله لآله إلّا الله ، وحسن الله ولاية أولياء الله .

كما ورد في الأخبار: لآله إلّا الله حصني ، وولاية عليّ حصني ، والمتحصّن بآله إلّا الله من لا معبود له سوى الله ، والمتحصّن بولاية أمير المؤمنين من يشيعه ، ويقتدي به في أطواره ، وأوصافه وأفعاله ، وأمّا من اتخذ إلهه هويه ، وشيع أعداء الله ، وأعداء أمير المؤمنين ، وتسنّن بسنتهم ، فهو بأن يقال أنّه متحصّن بحسن الشيطان ، أولى من أن يقال متحصّن بحسن الله ، وبالجملّة المستعبد بالاستعانة الحقيقية في صلوته ، من أتى بمقدوره من الإوصاف الستّة التي ذكرناها في أوّل أسرار نفس الصلوة ، وأقبل بكلّه على الصلوة حتّى بلسانه ، بقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، و يلتجأ إلى سلطان الله جلّ جلاله من مكائد الخبيث ، برّده عن التّوجه إلى الله ، وإلى صلوته بما يوسوس في قلبه ، ويلقي في روعه من الخطرات الشاغلة عن الله والصلوة ، فتح يعيده الله فلا يجعل للشيطان عليه سلطاناً فيخنس الخبيث .

ثمّ أنّ للقرآنة حقّاً خاصّاً من بين أجزاء الصلوة في المراقبة ، لأنّ القرآن أمر عظيم ، وله شأن عند الله ، فاتّه شافع مشفع ماحل مصدق وقد أطلق الله عليه النّور في مواضع ، والنّور إنّما يساوق معني الوجود ، وهو موجود شريف ، حكيم ذو حيوة ، ونطق ، وله في كلّ عالم صورة وجمال ، ويتجلّى يوم القيمة في أحسن صورة ، يمرّ بالمسلمين ، يقولون : هو منّا ويمرّ بالنبيّين ، فيقولون : هو منّا فيجاوزهم إلى الملائكة

القرّين ، فيقولون : هو منّا حتّى ، ينتهى إلى ربّ العزّة ، عزّ وجلّ ،
 فيضع للقرّاء ، حتّى يبلغ كلّ منهم إلى منزلته آتني هي ، به وببالي أنّ
 في بعض الأخبار ، أنّه يكون أبهى وأنور من كلّ من يمرّ عليه ، حتّى
 يمرّ برسول الله ، فيكون مساوياً له هذا ولا تضع إلى من لا يقول إنّ القرآن
 حقيقة غير اللفظ المسموع عن جبرئيل عليه السلام ، وغير هذه النقوش التي
 بأيدينا ، قال النبي صلى الله عليه وآله : أنا أوّل وافد على العزيز الجبار ، وكتابه
 وأهل بيته ، وبالحكمة أنّ القرآن حقيقة ، وروحاً وحياتاً ، وهو تجلّي
 من تجليات الله جلّ جلاله الأوّليّة ، نعم له في عالم الألفاظ صورة لفظيّة ،
 وفي عالم النقوش صورة نقشيّة ، وكيف كان يلزم على العبد المراقب أن يراعى
 حرمة قرائته وأن يعرف عظّمته على حسب عظمة المتكلّم به ، ويعلم أنّه
 لولا استتار نوره بصورة الحروف ، والكلمات لما ثبت لتجلّيه عرش ، ولا
 ثرى ، ولتلاشت اجزاء العالم من عظمة سلطانه ، وسبحات نوره ، ولولم يثبت
 الله كلمه ما اطاق كلامه ، كما لم يطق الجبل مبادي تجلّيه ، فصار دكّاً ،
 وخسر موسى صمّاً ، ويتدبر في قرائته ، ويتخلّى عن موانع الفهم ، فإنّ أكثر
 القارين منعهم عن فهم حقائق القرآن وعجائب احكامه ، وبدايع اشاراته ،
 ودقائق اسراره ، حجب واستارستها الشيطان على قلوبهم ، وعن النبي صلى الله عليه وآله
 عليه وآله لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم ، لنظروا إلى
 الملكوت .

و من جملة اسداله سدل وسواس القراءة فيو كلّ إليه من أبنائه من
 يصرف كل همّه لأقامة حروفه ، فيدخله بذلك في أضاعة حدوده ، ويأمره
 بالتكرار والتّرديد ليتحقّق عنده بحكمه استقامة الحروف ، وخروجها ،

من مخارجها ، فمن كان همه مقصوراً على مخارج الحروف ، فابن له التفكير في فهم معناه .

قيل وأعظم ضحكة للشيطان من أطاعه في مثل ذلك .

ومن جعلتها سداً للتقليد ، وهو أن يقلد القاري من يخالف حقاً من الأباء والأئمة ، أو غيرهم ، ويتعصب فيما قلده ، فإن بداله من حقائق القرآن ماينا فيه ، أولم له لامع من أنواره حمل عليه شيطان التقليد يقول له : أكفرت بعد الإيمان وخالفت مذهبك ؟ وهذا الذي تخيله إتمامه من الوجود آتية من التأويل في بطن القرآن ، فيمنعه عن الوصول إلى الواقع ويؤكد وسوسته بما سمعه من منع الأخبار عن التفسير بالرأي والمسكين جاهل بمعنى التفسير بالرأي ، فيفتن من تلبس الخبيث ، فيضيع نور القرآن ، وركننه وهدايته بالتقليد .

ومنها سدل الذنوب ، فإن منها ماله تأثير خاص في صدأ القلب ، وظلمته كالكبش ، وترك الأمر بالمعروف .

وبالجملة لكل ذنب ظلمة ، وصدأ في القلب ينال في فهم حقائق القرآن ولبعضها أثر خاص في ذلك يظلم القلب ، فيعمى فلا يبصر بنور شمس القرآن أعيان حقائق المعقولات ، كما إذا أعمى بصر الظاهر فلا يفيد نور الشمس في رؤية صور المحسوسات ، فإذا تخلى العبد من موانع الفهم ، وخضع قلبه و فرغ عن الأشغال ، وقرء القرآن في موضع خال استنار بأنوار القرآن ، وفي مصباح الشريعة عن الصادق عليه السلام ، من قرء القرآن ولم يخضع له ، ولم يرق قلبه ، ولم ينشئ حزنًا و وجلًا في قلبه ، فقد أستهان لعظيم شأن الله ، وخسر خسراً مبيتاً .

فقاري القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع ، وبدن فارغ ،

وموضع خال فإذا خشع قلبه ، فرّ منه الشيطان الرجيم ، قال الله تعالى :
 وإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم ، فإذا تفرغ نفسه من
 الأسباب تجرّد قلبه للقراءة ، فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن ،
 وفوائده وإذا اتخذ مجلساً خالياً ، واعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين
 الأولى ، استأنس روحه وسرّه بالله ، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده
 الصالحين ، وعلم لطفه بهم ، ومقام إختصاصهم بقنون كراماته وبدايع
 إشاراته فإذا شرب كأساً من هذا المشرب ، فحينئذ لا يختار على هذا الحال
 حالاً ، ولا على ذلك الوقت وقتاً ، بل يؤثره على كل طاعة وعبادة ، لأنّ فيه
 المناجات مع الرّبّ ، بلا واسطة ، فأنظر كيف تقرأ كتاب ربّك ، ومنشور
 ولايتك وكيف تجيب أوامره ونواهيه ، وكيف تمثّل حدوده ، فأنه كتاب
 عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميد ،
 فرتله ترتيلاً ، وقف عند وعده ووعيده ، وفكر في أمثاله ومواعظه ، واحذر
 من أن تقع من أقامتك حروفه في إضاعة حدوده إنتهى ، فقد أشار ﷺ في هذه
 الكلمات بأصول جميع مراتب القراءة بإشارات لطيفة بديعة ، منها ما ذكرنا
 من التعظيم للكلام والمتكلم ، والتدبّر والتخلّي عن موانع الفهم ، والتفهم
 والتّحصيل ، والتّأثّر والتّرقّي ، وقد عرفت بعض القول في التفهّم وما
 قبله عند ذكر مراقبات نفس الصلوة .

وتريد ههنا على ما ذكرنا امثلة جزئية للتّفكير ، والتّفهّم ليكون
 دستوراً لمن أراد ذلك .

فنبول مستمدّاً من الله الهادي إذا قرئت مثلاً في سورة الواقعة ، أفرأيتم
 الماء الذي تشرّبون ، ما أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ، فلك أن لا
 تقصر نظرك في آثار الماء بمجرّد رفع العطش ، أو مثله من آثاره الواضحة ،

بل تدبرو تفكر في تكون الاشياء منه ، من النبات ، والجماد ، والحيوان
فتفكر في ماء واحد كيف يصير غذاء للحب ، فيكون نباتاً ، ثم يصير غذاء
للحيوان ، ثم يصير غذاء للانسان ، ويكون له عظماً ، ولحمًا ، ودماً ، وشعراً
ومخاً ، ثم كيف يصير سمعاً ، وبصراً ، وغيرهما من القوى ، ثم انظر كيف
يصير روحاً ، وحيوةً ، وشعوراً ، وفكراً وعقلاً ثم تفكر في حقيقة العقل ، و
عظمته ، ثم تفكر في مراتب العقول ، ثم تفكر في مبدء الماء ، و اقراء قوله
تعالى : وانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الارض بعد موتها ، ثم تفكر ،
في صفة الرحمة و تفكر في قيام الرحمة بالرحمن ، وتفتش من ذلك كله الى
بعض وجوه قيوميته تعالى للعالم ، ثم اعطف النظر في اتساع الرحمة مع
المرحوم في الخارج ، وهكذا إلى ان تفوز إلى حظّ وافر من اسرار الكون ،
وإذا قرأت مثلاً : لا إله إلا هو الحي القيوم ، فتفكر في معنى القيوم واقسامه
فترى انه يطلق إلى وجوه من المعاني .

منها قيومية الاعمدة للسقوف ،

ومنها قيومية الاجسام للاعراض ، ومنها قيومية النور للشعاع .
ومنها قيومية العلم للصّور العلمية ، واعلم ان قيوميته تعالى
اجلّ واعلى في معنى القيومية من جميع هذه الاقسام ، وبعض هذه اقرب من
بعض إلى قيوميته بوجه من الوجوه .

ثم اقراء قوله تعالى : ونحن اقرب إليه من حبل الوريد ، فتفكر في
اقسام القرب ، ثم تفكر في معيته تعالى للاشياء ، و تفكر في اقسام المعية
فنزه قيومية ، ومعيته من كل قيوميته ، وقرب ومعية في غيره .

وإذا قرأت قوله تعالى : وان من شيء إلا وعندنا خزائنه ، وما ننزله
إلا بقدر معلوم ، فتفكر أولاً في معنى عند الله ، هل هو عبارة عن مكان مخصوص

بعيد عن مكان الاشياء ، فتكون في المكان البعيد الخارج من العالم ، مثلاً بعد السماء السابعة ، أو في باطن هذه العوالم ، وليس فيها بعد مكاني ، ثم تفكر في الخزائن اهي نظير خزائن الدنيا ، كخزائن الماء ، و الذهب ، و الفضة مثلاً ، وليس كذلك ؛ بل كاختزان الثمار في اصول الشجر ، و الشجر في الحب ، او كاختزان المعلومات في العلوم ، و المعقولات في عالم العقل ، ثم تفكر في كيفية وجود كل شيء في هذه الخزائن ، اهي بصورة ما في هذه العوالم ، أم بغيرها ثم تفكر في كيفية تنزيلها ، فاذا تفكرت في امثال هذه المطالب ، يرحى ان يفتح لك باب فيه من اصول العلم ، ما يفتح به ابواب كثيرة من أسرار الكون .

ثم إذا تفكرت في اسماء الله في القرآن ، مثل الرب ، والرحمن ، و الرحيم ، والقيوم وغيرها ، ثم نظرت في آثارها في العالم ، فرأيت كل اجزاء العالم قائمة بها ، فانظر إلى ربوبيته ، ورحمانيته ، فهل ترى شيئاً في العالم خارجاً من حيطتهما ؟ وإذا تأملت بدقيق التأمل ، رأيت رحمانيته في شراش وجودك ، وفي جميع العالم ، وهكذا ربوبيته ، فان الرحمانية عبارة عن الرحمة العامة المساوقة للإيجاد ، والابقاء ، والإيجاد يعم كل شيء فكل شيء وجوده من رحمته ، وبقائه برحمته ، ففي الخارج ليس الا رحمته ، فالعالم من حيث الموجودية رحمته وإذا نسبت الإيجاد إلى الموجود ، قلت هو فعله ، وإذا نسبت إلى الموجد قلت مفعوله ، ففي الخارج شيء واحد وهي رحمته ، و التخصيص هو أن يقدر أن المقصود من خطابات القرآن هو فاذا قرء فيه امرأ أو نهيأ فقدر انه هو المأمور والمنهى ، وكذلك في الوعد والوعيد وغيرها فان القرآن انما نزل لهداية جميع الأمة ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ، وهذا بصائر للناس

وهدى ورحمة للمتقين ، فاذا نزل كذلك فليقدر كل قادر أنه المقصود .
و أما التأثر ، فهو ان يتأثر حاله باختلاف الايات ، بحسب ما يقره
منها عند قرائتها .

فاذا قرء آيات العذاب يحزن ، ويخاف منها ويبكى .
وإذا قرء آيات الرحمة يستبشر منها .
وبالجملة يتلون عند الاية المقررة .

فيتضائل عند قراءة قوله : خفوه فقلوه ، ثم الجحيم صلوه ، من خيفته
كانه يكاد يموت ، ويستبشر عند قراءة لا تقنطوا من رحمة الله ، فان الله يغفر
الذنوب جميعاً ، كانه يكاد يطير من فرحه ، ويتطأطأ عند قراءة اسماء الله ، و
صفاته لاسيما الجلالية منها ، مثل شديد العقاب خضوعاً لجلال اسمائه جل
جلاله ، وبغض صوته ، ويظهر الانكسار عند ذكر الكافرين بعض ما يستحيل
على الله ، مثل ذكر الولد ، والصاحبة ، والشرىك له جل جلاله ، كانه
يكاد ان يموت من خطر هذه النسبة .

ويظهر الشوق فالانبساط عند ذكر الجنة واوصافها والخوف والانتباض
عند ذكر النار ، وانواع عذابها .

ويظهر الملق عند ذكر أهل القرب والزلفى كانه يكاد يطمع ، ويؤمل
ان يمن بذلك عليه ، والاستغفار عند ذكر المعاصي ، كانه يخاف ان يكون
قد عمل بها ، وهكذا .

والاولى ان يناجي ربه بمقتضى هذه الاحوال ، عند قراءة هذه الايات
بلسانه ايضا ، لان الذكر باللسان يؤكد ما في الجنان .

والمقصود الاسلي من قراءة القرآن ، استجلاب هذه الاحوال الى القلب
والنفس والروح ، وإلا فمن قرئه باللسان ، ولم يرق قلبه من هذه الاحوال

ولم يؤثر في جوارحه بالأعمال ، وقد سمعت في كلام الصادق عليه السلام ، أنه ممن استهان لعظم شأن الله ، ولملّه يدخل في المراد من قوله تعالى ، ومن اعرض عن ذكرى ، فإن له معيشة ضنكا ، فليكن اللسان عند قراءة القرآن واعظاً والعقل مترجماً ، والقلب وسائر الجوارح متعظاً .

وقد حكى تأثرات عجيبة عن بعض القارين من التوبة ، والغشوة ، والهلاك ، وقد يورث التأثر مثلاً من خوف جهنم ، أن ينكشف له عن حقيقتها فيراها بالعيان ، وهكذا من الاستبشار بالجنة ، أن ينكشف له حقيقتها ، فيراها بالعيان ، فيكون من الموقنين بالثواب والعقاب ، وهكذا والتبرى عبارة عن التبرى وعن حوله وقوته ، وعن النظر إلى نفسه بعين الرضا ، و إلى صله بالأصحاب ، فعند قراءة ما فيه ذكر الصالحين والمقربين يقدر نفسه منهم ، بل يؤمل أن يكون منهم بعد من الله وفضله ، و يشاق إلى لقائهم . و إذ تلى آية فيها ذم ومقت لعاص ، شهد نفسه هناك ، وقدر وقوع المقت به .

وهذا ما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام عند وصفه للمتقين وإذا مرّوا بآية فيها تخويف اصغوا إليها مسامع قلوبهم ، وظنّوا أن زفير جهنم في آذانهم وإذا كان حاله ذلك ورأى نفسه مقصراً في جميع الاحوال ، صارت هذه الروية سبباً لقربه من رضا ربه ، فمن شهد البعد في القرب لطف له بالخوف ، حتى يسوقه إلى درجة آخر من القرب ، ومن شهد القرب في البعد ، مكر به بالامن حتى يفضيه إلى درجة أخرى في البعد ، والترقي عبارة من أن يترقى في قرائته إلى حال يسمع الكلام من الله تعالى ، كما سمعته في قراءة الصادق عليه السلام حيث قال : حتى سمعتها من المتكلم بها ، فإن درجات القراءة مختلفة فادناها تلك درجات ، ادنى الثلاثة ، أن يقدر القارى كانه واقف بين يدي الله

جلّ جلاله ، يقرئه عليه ، وهو ناظر إليه ، ومستمع منه ، فيؤثر ذلك فيه السؤال والملق والضراعة والابتهال ، وارفح من ذلك ان يشاهد بقلبه كان الله يخاطبه ويناجيه بكلامه ، فيؤثر ذلك الاسغاء والفهم ، والتعظيم والحياء ، والهيبة والرجاء ، واعلى من ذلك كله ان يرى في الكلام المتكلم ، وفي الكلمات الصفات ، فيشغله ذلك عن النظر إلى قرائته ، وإلى نفسه وبالجملة كل شيء سوى ربه المتكلم بالقرآن ، فيكون مقصوده الهمّ به ، حتّى عن انعامه و احسانه كأنه مستغرق في مقام الشهود ، وعن مثل ذلك اخبر الصادق حيث قال : والله لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكن لا يبصرون ، وغشى عليه عند تكرار القراءة في الصلوة ، وهذه الدرجة انما يختص بها المقرّبين ، وما قبلها درجة اصحاب اليمين ، وغيرها لسائر الناس من الغافلين ، واللذة الكاملة انما هي في الدرجة الاخيرة ، وصاحبها هو الذي لا يختار على هذا الحال خلا .

وحكى عن بعض الحكماء ، انه قال : كنت اقرء القرآن ، فلا أجده حلالة حتّى تلوته كاتمي اسمعه من رسول الله ﷺ ، ثمّ تلوته ثمّ تلوته كاتمي اسمعه عن جبرئيل ، ثمّ قال الله على بمنزلة اخرى ، فانا الآن اسمعه من المتكلم به ، فعند ذلك وجدت لذة ، ونعيماً لا اصبر عنه .

هذا والذي ذكرناه في التفكر ، والتفهّم المفصل ، انما هو لا يتأتى في قراءة الصلوة انما التفهّم في قراءة الصلوة ولا بدّ أن تكون بحيث لا تخل بصورة الصلوة ، ثمّ انه لا بأس بان نشير اجمالاً إلى ما ورد في تفسير سورة الفاتحة ، وسورة القدر ، وسورة التوحيد بمناسبة انّها تقرء غالباً في الصلوة الخمس .

فأقول مستعينا ببسم الله الرحمن الرحيم .

في الخبر عن الباقر لا تدعها ولو كان بعد ما شعر .

وعنه من تركها من شيعتنا امتحنه الله بمكروه لينبئه على الشكر
والثناء، ويمحق عنه وصمة تقصيره .

وورد أيضاً أن بعض الشيعة نسيه عند جلوسه بحضرة أمير المؤمنين
عليه السلام فوقع و شج رأسه ، فاخبره عليه السلام بأن ذلك من جهة تركه للتسمية ،
وورد غير ذلك أيضاً في اخبارنا ، واخبار العامة .

وورد في اخبارنا بالبلاء ظهر الوجود ، وبالنقطة تحت الباء تميز العابد
عن المعبود ، وورد في الكتاب لارطب ولا يابس إلا في كتاب ، روى عن أمير
المؤمنين عليه السلام أن كل ما في القرآن في الفاتحة ، وكل ما في الفاتحة في
بسم الله الرحمن الرحيم ، وكل منافيه في الباء ، وكل ما في الباء في النقطة
وانا النقطة تحت الباء .

وورد الباء ، بهاء الله ، والسّين سناء الله .

روى في الكافي و التوحيد والمعاني عن العياشي ، عن أبي عبد الله عليه السلام
الباء بهاء الله ، و السّين سناء الله ، والميم مجد الله .
والقمي عن الباقر عليه السلام ، والصادق عليه السلام ، والرضا عليه السلام باسانيد
جملة منها معتمدة ، مثله ، ولكن بدل مجد الله ملك الله .

ورواه كذلك في التوحيد ثانياً .

و روى في التوحيد باسناده عن الرضا عليه السلام ، ان أوّل ما خلق الله
ليعرف خلقه الكتابة ، حروف المعجم ، إلى ان قال : حدثني أبي عن أبيه
عن جدّه أمير المؤمنين عليه السلام في ا ب ت ث ، أنّه قال : الالف آلاء الله والباء
بهجة الله ، إلى ان قال : س ن ، فالسّين سناء الله ، إلى ان قال : م ن الميم
ملك الله يوم الدين الحديث .

وروى فيه أيضاً عن الكاظم عليه السلام رواية ، في تفسير الميم بملك الله

ورواية عن علي عليه السلام في تفسير ابجد ، واخرى عن الباقر عليه السلام في تفسير الصمد ، ان الميم دليل على ملكه .

وروى في حروف لفظ الجلالة ، الالف الاء الله ، وفي بعضها تقييد الالاء بنعمة الولاية ، واللام الزام الله الخلق بالولاية ، والهاء هوان المخالفين لمحمد وآل محمد عليه السلام ، وفي بعضها هول جهنم ، وفي بعضها الهاوية ، فالمراد منها واحد كما هو ظاهر .

أقول : روى عن الطبرسي ، عن تفسير الثعلبي بإسناده إلى مولانا أبي الحسن الرضا عليه السلام .

انه قال في الالف ست صفات من صفات الله ، الابتداء ، فان الله ابتداء جميع الخلق ، والالف ابتداء جميع الحروف ، والاستواء فهو عادل غير جائر ، و الالف مستوفي ذاته ، و الافراد ، و هو فرد ، و الالف فرد ، و اتصال الخلق بالله ، والله لا يتصل بالخلق ، و كلمهم محتاجون إلى الله ، والله غني عنهم ، والالاء كذلك لا يتصل بالحروف ، والحروف متصلة به ، و هو منقطع عن غيره ، والله بائن بجميع صفاته عن خلقه ، ومعناه من الالف ، وكان الله سبب الفة الخلق ، رواء في كنز الدقائق عنه أيضا مثله .

أقول : ويعرف من هذه الاخبار ، وغيرها مما روي في الابواب المختلفة ان عالم الحروف عالم في قبال العوالم كلمها و ترتيبها أيضاً مطابق مع ترتيبها ، فالالف كانه يدل على واجب الوجود ، والباء على المخلوق الاول ، وهو العقل الاول ، والنور الاول ، وهو بعينه نور نبينا عليه السلام ، ولذا عبر عنه ببهاء الله ، لان البهاء بمعنى الحسن و الجمال ، والمخلوق الاول اسماء هو ظهور جمال الحق ، بل التدقيق في معنى البهاء ، انه عبارة عن النور مع هبة ووقار ، فهو المساوق للمجامع للجمال و الجلال ، والمرتبة الثانية ، مرتبة

السَّيِّئِ الْمَفْسُورِ بِسْمَاءِ اللَّهِ ، الَّذِي هُوَ فِي اللَّفْظِ بِمَعْنَى ضَوْءِ الْبَرَقِ ، وَ بِمَعْنَى الرَّفْعَةِ ، وَدَالَ عَلَى مَرْتَبَةِ النَّفْسِ الْكَلْبِيَّةِ ، وَالثَّالِثِ الْمَلِيْمِ الْمُسْتَدِيرَةِ الْحَاكِي عَنْ دَايِرَةِ الْإِمْكَانِ ، الْمَفْسُورِ بِالْمَلِكِ ، فَالْعَوَالِمُ ثَلَاثَةٌ : عَالَمُ الْعَقْلِ ، وَعَالَمُ النَّفْسِ ، وَعَالَمُ الْمَلِكِ وَالشَّهَادَةِ ، وَانْ شَتَّ قُلْتُ : الْجَبَرُوتُ وَ الْمَلَكُوتُ ، وَ النَّاسُوتُ .

هَذَا مَاوَرَدُ فِي حُرُوفِ الْبِسْمَلَةِ ،

وَأَمَّا مَاوَرَدُ فِي تَفْسِيرِ كَلِمَاتِهِ .

مِنْهَا مَا رَوَاهُ فِي التَّوْحِيدِ ، عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّ رَجُلًا قَامَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْبِرْنِي عَنْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَا مَعْنَاهُ ؟ فَقَالَ : إِنَّ قَوْلَكَ : اللَّهُ أَعْظَمُ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ ، وَهُوَ الْإِسْمُ الَّذِي لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّى بِهِ غَيْرُ اللَّهِ ، وَلَمْ يُسَمَّ بِهِ مَخْلُوقٌ ، فَقَالَ الرَّجُلُ فَمَا تَفْسِيرُ قَوْلِهِ : اللَّهُ قَالَ هُوَ الَّذِي يَتَّأَلَهُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَوَائِجِ ، وَالشَّدَائِدِ كُلِّ مَخْلُوقٍ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَاءِ عَنْمَا دُونَهُ ، وَيَقْطَعُ الْأَسْبَابَ مِنْ كُلِّ مَنْ سِوَاهُ ، وَمَا رَوَاهُ فِيهِ أَيْضًا عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي حَدِيثٍ ، قَالَ : مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي يُؤَلَّهُ فِيهِ الْخَلْقُ ، وَيُؤَلَّهُ إِلَيْهِ ، وَاللَّهُ هُوَ الْمُسْتَوْرِعُ عَنْ دَرْكِ الْأَبْصَارِ ، الْمَحْجُوبُ عَنِ الْأَوْهَامِ ، وَ الْخَطَرَاتِ ، ثُمَّ قَالَ قَالَ الْبَاقِرُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَعْنَاهُ الْمَعْبُودُ الَّذِي إِلَهُ الْخَلْقِ عَنْ دَرْكِ مَا هِيَ تَهْ ، وَالْإِحَاطَةُ بِكَيْفِيَّتِهِ وَيَقُولُ الْعَرَبُ : إِلَهُ الرَّجُلِ إِذَا تَحَيَّرَ فِي الشَّيْءِ ، فَلَمْ يَحْطَ بِهِ عِلْمًا ، وَ وَلَهُ إِذَا فَرَّغَ إِلَى الشَّيْءِ ، كَمَا يَحْذَرُهُ وَ يَخَافُهُ ، وَ الْإِلَهُ هُوَ الْمُسْتَوْرِعُ عَنْ حَوَاسِّ الْخَلْقِ .

وَأَمَّا تَفْسِيرُ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، فَفِي التَّوْحِيدِ الرَّحْمَنُ الَّذِي يَرْحَمُ بِسِطِّ الرَّزْقِ عَلَيْنَا ، الرَّحِيمُ بِنَا فِي أَدْبَانِنَا ، وَدُنْيَانَا ، وَآخِرَتِنَا ، خَفَّفَ عَلَيْنَا الدِّينَ وَجَعَلَهُ سَهْلًا خَفِيفًا ، وَهُوَ يَرْحَمُنَا بِتَمِيزِنَا عَنْ أَعَادِيهِ .

وفي رواية معتمدة : الرحمن بجميع خلقه ، والرحيم بالمؤمنين خاصة .
وفي التوحيد ايضاً في حديث قلت له : الرحمن قال : بجميع العالم ،
قلت : الرحيم ، قال : بالمؤمنين خاصة .

وفي رواية أخرى تفسير الرحمن بالعاطف على خلقه بالرزق ، لا يقطع
عنهم مواد رزقه ، وإن انقطعوا عن طاعته ،

وعن المجمع عن عيسى بن مريم عليه السلام : الرحمن رحمن الدنيا ،
والرحيم رحيم الآخرة .

وفي بعض ادعية الصّحيفة السجّادية ، يا رحمن الدنيا والآخرة ،
ورحيمهما ، وعن الصادق ، الرحمن اسم خاص لصفة عامة ، والرحيم اسم
عام لصفة خاصة .

أقول : أصل الرحمة العطوفة ، وقد يوجد في الرحيم منا ثلاثة أشياء :
الرفقة ، والانكسار من ملاحظة حال المرحوم ، ثمّ العطف والشفقة ، ثمّ ما
يفعل به من ما يقتضيه حال العطف من الاحسان والانعام ، ويشبه أن يكون
الموضوع له اللفظ هو الثاني ، والأول من مبادئه ، والثالث من نتائجه ،
فعلينا هذا لانتلزم في إطلاقاتها على الله تجوّزاً باثبات الغاية كما ذكره ، لتخيّل
دخول الرفقة في حقيقته ، فراراً عن القول باتصافه تعالى بها ، فليس اطلاق
الرحيم على الله مقصوراً على إعتبار أخذ الغاية ، والغناء حقيقة الصفة ، بل
للرحمة ، وكذا ما يراعى الله مبادئ وجودية غنية عن التحقيق ، هي حقيقة
معاني الالفاظ ، فحقيقه الرحمة هو المعني الذي باعتباره يرحم الممكنات ،
وهو حقيقة اسم الرحيم من أسمائه المخلوقة العينية ، كما ورد عن النبي
صلى الله عليه وآله أن الله تعالى مائة رحمة ، أنزل منها واحدة إلى الأرض ، فقسّمها بين
خلقها ، فيها يتعاطفون ، ويتراحمون ، وآخر تسعاً وتسعين يرحم بها عباده يوم

القيمة ، فإطلاق الرّحمن والرّحيم على الله تعالى باعتبار خلقه الرّحمة الرّحمانية والرّحيميّة باعتبار قيامها به ، قيام صدور ، لإقيام حلول ، فرحمته الرّحمانية افاضة الوجود المنبسط على جميع المخلوقات ، فايجاهه رحنانيّته ، والموجودون رحمته ، ورحمته الرّحيميّة افاضة الهداية والكمال لعباده المؤمنين في الدّنيا ، ومنه بالجزاء والثّواب في الآخرة ، فايجاهه عامّ للبرّ والفاجر ، وهدايته مخصوصة للمؤمنين ، والرّحمن من جهة دلالة على الرّحمة المطلقة العامّة لا يطلق على رحمة المخلوقين ، فهو من خصايصه تعالى ، والرّحمة الرّحيميّة من جهة أخذ النصوصيّة ، والتقييد فيها لآمان من إطلاقه على ما بينهم من الرّحمة المقيدة ، فمن نظر إلى العالم من حيث قيامه بإيجاد الحق تعالى ، فكانه نظر إلى رحنانيّته ، وكأنه لم ير في الخارج إلّا الرّحمن ، ورحمته ، ومن نظر إليه باعتبار إيجاده فكانه لم ينظر إلّا إلى الرّحمن .

وبقى هنا وجه إطلاق الرّحمان ، وإضافته إلى الدّنيا ، والرّحيم إلى الآخرة تارة ، وإطلاقهما وإضافتهما إلى الدّنيا والآخرة في الدّعاء ، بقوله ﷻ : يا رحنان الدّنيا والآخرة ورحيمهما ، أمّا الأوّل فللاشارة إلى الرّحمة المطلقة التي لا يختصّ بها المؤمن ، والرّحمة الخاصّة التي يختصّ بها المؤمن بقلبة ظهور الاولى في الدّنيا ، والثّانية في الآخرة ، وأمّا الثّاني فللاشارة إلى وجودهما في الدّارين ، وعدم منح الكفّار من جميع وجوه الرّحمة الرّحيميّة ، فإنّ دعوتهم إلى الايمان ، يبعث الأنبياء ، وانزال الكتب ايضاً حظهم من الرّحمة الرّحيميّة ، فهم لسوء إختيارهم منعوها عن أنفسهم ، وضيعوها .

ثمّ انه يصحّ أن يدعي مدّع ان الرّحمة كلّها من الرّحمن الرّحيم ، لأنّ ما يترأى في العالم من الرّحمة ، فهي ايضاً من اشعة رحمته ، وآثارها ،

فنسبتها إليه تعالى اصدق من نسبتها إلى غيره ، ونسبتها للغير ، إنما هو ينحو من التناوب ، كنسبة نور المصباح إلى الزجاجه بمجرّد وساطتها في اصال النور ، بل كنسبة الاشراق إلى ضوء الشمس ، ونسبتها إلى الله كنسبة الاشراق إلى الشمس .

ثمّ انه قد يستشكل الخبيث في قلب المؤمن ، بمنافات وجود الآلام والاسقام ، والاحتياج والمكارة في العالم ، لاسيّما في المؤمن والولي مع كمال الرّحمة والقدرة ، فيجيبه المؤمن بأنّ هذا الشرور والاسواء ، ليست إلّا للرحمة بنتائج عواقبها الخيريّة ، ويرده الخبيث بالقدرة على اصال الخيرات بغير توسيط الآلام ، فيتحمّس المسكين عن جوابه ، والذي يسبح بباله في جوابه ، أنّ الوجه في تقدير الفيض كمّاً وكيفاً ، كما يفهم من قوله تعالى : وما ننزله إلّا بقدر معلوم ، إنّما هو قضية تقييد مقتضيات سائر الصفات بصفة الحكمة ، فالحكيم لا يخلق ولا يعمل ، ولا يوجد ، ولا يرحم بما ينافيه الحكمة .

ثمّ أنّ حظّ العبد من صفة الرّحمان ، ان لا يدع لذي فاقة فاقة إلّا يسدّها بقدر طاقته ، ولا يترك فقيراً في جواره وبلده إلّا ويقوم في تعهده ، ودفع فقره أمّا بماله اوجاهه ، او السّعي في حقه بالشّفاة إلى قديره ، فان عجز عن ذلك كلّّه فيعينه بالدّعاء ، وإظهار الحزن من حاجته وضرّ رفقاً وعطفاً عليه ، كالسّهم في الضرّ ، والحاجة ، وأمّا حفظه من رحمة الرّحيميّة ، أن يرحم عباده الغافلين ، فيصرفهم عن طريق الغفلة إلى الله بالوعظ والارشاد بطريق اللّطف ، لا العنف ، وأن ينظر إلى العاصين بعين الرّحمة ، لا الازراء ، وأن يفرض كلّ معصيته من العاصين كأنّها ~~معصيته~~ معصيته ويجتهد في ازالتها بقدر طاقته ووسعه ، فيصرف بذلك العصاة عن التّعصّب لسخط الله ، اولبعده عن

جواره والابتلاء بعقابه .

هذا ، والمهم ان يعرف الانسان في الخارج اسم الله الرحمن الرحيم ، ويتوجه به إلى الله في الاستغاثة في أموره كلها ، معرفة جزئية شخصية ، فان لكل شيء جهتان : جهة من الله ، وهي جهة اسم الله الذي به أوجده الله ، وجهة نفسه ، وحق الاستغاثة باسم الله أن يعرف الانسان هذه الجهة في الخارج فيتوجه بها إلى الله ولا بأس للإشارة برد بعض ما حدث بين أهل العلم من الاشكال في قراءة بسملة السور من دون تعيين السورة ، وقرائنها بقصد سورة اخرى غير السورة المقررة ، بلحاظ ان البسملة في كل سورة آية منها ، غير البسملة في السورة الأخرى ، لما ثبت انها نزلت في أول كل سورة إلا سورة برائة ، فتعين قرآنية هذه الالفاظ ، إنما هو بقصد حكاية ما قرئه جبريل عليه السلام على رسول الله ، وإلا فلا حقيقة لها غير ذلك ، وعلى ذلك يلزم في قرآنية الآيات ان يقصد منها ما قرئه جبريل عليه السلام ، وما قرأ جبريل عليه السلام في الفاتحة حقيقة بسملة الفاتحة ، وهكذا بسملة كل سورة لا يكون آية منها إلا بقصد بسملة هذه السورة ، فاذا لم يقصد التبعين ، فلا يكون آية من هذه السورة ، بل ولا يكون قرآناً ، والجواب عن ذلك كله أن القرآن كله حقايق في العوالم ، ولها تأثيرات مخصوصة ، وليست حقيقتها ، مجرد مقروئتها من جبريل عليه السلام ، بل المقرورة لجبريل لارتباطها في الماهية ، والبسملة أيضاً آية واحدة ، نزلت في أول كل سورة ، فلا يختلف بنزولها مع كل سورة حقيقتها ، وليست بسملة الحمد مثلاً إلا بسملة الاخلاص ، ولا يلزم ان يقصد في كل سورة خصوص بسملتها بمجرد نزولها مرات ، وإلا يجب ان يقصد في الفاتحة أيضاً تعيين ما نزل أولاً ، أو ثانياً ، لأنها أيضاً نزلت مرتين ، فلا خير أن لا يقصد بالبسملة خصوصية السورة ، بل لا يضر

قصد سورة ، وقراءة البسملة بهذا القصد ، ثم قراءة سورة اخرى ، وليس هذا الاختلاف إلا كاختلاف القصد الخارج عن تعيين الماهيات مثلاً إذا فرضنا أن الصلوة في المسجد افضل ، وغفل المصلّي عند الصلوة عن كون الصلوة في المسجد ، بل اشتبه عليه الامر وفرض نفسه في غير المسجد وصلى هذا لا يضره في صلواته ، وفي كون صلواته في المسجد ، نعم لا يستحق ثواب قصد الصلوة في المسجد ، بل الذي دلّ عليه بعض الاخبار ، أن الامر في النية اوسع مما ذكرنا ، مثل ما ورد في احتساب صوم من غفل عن دخول شهر رمضان ، بنية غير صوم شهر رمضان ، عن شهر رمضان ، هذا .

ولنذكر الآن ما أخرنا ذكره من القول في تفسير الاسم .

اقول : تفسير الاسم في الاخبار بالسمة بمعنى العلامة معروف ، والاخبار في حدوث اسماء الله تعالى متواتره ، وفي اثبات الاسماء العينية له تعالى كثيرة ، وفي كونهم تعالى اسماء الله الحسنى مستفيضة ، ويفهم منها ان جميع افعال الله في العالم من الابداع ، والخلق ، والرّزق ، والحفظ وغيرها اتمامي قضية اسمائه ، وان الله تعالى إنما جعل بعض مخلوقاته واسطة لخلق بعضها الآخر وسماء اسماً لنفسه كما في مضامين بعض الادعية ، استلّك باسمك الذي خلقت به البحر ، وباسمك الذي خلقت به الجبال ، وهكذا ، وان لاسمائه تعالى مراتب بعضها فوق بعض ، فيكون اعظم اسمائه مخلوقه الاول ، والواسطة بينه وبين الكل ، فينطبق بمعونة بعض الاخبار بحقيقة نور نبينا ، وآله المتّحدين معه في النورانية .

ولا بأس أن نذكر من تضاعيف هذه الجملة ما فيه كفاية لإثبات ما ذكر .

منها ما زواه في التوحيد عن الرضا عليه السلام ، حين سئل عن تفسير

البسمة ، قال : معني قول القائل : بسم الله ، اى اُسَمُّ على نفسي سمة من سماء الله ، وهي العبادة ، قال الرُّبُّ اوى فقلت له : ما السِّمة ؟ قال : العلامة :

أقول : المتحقق بحقيقة التسمية ، متحقق بمقام العبودية ، التي كنهها الربُّ بويِّة ، وهي علامة الربُّ بويِّة ، ومظهرها لأنَّ العبودية فناء ، وتبعية وقابلية ، وسؤال ، والتجاء ، واعتصام ، والربُّ بويِّة كمال وجود ، واعطاء وإيجاد وامداد وتأثير ، و الاوَّل مظاهر للأخرة فمن يسمي نفسه بهذه السمات ، أي بجهات الفقر والفناء ، فقد ناله بما يريد من تأثير الربُّ بويِّة ، ومن يسمي بسمات نفسه ، أي رأى لنفسه قدرة وحولاً وقوَّة ، إحتجب بنفسه عن ربه ، وذلك لأنَّ كلَّ ممكن موجود ، زوج ثركيبي له وجود وماهية ، أي لوجوده الخاصَّ جهتان : جهة من ربه ، وهو ايجاده له ، وجهة من نفسه وهوانانيته وماهيته ، وهذه الجهة فناء وعدم مع قطع النظر عن جهة إيجاده تعالى له ، والفاعل عند فعله إذا التفَّت ان ليس له من جهة نفسه إلاَّ الفقر ، وانَّ الحول والقوَّة كلُّها من جهة إيجاد الربِّ ، فهو متمسم نفسه بسمة من سمات الله ، وهو فقير وفنائ ، وذلك علامة الله ، فكانه إذا رأى نفسه فقيراً فانياً ، بل فقراً وفناء ، توجه في تحصيل مراده من فعله ، إلى الله وإلى اسمائه .

ومنها رواه في الكافي ، والتوحيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : انَّ الله خلق اسماً بالحروف غير متصوِّت ، وبالكلف غير منطوق ، وبالشخص غير مجسَّد ، وبالتشبيه غير موصوف ، وبأللون غير مصبوغ ، منفى عنه الاقطار ، مبعد عنه الحدود ، محجوب عنه حسَّ كلِّ متوهَّم ، مستتر غير مستور ، فجعله كلمة تامَّة على أربعة اجزاء معا ليس ثمنها واحد قبل الآخر ، فأظهر منها ثلاثة اسماء لفاقة الخلق إليها ، وحجب واحداً منها ، وهو الاسم المكنون المخزون ، فهذه الاسماء التي ظهرت ، فالظاهر هو الله تعالى : وسخر

سبحانه لكل اسم من هذه الاسماء أربعة أركان ، فذلك اثني عشر ركناً ، ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فبعلاً منسوباً إليها ، فهو الرّحمن الرّحيم ، الملك القدوس الخالق ، البارئ المصور ، الحي القيوم ، لا تأخذه سنة ولا نوم ، العليم الخبير ، السميع البصير ، الحكيم العزيز ، الجبار المتكبر ، العلمي العظيم ، المقتدر القادر ، السلام المؤمن المهيمن ، الباري المنشي ، البديع الرّفيح ، الجليل الكريم ، الرّازق المحيي المميت ، الباعث الوارث ، فهذه الاسماء ، وما كان من الاسماء الحسنی ، حتّى تتمّ ثلثمائة وستين اسماً ، فهي نسبة لهذه الاسماء الثلاثة . وهذه الاسماء الثلاثة أركان وحجب الاسم الواحد المكنون المخزون بهذه الاسماء الثلاثة ، وذلك قوله تعالى : قل ادعوا الله أو ادعوا الرّحمن ، ايّاً ما تدعوا فله الاسماء الحسنی .

أقول : يشبه أن يكون المراد من هذا الاسم العيني ، هو أول خلق الله النور المحمدي ، وبجزئه المخزون المكنون ، جهة الإلهية ، وبأجزائه الثلاثة الظاهرة ، عوالمه الثلاثة ، عالم روحه المجردة ، وعالم مثاله المقيّد بالصورة ، وعالم جسمه المقيّد بالمادة ، والصورة ، وباركانها الأربعة ، الاملاك الأربعة ، إسرافيل ، وميكائيل ، وجبرائيل ، وعزرائيل الموكّلين بالحياة ، والموت ، والعلم ، والرّزق ، وأنفس الموت والحيات ، والعلم ، والرّزق ، وان يكون المراد من الثلث مائة ، والستين ، جملة الاسماء التي هي فعل منسوب إلى الاركان الاثني عشر ، ما يفيضه الله تعالى بوساطة الاملاك الأربعة ، في العوالم الثلاثة من تفاضل آثار أفعالهم ، مثلاً كلّما يوجد في عالم الارواح ، والمثال ، والاجسام من فعل الرّزق ، فهو ما يفيضه باسم الرّزق بوساطة ميكائيل ، وهكذا ما يوجد فيها من العلم ، والهداية ، فهو ما يفيضه بوساطة جبرئيل باسم العلم ، وهكذا جملة التأثيرات الواقعة في العوالم الثلاثة بإيجاد الله تعالى : بوساطة هؤلاء

الاملاك الموكلين بالاحياء ، والامانة والرزق ، والعلم ، و يجمعها ثلثمائة وستين نوعاً من المؤثرات المسماة بالاسماء العينية ، ويمكن أن يكون تحت كل واحد من هذه الانواع ، اصناف عديدة ، وافراد غير محصورة ، وبعد أيضاً من عالم الاسماء ، وبهذا الدّاحظ قيل : ان اسماء الله غير محصورة ، ولا بد أن يكون بعضها فوق بعض ، ومحيطاً ببعض ، وبعضها في عرض بعض ، والمحيط بالكل هو الواحد الاحد ، ولعلّه المراد بقول امير المؤمنين عليه السلام في خطبته : لكل شيء منها حافظ ورفيق ، وكل شيء منها شيء محيط ، والمحيط بما احاط منها ، الواحد ، الاحد ، الصمد .

و منها ما رواه في الكافي باسناده ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، في قول الله تعالى : ولله الاسماء الحسنی ، فادعوه بها ، قال : نحن والله الاسماء الحسنی - ام .

ومنها ما رواه في الوافي ، قال : قال نبينا عليه السلام أوّل ما خلق الله نوري ، وفي رواية أخرى ، روحی .

وفي بعض دعوات شهر رمضان ، أنه عليه السلام الحجاب الاقرب ، فيكون طرف الممكن ، وداسطة بين الواجب وسائر الممكنات ، متصلة بحقيقته ، ومستمدّة منها ، وعلى هذا فمن قدران يغلي نفسه ، وفكره من جميع الاكدار ، وظلم المعاصي ، و انواع الخيالات ، والاصناف الطّارئة عليها ، وكشف عن وجه روحه هذه الاغشية ، وسائر الحجب ، يمكن له أن يعرف نورهم صلوات الله عليهم ، ويتصل روحه بارواحهم ويستمدّ من نورانيتهم ، فيكون حينئذ من شيعتهم المقرّبين ، واوليائهم السابقين ، رزقنا الله ذلك ، وجميع اوليائه المؤمنين ، ويحتمل أن يكون هذا هو المراد بمعرفة الاسم الاعظم ، فاذا

عرفه ولي من الاولياء معرفة شخصية ، وتوجه به إلى الله في دعائه ، اجابه الله بالقبول ونيل المستؤل .
وأما قوله :

الحمد لله ، أي جنس الحمد ، أو جميع افراده ، ملك لله ، او مختصة به جل جلاله ، لأن الحمد هو الثناء في مقابل الجميل ، سواء كان من الفضائل ، ام الفواضل ، والحمد معترف بنعمة الله ، ومظهر شكره ورضاه ، من منة الله عليه بلسانه ، ومن زاد على ذلك وأعتقد ان جميع النعم والخير والفضل من الله ، يزيد شكره ورضاه لاحالة ، ثم ان في ذكر لفظ الجلالة في مقام الحمد ، إشارة لعلة اختصاص الحمد لله تعالى ، لان معني لفظ الجلالة إنما يشير إلى الذات المستحق لجميع صفات الكمال .

ومنها غناء عن الكل في جميع الجهات ، واحتياج الكل اليه في جميع الجهات ، وهذا يقتضى استحقاقه باختصاص الحمد له ، فمن رأى الخير كله من الله ، لا يطمع في احد غيره ، ويتخلص من رعونات الرياء ، والسمة ، بل النفاق ، وغيرها من الاخلاق الرزيلة التي تنشأ من الرغبة ، والرغبة ، وبالجمله حال الحمد معرفة النعمة والرضا عن المنعم ، فمن لم يصدق قلبه حمده ، وكان قلبه غير راض ، وغير متشكر ، فحمده باللسان من شعب النفاق .

« برزبان الحمد واكرام اذ درون * از زبان تلبیس باشد بافسون »
هذا حال مطلق الحمد ، فكيف اذا اعتقد ان جميع النعم الغير المحصورة من الله .

هذا ومن اللازم في المقام ، ان نذكر بعض ما ورد في البسملة ، ليتسم به المقصود .

في الكافي عن الباقر عليه السلام "أول كل كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم"، فانقرئتها فلا تبال ان لا تستعيز، و اذا قرئتها ستربك ما بين السماء والارض .

وعن القمي عن الصادق عليه السلام ، انها حق ما يجهر به ، وهي الآية التي قال الله عز وجل : و اذا ذكرت ربك في القرآن وحده ، ولو اعلى ادبارهم نفورا .

قيل : لعل الوجه في رجحان الاجهار به أن يكون موجبا لظهور فيوضاته في العالم .

روى الشيخ في الصحيح ما هو صريح في كونها افضل آيات الفاتحة .
و في رواية انه اعظم آية من كتاب الله .
و في اخرى انه اكرم آية في كتاب الله .
و في رواية انه اذا لم يجهر به الامام ، ركب الشيطان كتفه ، و يكون هو اماما للناس حتى ينصرفوا .

وعن النيسابوري ، مرسلا عن أمير المؤمنين عليه السلام : أنه قال : لما نزلت بسم الله الرحمن الرحيم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أول ما نزلت هذه الآية علي آدم عليه السلام ، قال : امن فدرستي من العذاب ما داموا علي قرائتها ، ثم رفعت فانزلت علي ابراهيم عليه السلام فتلاها وهو في كفة المنجنيق ، فجعل الله عليه النار بردا وسلاما ، ثم رفعت بعده فما انزلت ألا علي سليمان عليه السلام ، عندها قالت الملائكة تم والله ملكك ، ثم رفعت فانزل الله تعالى علي ، ثم يأتي امتي يوم القيمة و هم يقولون : بسم الله الرحمن الرحيم ، فاذا وضعت اعمالهم في الميزان ترجحت ، اقول : يستشعر من قوله عليه السلام : ثم رفعت ان انزلها ليس بمجرد قراءة الملك لفظها علي الانبياء ، وإلا فلا معنى لرفعها ، فيمكن

ان يكون انزالها ورفعها ، انزال حقيقتها و آثارها في العالم ، كما يشعر به ما ورد على ما يبالي ، انه بعد ما انزل اهدنا الصراط المستقيم ، ارتفع التنصير و التسويد من امة محمد ﷺ .

روى في الكافي و العلل باسانيد معتبرة ، عن الصادق في ذكر صلوة ليلة المهرج بطوله : ثم ان الله عز وجل قال : يا محمد ﷺ استقبل الحجر الاسود ، و كبرني بعدد حجري ، فمن اجل ذلك صار التكبير سبعة ، لان الحجب سبعة ، و افتتح القراءة عند انقطاع الحجب ، الى ان قال : فلما فرغ من التكبير والافتتاح ، قال الله : الان وصلت الي قسم باسمي ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم الحديث ، اقول : هذا الحديث بهذا الاعتبار ، انما يفتح منه لاهله ابواب من اصول المعارف ، و من ادني ما يعلم منه ، ان التسمية له حقيقة عالية ، و ليس يحصل ذلك بمجرد التلفظ بسم الله الرحمن الرحيم ، و هكذا ساير اجزاء الصلوة و القراءة ، و يشبه ان يكون وجه تعليق الاذن في التسمية بالوصول ، ان الوصول لا يتحقق إلا بفناء العبد و ارتفاع الحجب الظلمانية و النورانية كلها بينه و بين الله ، و لا تيسر ذلك إلا بتخلي العبد عن جميع عوالمه و اسمائه ، و اوصافه ، و يحصر اهل الظهور اسماء الحق التي في حيلة لفظ الجلالة عموماً ، و ظهور الاسماء التي تحت حيلة الرحمن و الرحيم خصوصاً ، و عند ذلك يتحقق العبد بحقائق هذه الاسماء ، و يكون لوحاً جامعاً لاسماء الله تعالى ، و مظهرآ لها كما ورد انه ﷺ رحمة للعالمين ، و وجه الله و خليفة الله ، و معلم الملائكة و الانبياء ، هذه كلها من آثار مظهرية الأسماء الثلاثة ، و مظهرآ لبهاء الحق و سنائه و ملكه ، و لعل هذه حقيقة نزول التسميه ، و روحه فمن اراد التسمية فله ان يتشبه به ﷺ بما يمكنه بقدر مقامه ، و ادنى مراتبه لاحالة ان يتوجه بقلبه و روحه الى حقائق هذه

الاسماء بعد معرفتها ، وذلك لا يتيسر إلا أن يحصل لنفسه حظاً من هذه
الاسماء ، ولكنه بالنسبة الى حقيقة لفظ الجلالة لاحظ له إلا بالتأله ، و
ليس يمكن لاحد من الممكن ان يعرف حقيقة الالهية بوجه من الوجوه ،
نظير انه لا يمكن لفائد قوة البصر ان يعرف معنى البصر ، بل الامراًجل
من ذلك ، لأنه لا يمتنع عليه ذلك بأن يخلق الله فيه قوة البصر ، ثم يعرفه
معني البصر ، ولكن صيرورة الممكن بالذات واجباً بالذات محال ، لا يتعلق به
القدرة ، وفرضه تناقض ، فحظ العبد من ذلك التأثير بمعنى ان يكمل حقيقة
العبودية ، و اما خاصية الالهية ، وهو الغناء الذاتي ، والوجوب الذاتي
فلا حظ له من ذلك ابداً ، ومن هذا الباب قول اقرب المخلوقات واعلمهم
بالله : انا الاحصى ثناء عليك ، وقوله : ما عرفناك حق معرفتك ، ما ينحصر
حظ العبد من هذه الاسم ، في ان يكون مستغرق الهم بالله ، ولا يلتفت الى
غيره و يعرف حقيقة فقره ، وفقر ماسواه في جميع الجهات ، ولا يرى في
الوجود الا الله واسماءه ، وافعاله ، فحقائق ماسوى ، اما الاسماء واما الافعال ،
وفي الاخبار المستفيضة ، ان بسم الله الرحمن الرحيم ، الى الاسم الاعظم اقرب
من سواد العين الى بياضه ، او من بياض العين الى سواده ، على اختلاف الروايات ،
وظننى ان المقصود ان المراد ان حقيقة هذه الاسماء من جهة وجود لفظ
الجلالة فيها ، و كونه جامعاً لسائر الاسماء ، هو الاسم الأعظم ، والتعبير
بالاقربية من المحيط والمحاط ، اشارة الى الاتحاد بطريق التكنسي ، او يقال :
من جهة ان المذكور لفظ بسم الله الرحمن الرحيم ، والاسم الاعظم حقيقته
والحقيقة ليست متحدة مع اللفظ ، ولكنها اقرب اليه من المحيط والمحاط
المسمين ، لان قرب الاولين قرب المداخلة ، والاخرين قرب الملاصقة .
وروى في الاخبار ايضاً تأكيد في التسمية ، ولولا انشاد شعر .

وفيهما لربما ترك بعض شيعة في افتتاح امره بسم الله الرحمن الرحيم ،
 فيمتحنه الله بمكروه ، لينبئه على شكر الله و الثناء عليه ، و يمحق عنه
 وهمة التقصير عند تركه بسم الله الرحمن الرحيم ، الى ان قال : فقال الله
 جل جلاله لعباده : ايها الفقراء لرحمتي ، اني قد الزمتكم الحاجة الى كل
 حال ، و ذلة العبودية في كل وقت ، فآلي فافزعوا في كل امر تأخذون فيه و مرجون
 تمامه ، و بلوغ غايته ، فآني ان اردت ان اعطيكم لم يقدر غيري على منعكم ، و ان اردت
 ان امنعكم لم يقدر غيري على اعطائكم ، فانا احق من سئل ، و اولى من تضرع اليه ،
 فقولوا عند افتتاح كل امر صغير او عظيم : بسم الله الرحمن الرحيم ، الى ان قال
 قال رسول الله : من حزنه امر تعاطاه ، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وهو
 مخلص لله ، و مقبل بقلبه اليه ، لم ينفك من احدى اثنتين ، اما بلوغ حاجته
 في الدنيا ، و اما تعدله عند ربه ، و يدخر لده ، و ما عند الله خير و ابقى .
 اقول : و من هذه الرواية يعلم ان التسمية ليس بمجرد ذكر اللفظ
 باللسان . و اخطار معناه على القلب ، بل باتصاف القلب و الجوارح بالفزع
 الى الله ، و انه لا يضيع من قال بهذه الصفة : بسم الله الرحمن الرحيم تسميته ،
 و يناله ثمرة التسمية اما في الدنيا ، و اما في الآخرة ، و ما ينال في الآخرة
 خير و ابقى .

و اما قوله : الحمد لله . اي جنس الحمد ، و هو الثناء باللسان على
 الجميل الاختياري لله ، لان كل جمال يوجد فهو اثر من آثار جماله ، و كل
 خير في العالم فهو من آثار فيضه ، و ذكر اسم الله في المقام كانه اشارة الى
 علة اختصاص الحمد لله تعالى ، لان الله اسم للذات المستجمع لجميع صفات
 الكمالات ، و من جهلتها انحصار الجمال و الخير فيه ، فهو في قوة ان يقال :
 كل الحمد ان هو مستجمع لجميع الكمالات و الخيرات ، لان كل كمال

وخير منه وله ، والظاهر ان المراد منه إنشاء الثناء بهذا اللفظ فيكون معناه اثنى على الله بجميع الثنايا واحمده بجميع المحامد كلها ، والاخبار بمحموديته تعالى واقفاً في جميع المحامد ، وان لم يشعر الحامد به ، لان قصد حامد زيد مثلاً في قبال احسانه حمده ، من جهة انه منعم عليه ، والمنعم الحقيقي في جميع النعم هو الله ، كما في دعاء الصّحيفة : و أنت من دونهم ولي الاعطاء فيرجع الحمد كله إلى الله .

وأما ماورد من ترجيح شكر المنعم من الناس ، فلكونه واسطة ومظهراً لنعمة المنعم تعالى ، فلا ينافي في انحصار حقيقة الحمد في الله ، فظهر أن وجود المظهر ، والصورة منتسب إلى من ظهر وتصوّرفيه ، فكذلك محموديته وجميع شئونه الثبوتية منتسبة إليه أولاً وحقيقة ، ثم إلى المظهر ثانياً ومجازاً ، فمن عرف ذلك ، ورأى الخير كله من الله لا يطلع في غيره ، ويخلص من رعونات الربا والسّمة والتفاق ، ويخلص عباداته من هذه الجهة ، وهكذا يخلص من أكثر الاخلاق الرذيلة التي منشؤها الرغبة والرغبة من الناس ، وبالعجلة حال الحمد معرفة النعمة ، وإظهارها ، والرضا من المنعم ، فمن صدق قلبه وممله حمد باللسان فهو العامد ومن لم يصدق قلبه وممله ولسانه ، فهو منافق ومدّلس :

« برزبان الحمدوا كراه از درون ❖ از زبان تلبیس باشد یا فسون »

ثم إنما قلناه من كون الحمد هو الثناء باللسان ، إنما يعمّ لسان الحال والقال ، وإلا وما من شيء إلا يستبح بحمده ، كما نطق به القرآن .

وب العالمين : أى مبلغ كل شيء من العقل الاول إلى سرية الجمادات ، بجميع اجزائها وجزئياتها ، وافرادها وجهاتها إلى كماله الذي حكم به حكمته ، واقتضته اسمائه بتدبير اموره ، وتفضيته ، وتنميته وحفظه وامساكه ، وجميع لوازمه ، فان الرب صفة مشبهة بمعنى اسم الفاعل ،

والتربية يتبع المربي في كماله ، و العالمين جمع العالم ، والرب مضاف إلى الجمع المحلي باللام ، فيفيد أن ربوبيته تعالى شاملة لكل ما في الوجود بجميع جهاتها ، وهو متوحد في هذه الربوبية ، و وجه الشمول أن لفظ العالم إنما يطلق على جملة ما سوى الله ، وعلى كل نوع من أنواعها ، فكانه اعتبر في إطلاقه اجتماع أمور مع نحو اتحاد بينها ، مثلاً يقال : عالم الأفلاك عالم الملكوت ، ويجمع ويقال عوالم الأفلاك ، و عوالم الملكوت من جهة أن الأفلاك ، وكذا الملكوت مشتملة على عدة أمور مجتمعات بين أفراد كل منها متحد في جهة ، ويقال : عالم العقول ، عالم الأرواح ، عالم الإنسان ، وعالم زيد ، بل يقال عوالم زيد ، لأن كل فرد من أفراد الإنسان كأنه نسخة مختصرة من العوالم كلها بالقوة ، فباعتبار هذه القوة ، هو مركب من العوالم الغير المحصورة .

وبالجملة العوالم كثيرة جداً ، وفي بعض الأخبار إن في عالم المثال ثمانية عشر ألف عالماً .

وروى الصدوق في آخر الخصال عن الباقر عليه السلام ، أن الله خلق ألف ألف عالم ، وألف ألف آدم ، ونحن في آخر العوالم ، وآخر الآدميين .
وبالجملة أن الله بحكم هذه الآية ، رب جميع هذه العوالم حتى الجنة والشياطين كما صرح بذلك في دعاء ليلة العرفة ، بقوله : ورب الشياطين ، وما أضلت .

وبالجملة مفيض وجود جميع الأشياء إلى أبد الابد ، بعد إيجادها أولاً ، إنما هو الله رب العالمين ، فجميع العوالم مع اجزائها و جهاتها ، قائمة بربوبيته ، و ربوبيته ، فمن أمن نظره في العالم ، رأي العوالم كلها قائمة بالرب تعالى ، ورأي أن ربوبيته تعالى ، و تربيته ليس كتربية الملاك

للأُملاك ، ولا كثرية الآباء للاولاد ، ولا كثرية النفس للأعضاء ، ولا كثرية النفس للقوى ، ولكن تربية النفس للقوى اشبه بتربيته تعالى من غيرها ، من حيث انها محصلة للقوى ومقوية لها ، وحافظه ، ومبلغه لها إلى كما لانها الاولية ، والثانوية .

وبالجملة العوالم كثيرة بعضها محيط ببعض ، كاحاطة الماء بالأرض ، والهواء بالماء ، وهكذا الافلاك الباقية ، حتى ينتهى إلى فلك الافلاك . ومحدد الجهات الذي هو منتهى الاشارات الحسية المحيطة بجميع الاجسام ، وهو اسفها ، والظن بها يشبه طرفه الأعلى بعوالم المثال ، وهي محيطة به ، وبما دونه احاطة لطيفة لا يساق احاطة الاجسام المادية بعضها ببعض ، وهي عوالم كثيرة بعضها فوق بعض ومحيط به ، حتى ينتهى إلى الطف عوالمها الذي يشبه في اللطف إلى عوالم النفوس المجردة ، عن المادة والمقدار ، وهكذا إلى ان ينتهى إلى العقل الأول ، والنور الأول ، وهو أقرب الخلايق كلها من الله الجليل ، ومحيط بالكل احاطة عقلية ، والمحيط به هو الله ، ولكن باحاطة غير مساوقة لاحاطة غيره من المراتب ، نعم احاطة العقل الأول اشبه باحاطته من احاطة غيره بما دونه .

ويدل على هذا الترتيب الكلى اجمالاً ، كلمات المعصومين عليهم السلام ، لا يعافى مطاوي بعض الادعية والخطب .

ومن جملة ذلك ، قول امير المؤمنين في خطبته التي قال ثقة الاسلام : انها من مشهورات خطبه عند ذكر العوالم ، و كل شيء منها شيء محيط ، والمحيط بما احاط منها الله الواحد الأحد ، بل الذي يقوله اهل التحقيق : ان كل ما في هذا العالم عالمنا الحسى من الجواهر والاعراض ، فله حقيقة في عالم المثال ، ولكن صفاته وآثاره انما يناسب بعالمه ، بل لكل محسوس

وجود في كلّ عالم من عوالم المثال عليه ، ولكلّ شيء فيها حقايق في العوالم التي فوقها ، ولكن يختلف آثار تلك الحقايق وصفاتها ، وصورها باختلاف العوالم ، ففي كلّ عالم لحقيقة واحدة آثار وصفات عليه ، تناسبها مثلاً حقيقة العلم في عالمنا هذا كما نرى ، وفي بعض عوالم المثال له صورة كصورة اللبن .

ومن الأخبار التي يمكن الاستدلال ، والاستيناس لما ذكرنا ، ما دلّ على أنّ الأشياء تنزل من السّماء إلى الأرض ، وتخرج منها إلى الله في يوم مقداره خمسين ألف سنة .

وفي القرآن المجيد : وان من شيء إلاّ وعندنا خزائنه ، وما ننزله إلاّ بقدر .

وفيه : وفي السّماء رزقكم وما توعدون .

وفي الأخبار أنّ الله خلق ملكاً في صورة الإنسان ، يسترزق للادميين وملكاً في صورة الشّور ، يسترزق للبهائم ، وهكذا .

وفيهما : خلق جوهرأ فخلق منه الماء ، وخلق من زبد الماء الأرض ، ومن دخانه السّموات ، وخلق من التراب الإنسان .

وفيهما : كما مر خلق من اسمه المكنون ، اثني عشر اسماً ، وخلق من كلّ منها ثلاثين اسماً ، فعلاً منسوباً إليها .

وفيهما : أنّ الله تعالى خلق الف الف عالم ، و الف الف آدم .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : قد دورتم دورات ، و كورتم كورات ،

وهذا محمول على ما دلّ على التنزلات الوجودية ، ويمكن ان يستدلّ

لذلك بكلّ ما دلّ على أنّ الملائكة وسائط فيض الاله في العالم ، لأنّ عوالم

الملائكة مختلفة ، بعضهم من عوالم المثال ، وبعضهم من عوالم النفوس ، و

بعضهم من عوالم العقول .

و بالجملة كما ان العوالم في قوس النزول مترتبة ، فكذلك في قوس الصعود .

ومما يدل على ذلك في قوس الصعود ، الاخبار التي دلت على تجسم الاعمال في البرزخ ، و القيمة و اختلاف صور الادميين في البرزخ ، و القيمة ، حتى في بعضها ان الاعمال و الاوقات يجيء يوم القيمة مجتمعة في وقت واحد ، و يجيء يوم الجمعة كالعروس ، و الصلوة يجيء في صورة شاب حسن الوجه ، بل وفي بعضها ان حقايق الجمادات ايضاً في الاخرة ذوات حياة ، و تطلق و شعور ، و ان عالم الاخرة هي دار الحيوان ، و كلشيء فيها حي ناطق شاعر ، و للاعراس فيها احكام جواهر هذا العالم ، و يفهم منها ان الله تعالى انما جعل الصورة الانسانية الموزجاً لكل ما في جميع العوالم ، و نسخة مختصرة من اللوح المحفوظ .

كما يشير اليه الايات المنسوبة الى أمير المؤمنين : اتزعم انك جرم صغير .

وقوله ﷺ : اول ما خلق الله نوري .

و قولهم : و خلق من نورنا انوار شيعتنا ، قبل ان يخلق الملائكة ، فسبحنا ، و سبحت شيعتنا ، و سبحت الملائكة و يدل عليه تعالى قوله تعالى : و علم آدم الاسماء كلها .

و بالجملة كلمة اهل التحقيق من علمائنا مجتمعة على ان الصورة الانسانية صورة جامعة لجميع ما في العوالم كلها بالقوة ، فكما ان الله تعالى اودع فيها من جميع انواع ما في هذا العالم الحسني ، من جواهره و اعراضه ، فكذلك جعلها معجوناً مركباً من جميع ما في العوالم العالية فوق هذا العالم

ولكن بالقوة ، وفي معراج السعادة ، عن الصادق عليه السلام : الصورة الانسانية اكبر حجة الله على خلقه ، وهو الكتاب الذي كتبه بيده ، وهو الهيكل الذي بناه بحكمته ، وهي مجموع صور العالمين ، وهي المختصر من العلوم في اللوح المحفوظ ، وهي الشاهد على كل غائب ، والحجة على كل جاحد وهي الطريق المستقيم على كل خير ، وهي الصراط الممدود بين الجنة و النار .

اقول : فعلى هذا ما يمنع العاقل ان يتدبر في كتاب نفسه . ليظهر منه ما خفى عليه من اسرار عالم الكون ، بكلمات نفسه ، وحروفها ، اما سمعت ما في آيات أمير المؤمنين عليه السلام : باحرفه يظهر المضمحل ، والله تعالى يقول : سنريهم آياتنا في الافاق وفي انفسهم ، وكيف كان يجب على العبد بحكم العقل بعد التفطن بان ربه يريه في جميع عوالمه من جميع جهاته التي لا يحصيها هو نفسه في جميع آفاته ، بل لا يشعر منها إلا الاقل ، ان يحب هذا الرب الودود ، ويخدمه بما يمكنه من عباداته ، ويخلص في عباداته ، ويوحده في ربوبيته ، ويرقى عن مراقبة غيره في حركاته وسكناته كلها فضلاً عن عباداته ويستحي منه عن قصوره وغفلته عنه مع قرء اليه من وجوه غير محصورة ، وذكره تعالى له مع غناه عنه في جميع هذه الجهات ، وغيرها .

ثم ان توحيد الرب تعالى في ربوبية عزيز المنال ، طمأ واعتقاداً صعب الاشكال حالاً وعملاً ، والمتخلق بهذا العلم والعال والعمل هم المعارفون الكاملون ، المتخلصون من أكثر رعونات العامة في اعمالهم وأحوالهم واقفالهم لا سيما هموم الدنيا والرياء في العبادات ، ومراقبت العباد في الحركات والسكنات لاسيما ، اذا صارت هذه الاوصاف ملكة للبدن ، فيورث له تعظيم الرب تعالى والانكسار ، والحياء والخشوع والاخبات ، والاضطاع والوقوف

على حدود الفقر الآثم ، والاحتراز عن ارتداء شيء من مراتب جلال الربوبية فان انكشف له حقيقة معنى ربوبيته ، ورأى جميع اجزاء العوالم من جهات كثيرة تحت تربيته تعالى ، وتحت مراقبته ورأى نفسه بجميع عوالمه مستغرقة في نعمه في افاضة وجوده ، وحفظه و رزقه و اصلاحه ، و تدبير اموره و تبليغه إلى كماله اللأيق به ، يفيض عليه بجلوه ، ويرزقه من فضله ، و يحفظه في كنفه ، و يحميه في ظل غنايته ، و يصلح جميع شؤنه بمنه حتى يبلغه كماله في جميع هذه الصفات والشؤون ، على اتم الوجوه ، و اكمل السعادات ، و انه لا يرضى له في ذلك بنعمة دون اخرى ، حتى يتم له جميع النعم ، و صنوف المنن بحيث لا يهمل له تصفية لونه ، و تزيين صورته و ترتيب جفونه و ترميض عينيه ، و تقويس حاجبه ، و تأمل في مراقبته تعالى في مراتب حفظه من اصناف هذه المهلكات ، و المؤذيات و المولمات و منغصات العيش و السعادة ، و الكمال في جزء جزء من اجزاء بدنه و اجزاء عوالم خياله و سائر قواه و قلبه و روحه ، و سره في جميع تقلباتها ، يذعن لاحالة ان يشكر له لبعض هذه النعم بقدر الامكان ، و لا يعارضه لاحالة بالتعرض لمراسم كبريائه في حدود عوالم الربوبية ، فان حكم المربوب المطلق من جميع الوجوه ، بالنسبة إلى الرب المطلق من كل الجهات ليس إلا الاخلاص الصادق في جميع حدود العبودية .

والمخلص كما عن مصباح الشريعة ذائب روحه ، و باذل بهجته في تقويم ما به العلم والعمل ، و العامل والمعمول بالعمل ، و هو تصفية معاني التنزيه في التوحيد .

أقول : من جملة لوازم هذا التوحيد ، ان لا يرى غيره تعالى ضاراً ولا نافعاً ، بل ولا مؤثراً في الوجود ، والعمل على ذلك مع ما يتراءى في هذا العالم بمقتضى كونه دار غرور من وجود الأسباب ، و تخيل تأثيراتها صعب

المانال لا ينال إلا بمعرفة كاملة ، وكشف عوالم الغيب ، وغلبة السر ، ولعل العمل على ذلك هو المراد بالاستقامة التي في قوله تعالى : واستقم كما امرت ، في سورة هود التي ، قال رسول الله ﷺ فيها شيتني سورة هود ، وقيل قاله : لمكان هذه الآية ، ولا يذهب عليك أن في تصور ربوبيته تعالى بجميع هذه العوالم ، بعد تشریح جزء من اجزائها ما يبهر العقول ، مثلاً إذا عقل الانسان أن نسبة هذا العالم المحسوس ، إلى عوالم الجبروت ماذا ، لاقتها او بعضها عوالم غير متناهية ، ونسبة المتناهي إلى غير المتناهي معلوم ، ثم تفكر في هذا العالم المحسوس الذي فرضنا أنه اصفر العوالم ، واضيقها ، واحقرها ، وراجع تارة إلى علم الهيئة و قدر في نفسه ما ثبت في هذا العلم ، من وجود الافلاك ، ونجومها وكواكبها مثلاً ، ذكر وان الكواكب الثابتة كلها شمس كشمسنا هذه في فضاء غير متناه ، ولكل منها اراضى ، وذكروا في سعة مقدار هذا الشمس ، أنها تزيد على كبر ارضنا هذه باثنى عشر الف مليون ، فانظر انت ايها الانسان الحسى ، بعين حسك نسبة كبرها الى الفلك الرابع ، الذي هي فيها ، كيف نسبتها اليه في الكبير والصغير ، ثم تفكر فيما وردان الفلك الرابع ، بالنسبة الى الخامس ، كحلقة في فلاة ، وهكذا الى الفلك السابع ، وإلى الكرسي ، وإلى العرش ، ثم راجع إلى ارضنا هذه ، وتأمل في سعتها ، وانسب سعة جثتك إلى تمامها ، ثم اترك الكل ، وخذ من بدنك هذا ما في عينك من الاجزاء ، و الخواص ، والتدابير ، و شرايط الصحة ، و راجع عكوس تشریح طبقاتها ، و استارها ، و عروقها ، و تقدير غذائها ، و التدابير التي استعملت لكل واحد من اجزائها ، و اندفاع ما بقي من فضلة غذائها ، و التدابير التي استعملت في اشكال استارها والوانها ، و

وقتها وسخنها ، والتدبير التي استعملت في وضع كل واحد منها على ترتيبها وتفكر في آفاتنا واسقامنا وادويتها ، وما استعمل في خواص ادويتها ، وعلوم علاجها ، وراجع الى اطبائها ، ومعالجتها ، فان عمر انسان واحد لا يكفي لتحصيل تكميل علوم علاجها ، ثم انظر ماذا ترى من عظمة امر الربوبية بالنسبة إلى جميع بدك ، ثم الى ابدان جميع الاناس ، ثم ساير الحيوانات ، ثم عوالم النبات وجمادات هذه الارض ، ثم ثم ثم ثم ، حتى ينتهي الى اخر ذرات المعسوسات من الافلاك والكواكب والكرات ، ومخلوقاتنا ، ثم في عوالم المجردات من المادة ، من عوالم المثال ، ثم في عوالم النفوس والارواح ، ثم في عوالم العقول وقل عن حقيقة قلبك وسرك ، وروحك وشرار وجودك : سبحان ربي العظيم وبحمده ، حتى تؤدى حق ادبر ربك العظيم ، وتصيراهلالتقريبه ، والفناء بفناء ربك الاعلى .

الرحمن الرحيم ، قد مضى الاشارة الى تفسيرها ، ولكن يلزم في المقام الاشارة إلى وجه تكرار هذين الاسمين في سورة الفاتحة ، في خبر المعراج ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، وقال النبي ﷺ في نفسه : شكراً : فقال الله : يا محمد ﷺ قطعت حمدي ، فسم باسمي ، فمن اجل ذلك جعل الرحمن الرحيم في الحمد ، وفي بسم الله الرحمن الرحيم مرتين ، ولعل المراد ان قوله ﷺ شكراً في نفسه ، من جهة انه ليس بعنوان قرائة كلام ربه قطع لقرائه الحمد الذي هو كلام الله وحمده لنفسه ، فلزم لابتهائه ثانياً ذكر اسمه تعالى ، فذكره بالرحمن الرحيم ، لان المقام مقام الحمد ، فاقضى ذكر الرحمن الرحيم ، اولان اسم الله قد تكرر فاختياريهما للتسوية في التكرار بين هذه الاسماء .

وقيل : اصل التكرار من جهة ان الاول اشارة الى توصيف اسم الله

بهما ، والثاني اشارة الى توصيف الذات ، وتقديم الأول على الثاني ، لعله للتنبيه على مقام العبد القارى ، فيكون مقامه اولا النظر الى مقام الاسماء ثم الى مقام الذات .

و قيل : يحتمل ان يكون المراد من ذكرهما في التسمية ، نفس الصفتين من حيث انفسهما ، و في مقام الحمد من حيث ظهورهما في العالم .
مالك يوم الدين و قرء ملك ، و غيرهما ، و الاصل فيهما واحد ، و هو الاستيلاء والقدرة ، والافتراق من الصيغ ، وكيف كان ليس مالكيته تعالى كمالكيته الملاك لاملاكهم ، ولا كما لكية الملوك لمالكهم ، ولا كمالكيته النفوس ، للاعضاء ، ولا كمالكيته للقوى و الصور العلمية ، بل هي اجل و اعلى من هذه كلها ، إلا ان مالكيته النفوس للصور العلمية اشبه لمالكيته تعالى من غيرها ، لقيامها بالنفوس ، و ايجادها بمجرد الالتفات ، و افنائها بمسرد الاعراض .

يوم الدين ، يوم الحساب والجزاء ، او الشرع و كلها منطبقة ليوم القيمة ، لها اسماء كثيرة منتزعة من صفاتها ، و وقايمها كيوم الحشر والنشر ، و يوم الندامة ، و يوم الحسرة ، و يوم الطامة ، وغيرها مما عبر بها في كلمات المعصومين ، اخبارهم و ادعيتهم ، وطوله على ما في القرآن خمسون الف سنة .
فمن النبي ﷺ انه تلى يوم يقوم الناس لرب العالمين .

ثم قال : كيف بكم اذا جمعكم الله ، كما يجمع النبل في الكنانة ، خمسين الف سنة ، لا ينظر اليكم ، وقال تعالى في جزاء الاعمال والمظالم بولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون ، انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ، مهطعين مقنعي رؤسهم ، لا يردد اليهم طرفهم و اقتدتهم هوا .

روى في الكافي بإسناده ، عن سيد العابدين عليه السلام قال : حدثني ابي
عليه السلام انه سمع ابا امير المؤمنين عليه السلام ، يحدث الناس ، قال : اذا كان يوم
القيمة ، بعث الله الناس من حفرهم بهما جردا مردا في صعيد واحد ، ليسوقهم
النور ، ويجمعهم الظلمة ، حتى يقفوا على عقبة في المحشر ، فيركب بعضهم
بعضا فيزدحموا ، دونها ، فيمنعون من المضي ، فيشتد انفاسهم ، ويكثر عروقهم ،
ويضيق بهم امورهم ، ويشتد ضجيجهم ، ويرتفع اصواتهم ، فقال ، هواؤ ل هول
من احوال القيمة ، قال : فيشرف الجبار تعالى عليهم من فوق عرشه في ظلال من
الملائكة ، فيأمر ملكا من الملائكة ، فينادي فيهم : يا معشر الخلايق انصتوا ،
واستمعوا منادى الجبار ، قال : فيسمع آخرهم كما يسمع اولهم ، قال : فيسكن
اصواتهم عند ذلك ، و تخضع ابصارهم ، و تضطرب فرائصهم ، و تفرع قلوبهم ،
ويرفون رؤسهم إلى ناحية الصوت ، مطمئنين إلى الداعي ، قال : فعند ذلك
يقول الكافر ، هذا يوم عسير ، قال ، فيشرف الجبار تعالى ذكره الحكم العدل
عليهم ، فيقول : انا الله الذي لا اله الا انا الحكم العدل . الذي لا يجوز اليوم ،
احكم بينكم بعدلي ، وقسطي ، ولا يظلم اليوم عندي احد ، اليوم آخذ المضعيف
من القوى حقه ، واصاحب المظلمة بالمظلمة ، بالقصاص من الحسنات والسيئات
و انتسب على الهبات ، ولا يجوز هذه العقبة اليوم عندي ظالم ، ولا حذ عليه
مظلمة الا مظلمة وهبها صاحبها ، وانتسبه عليها ، و اخذله بها عند الحساب
تلازموا آيتها الخلايق ، واطلبوا مظالمكم عند من ظلمكم بها في الدنيا ، وانا
شاهد لكم بها عليهم ، و كفى بالله شهيدا قال : فيتعارفون ، ويتلازمون ، فلا
يبقي أحد له عند أحد مظلمة او حق الا لزه بها ، فيمكنون ماشاء الله ،
فيشتد حالهم ، ويتكثر عرقهم ، ويرتفع اصواتهم بضجيج شديد ، فيتمنون
المخلص منه بترك مظالمهم لاهلها ، قال : فيطلع الله تعالى على جهودهم ،

فينادى مناد من عند الله تعالى يسمع آخرهم كما يسمع أولهم : يا معشر
الخلايق انصتوا لداعي الله ، واسمعوا ان الله تعالى يقول : انا الوهاب ان
احببتكم ان توافوا فتوافوا ، و ان لم توافوا اخذت لكم بمظالمكم ، قال :
فيفرحون بذلك لشدة جهدهم ، و ضيق مسلكهم ، و تراحمهم ، قال : فيهب
بعضهم مظالمهم رجاء ان يتخلصوا مما هم فيه ، و يبقى بعضهم فيقول : ربنا
مظالمنا اعظم من ان نهبها ، قال فينادى مناد من تلقاء العرش : اين رضوان
خازن الجنان ، جنان الفردوس ، فيأمره الله تعالى ان يطلع من الفردوس قصر آمن
فضة بما فيه من الانية والخدام ، قال : فيطلعه عليهم في حفاة القصر الوسايف
والخدام ، قال : فينادى مناد من عند الله تعالى : يا معشر الخلايق ارفعوا رؤسكم ،
فانظروا الى هذا القصر ، قال : فيرفعون رؤسهم ، فكلهم يتمناه ، قال : فينادى
مناد من عند الله هذا الكل من عفى عن مؤمن ، فيعفون كلهم إلا القليل ، قال :
فيقول تعالى لا يجوز جنّتي اليوم ظالم ، ولا يجوز الى ناري اليوم إلا ظالم ،
ولا احد من المسلمين عنده مظلمة ، حتّى يأخذها منه عند الحساب ، ايها
الخلايق استعدوا للحساب ، قال : ثمّ يخلّى سبيلهم ، فينطلقون الى العقبة ،
فينكروا ان بعضهم بعضاً ، حتّى ينتهوا الى العرصة ، والجبار تعالى على العرش
قال قد نشرت الدّواوين ، و نصبت الموازين ، و احضر النّبّيون ، والشهداء ،
و هم الائمة ، بشهد كلّ امام على اهل عالمه بأنّه قد قام فيهم بامر الله تعالى ،
و دعاهم الى سبيل الله .

أقول : في احوال القيمة و احوالها ، و شدايدها و كيفياتها تفاصيل
كثيرة في الاخبار ، تركناها لعدم احتمال المقام كلّها ، و أنّما ذكرنا هذه
الرّواية لما فيها من الاشارة الى بعض الجهات التي ترد على اهل الايمان في

اهم الحقوق ، من الرفق ، واللطف ، بمثابة للقلوب للرجاء والحياء ، ثم ان لهذه الاسماء الخمسة تأثير الاصحاب اليمين من المتقين في استجلاب بعض الصفات الحسنة لقلب القارى من الخضوع ، والتذلل لله تعالى ومن الحياء و الخدمة و الذكر الدائم ، و قطع الطمع عن غير الله ، فما يرضى و يرهب إلا لرب العالمين ، والرجاء الى رحمة الرحمن الرحيم ، و الطلب من فضله ، والاطمينان بمواعيده ، و عدم الالتفات الى خير الغير و شره ثم الخوف من عقوبة يوم الدين و شدايده و احواله ، و حياء العزم على ماله ، فان ذلك امر عظيم كما سمعته فيما نقلناه عن مصباح الشريعة ، و الاقتضاح على رؤس الاشهاد ، هذه كلها لاصحاب اليمين ، وأما العارفون فلهم عند ذكرها تأثيرات ، و تنقلات فاخرة عند انكشاف حقيقة هذه الاسماء ، و تجليها على اسرارهم و ارواحهم ، و قلوبهم بالترقي عن علم اليقين الى عين اليقين ، و عنه الى حق اليقين .

و من ذلك ما روى من غشوة الصادق عليه السلام ، عند تكرار مالك يوم الدين .

و ما روى عن السجادة انه اذا قرئه يكرره ، حتى يكاد ان يموت ، و بالجملة للعارفين عند ذكر اسماء الله الحسنى حالات سنية و لذات فاخرة ، و تفرجات عالية في متنزهات دار الجلال ، و تانسات ناعمة من تجليات انوار صفات الجمال في دار الوصال .

و بالجملة يسير في هذه الاسماء في جميع العوالم من مبدئها الى منتهيها ، بل يري المبدء والعالم . و المنتهى ، و يتفرج بالتدبير في الاسم الاخير ، في تفاصيل عوالم القيمة ، كما صرح به في خبر المعراج ، ثم ان ترتيب هذه الاسماء بهذا المنوال إنما هو مطابق للترتيب الواقعي ، فان مقام لفظ الجلال مقدم على

مقام الرّبوّيّة ، ومقام الرّبوّيّة مقدّم على الرّحمة الرّحمانيّة و هو مقدّم على مقام الرّحيميّة ، ومقام الرّحيميّة مقدّم على مقام الاسم الاخير ، لانّ الرّحمة الرّحيميّة ظهورها التفصيلي اتّما هو يوم الجزاء ، و يوم الجزاء اصله الرّحمة وما تظهر فيه من العقوبة والنار اتّما مبنيّ ايضاً على الرّحمة على المظلوم ، و اهل الدّين لانّ الغضب عرضي خلق ايضاً للرّحمة .

ثمّ انّ اضافة الملك الى يوم الدّين من اضافة الصّفة المشبهة الى غير معمولها ، كقولك : ملك الزّمان ، فيكون منعوته و اضافة مالك اليه باجراء الظرف مجرى المظروف مجازاً ، أو يجعل اليوم عبارة عن النشأة الآخرة ، و على اى حال تخصيص المالكية او الملك ، ليوم الدّين من جهة اختصاص ظهورهما التّام التّمام لذلك اليوم ، فانّ ذلك اليوم اى النشأة الدّنياويّة من جهة كونها دار غرور قد يترأى فيها مالك غيره تعالى من عباده ، ولكنّ يوم القيمة يوم لمن الملك اليوم ، فيظهر فيه سلطان الله ، و يضمحلّ فيه سلطان العباد ، وملكهم من رأسه ، وينكشف توحيد الحقّ في مالكيّته بجميع العالمين ، بخلاف دار الدّنيا فانّ توحيدها من الصّفتين : و كذا سائر الصفات فيها غير ظاهرة على العمامة و غيب بالنسبة إليهم ، وإن كان منكشفاً على اهل المعرفة ، وليكنّه من جهة قدرته لاحكامه فاختصّ ظهور اختصاص المالكية بيوم الدين ، ثمّ انّ في ذكر الاسماء الخمسة في المقام اشعاراً بانحصار جهات الحمد فيها ، فكانه يقال : للعبدان كان حمدك لاحد لكماله وجماله ، وجلاله ، فيجب ، انّ ينحصر في الله ، لانّ ذلك كلّّه له ، ولا كمال لاحد إلّا وهو منه ، وله وبه يؤنّ كان لكونه محسناً : فجميع الاحسان من ربّ العالمين ، وإن كان لرجاء فضل ، و نعمة و رحمة دينيّ " اودينيوي " ، فمالك جميع النّعم ، و معطيها الرّحمن الرّحيم و إن كان لخوف من سطوة سلطان ، فالسلطان القاهر اتّما هو مالك يوم الدّين

فلا ينبغي الحمد إلا لله رب العالمين الرحمن الرحيم .مالك يوم الدين .
 اياك نعبد و اياك نستعين - اى لا نعبد سواك ، ولا نخضع لغيرك ، اولاً نريد
 من عبادتنا مطلوباً غيرك ، كما ورد كلاهما في الاخبار ، و الحصر يعرف من
 تقديم اياك ، ولا سيما بملاحظة انفصال الضمير . مع امكان اتصاله ، هذا انما
 هو في المعنى الاول ، واما المعنى الثاني ، فتقريباً ان التشريك في المطلوبة
 انما ينافي توحيده في كون الغير منه ، وإن الكمال و الجمال له ، و إن
 الوجود الحقيقي له ، فيكون حق العبودية ان لا يرى غيره شريكاً في ذلك
 كله ، فينحصر المطلوبة ايضاً فيه ، و ايضاً أن من استحق لحصر جميع وجوه
 العبودية له ، استحق جميع وجوه المطلوبة .

قال بعض المحققين : يمكن ان يكون في تقديم الضمير على الفعل
 أيضاً إشارة لطيفة إلى ذلك ، فكانه بتقديمه يشير إلى ان المعبود احق بالتقديم
 في كل اللحاظات ، فيجب أن يكون نظر العبد في جميع تقلباته او لا إليه ، ثم
 به إلى غيره من حيث نسبته إليه ، لامن حيث نفسه ، فيكون في لحاظ المطلوبة
 ايضاً كذلك ، بل لا يمكن التوحيد الكامل في العبادة ، الا بأن لا يكون للعبد
 هوى في غيره لان النفس لا بد له من الخضوع و الميل الى ما يهواه ، فلا يخلص
 التوحيد في العبادة .

ثم ان في ايراد الفعل بصيغة المتكلم مع الغير ، تأدياً عن عد نفسه
 لايقالقام العبودية ، ولأن العبودية صفة مشتركة في جميع ماسواه ، فلاوجه
 للانفرادوا الاختصاص ، و تشر فأيضم عبادته بعبادة عباد الله الصالحين واستعطافا
 بذكرهم مع نفسه ، و احترازاً عن الدعوى الكاذبة ، بطريق تغليب عبادات
 المخلصين على عبادته في دعوى الاخلاص ، فيكون في دعوى الاخلاص من جهة
 عبادتهم صادقا .

ثم ان الالتفات في هذه الآية من الغيبة الى الخطاب ، فكانت اشارة الى انه ينبغي للقاري أن يكون بذكر هذه الاسماء مترقياً من عالم البعد الى القرب ، ومن الغيبة الى الحضور ، فكانت يرى بقلبه الله جل جلاله ، ويخاطبه عن حضور بقوله : إياك نعبد وإياك نستعين .

في الحديث القدسي : انا جليس من ذكرني .

ثم ان " للمبودية ظهوراً في جميع عوالم العبد ، وشئونه من عالم عقله هو روحه ونفسه وقلبه واجزاء بدنه من رأسه الى قدمه ، وفي حركاته وسكناته كلها وإلى بعض مراتبها اشير في حديث^(١) عنوان البصري ، وهو ان لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكاً ، لان العبد لا يكون لهم ملك ، بل يرون المال مال الله ، يضعونه حيث امر الله ، وان لا يدبر لنفسه ، وان يكون جملة اشتغاله بما امره الله تعالى ، ونهاه عنه ، فاذا لم ير العبد فيما خوله الله ملكاً ، هان عليه الانفاق ، واذا فوّض العبد تدبير نفسه إلى مدبرها ، هانت عليه مصائب الدنيا ، واذا اشتغل العبد فيما امره الله ونهاه ، لا يتفرغ منهما إلى المرام والمباهات فاذا اكرم الله العبد بهنئذ الثلث ، هانت عليه الدنيا والرباسة والخلق ، ولا يطلب الدنيا تفاخراً ولا تكافراً ، ولا يطلب عند الناس عزاً وعلوً ولا يدع ايامه باطلة ، فهذا اول درجة المتقين ،

أقول القول الجامع في مراتب المبودية ان يرى العبد نفسه ، وجميع العالمين من جميع الجهات ، قراء إلى الله الغني عن الكل من كل الجهات والمغني لكل غنى كذلك ويعمل بمقتضى ذلك ، والناس في ذلك على مراتب لا تحصى ، فالكامل في المبودية التسامع من جميع الوجوه في جميع الانات ان وجد فهو اعرف الخلايق كلهم ، وأقربهم إلى الله ، وهو سيد الانبياء ، خاتم النبيين ، وخلفائه الاثنى عشر المتحدين معه في المعرفة ، وهم الكاملون في

(١) رواه شيخنا البهائي ده في الكشكول من الشهيد (ده) .

مراتب التوحيد في جميع وجوه ومراتبه ، وبعدم الاعراف فالاعرف ، وهكذا إلى أن ينتهي إلى آخر عوالم أصحاب اليمين ، وأدنى مراتب المسلمين الموحدين ، وهو الذى يوحد الله في الخالقية ، ولا يستكبر بتشريكه في نصب النبوة والخليفة ، وهذا ينفعه توحيد بالآخرة في انجائه من الخلود في العذاب الدائم ، ويكون عاقبة أمره إلى رحمة الله و الجنة ، ولو بعد حين ، والمراتب الثلاث المذكورة في الرواية ، منشأها توحيد تعالى في المالكية ، و الربوبية و المعبودية التي هي من شئون الالهية ، فإن العبد إذا رأى الملك كله لله ، لا يرى لنفسه وللغير ملكا ، وإذا رأى أن الله هو الرب المطلق ، أى لم ير لاحد تأثيرا في التريية والايصال إلى الكمال في شيء من الامور ، يرى التدبير كله لله ، وإن غيره لا يقدر أن يفعل ما لا يشاء ، ولا موتا ولا حيوة ، ولا شورا ، وإذا رأى أن لاله إلا الله ، وأنه لا يستحق احد شيئا من وجوه المعبودية ، اشتغل بالمعبودية و الطاعة في جميع شئونه وحالاته ، فلا يتفرغ إلى شيء عن ذلك .
وياك نستعين : على طاعتك ، و عبادتك ، و على دفع شرور اعدائك ، ورد مكائدهم ، والقيام على ما امرت .

و الظاهر أن المراد من دفع شرور الاعداء ، و مكائدهم ما يكون من جهة مناقضتها لاصل العبادة او تكميلها لتكون الاستعانة خالصة في مراتب العبادة ورجح بعض المحققين ارادة الاطلاق في متعلق الاستعانة ، من جهة حذف المتعلق ، لان مناسبة المقام قرينة الاختصاص ، و يبالي أن في الاخبار ايضا نهيًا عن الاستعانة في غير جهة العبادة .

و بالجملة حصر الاستعانة من فروع توحيد الربوبية ، فمن اعتقاد لارب إلا الله ، يرى النفع و الضر كله منه ، فلا يرجو إلا خيره ، و ذلك لا يلازم الاستعانة بالغير ، فلا يستعين ، ولا يستغيث ، ولا يفزع ، ولا يلجئ إلا

به ، و هذا التوحيد امر صعب علماً و حالاً و عملاً ، فمن وفق له فله حظ من عوالم العبودية ، بل من مراتب المعرفة ، بل من درجات القرب ، رزقنا الله و جميع العتالين الترقى الى مدارج مراتب المعرفة و الزلى .

ثم ان ما اخترناه من الاستعانة في الآية إنما هي في العبادة بعين وجه الترميب بينهما ، لان القارى بعد ذكر الايات الثلاثة ، يفزع الى عرض الاخلاص في العبودية ، بعد الاظهار ، نعين له اظهار ان العبادة لا يمكن لنا إلا بمولك .

و قيل ان الآية بشطريها ينفي الجبر و التفويض بنسبة العبادة الى العباد ، ولكن بمول الله ، فانه تعالى معين له لا قاهر له بغير ارادته ، بل موجود لافعاله بعد ارادته ، كما أنه خالق لارادته ايضاً على ما يقتضيه ذاته ، فلا جبر لكون الفعل بارادته ، و لا تفويض لكون ارادته موجوداً بارادة الله .

و بالجملة اراد أن يوجد الاشياء بارادة العبد و اختياره ، فالعبد من جهة كونه مختاراً في افعاله ، لم يجبر على الفعل ، و من جهة كونه مجبوراً في مختاريتته ، لم يفرض اليه الامر ، فلا جبر و لا تفويض .

ثم ان كمال الاستعانة لا يتم إلا بعلوم ، من جهة المستعين و المستعان منه ، العلم بقدر نفسه ، و على عدم قدرته على انجاح مطلبه ، و العلم بفناء المستعان ، و قدرته على اعانته و عنايته على المستعين ، و عدم بخله عن اجراء عنايته و علمه بحال المستعين من فقره ، و كونه صلاحاً له ، فاذا تم للعبد هذه العلوم من احوال نفسه و ربه تم له حال يقتضى الاستعانة ، و يستدعيه لسان حاله قبل لسان قاله ، و كلما كمل اعتقاد هذه الصفات في نفس المستعين و في المستعان منه ، كمل حال الاستعانة ، و اذا كمل ذلك ثارت في نفس الرب الاعانة و الاجابة ، مثلاً اذا انكشف للعبد حقيقة فقره ذاتاً ، و وجوداً

وصفةً وفعلًا من جميع الوجود في جميع الاوقات والاحوال ، ورأى نفسه محتاجاً بل احتياجاً و قرأ في كل ان من اذاته من جميع الجهات ، حتى انه لا يكفيه ايجاده في الان السابق لوجوده في الحال ، بل يحتاج في وجوده الفعلي إلى ايجاد آخر جديد على ما هو الحق في احتياج الاكوان في الان الثاني الى علة محدثة ، وكذا في وجود صفاته يحتاج في كل آن إلى فيض جديد و ايجاد آخر .

و بالجملة رأى نفسه و صفاته و جميع ما يحتاج اليه في جميع آتاته فقيراً من جميع وجوه الحيثيات إلى ربه ، ورأى ربه غنياً مطلقاً في جميع هذه الوجوه ، ومنعماً عليه في كل ما هو واجد من وجوه النعم ، اى لا يحيط بها علمه ، ولا يقدر على احصائها انعم الله عليه بذلك كله قبل وجوده ، ووجود فقره ، ومع جهله لوجوه نعمه ، وهو موجود بايجاده ، وحي باحيائه و مرزوق برزقه ، وساكن في ملكه ، يتقلب بقوته في معصيته ، و هو لا يأخذ بمعصيته ، و يؤخذ من يشتر بمعصيته ، من دون ان يسئله شيئاً من ذلك ، فكمثل عند ذلك رجاء بعنايته ، و يقوى حال الاستعانة في قلبه ، فاذا استعان بعد هذا الحال فيما لا يضره ، فدعائه مستجاب ، وحاجته بالبواب ، وان كان دعائه دعاء الشر بدعاء الخير ، يعطيه الخير بدل ما دعاه من الشر في الدنيا والاخرة ، و ما في الاخرة خير وأبقى ، فالاولى للداعي ان يستثنى في دعائه غير الاصلح ، او يشترط الصلاح و العافية ، اذا لم يكن ممن يرضى ببلاء الدنيا مع خير الاخرة .

ولا يذهب عليك أن ما ذكرنا من شرائط كمال الاستعانة من المقاييد في صفات الحق تعالى كلها من لوازم الاسماء الخمسة ، بل كل ذلك مندرجة في لفظ الجلالة اجمالاً ، وفي الباقي تفصيلاً .

اهدنا الصراط المستقيم ، عن تفسير الامام عليه السلام ، و هن المعاني

يعني ارشدنا للزوم الطريق المودّي لمحبتك ، والمبلغ الى جنتك ، والمانع من ان نتبع اهوائنا فنعطب او ان نتخذ بارائنا فنهلك .

و في بعض الاخبار ، أنّه الطريق إلى معرفة الله ، وفيها أنّه صراطان : صراط في الدنيا ، و صراط في الآخرة ، أمّا الصراط في الدنيا ، فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه في الدنيا ، واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ، و من لم يعرفه في الدنيا زالت قدمه عن الصراط في الآخرة ، فتتردى في نار جهنم .

و فيها انّ الصراط أمير المؤمنين عليه السلام .

و فيها أنّه معرفة الامام .

و فيها نحن الصراط المستقيم .

و فيها أنّه أمير المؤمنين عليه السلام ، ومعرفة ، والدليل على أنّه أمير المؤمنين عليه السلام ، قوله تعالى : و أنّه لدينا اعلمّ حكيم ، و هو أمير المؤمنين عليه السلام في أمّ الكتاب ، في قوله : الصراط المستقيم .

و فيها أنّه عليه السلام وصف الصراط ، فقال : ألف سنة صعود ، و ألف سنة هبوط ، و ألف سنة خذل .

و فيها أنّه ادقّ من الشعر ، واحد من السيف فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق ، ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس ، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً ، ومنهم من يمرّ عليه جبواً ، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً ، فتأخذ النار منه شيئاً وتترك شيئاً .

و فيها أنّه مظلم يسمى الناس عليه بقدر أنوارهم .

أقول هذه الاخبار غير متناقضة ، بل كلّها مؤلفة في بيان معنى الصراط ، و كلّ منها ناظر الى فرد من أفراد ، لأنّ للصراط و كذلك

سائر المعاني له حقيقة ، و روح ، و له صورة و قالب ، و قد يتعدّد الصّور ، و القوالب لحقيقة واحدة ، بل لا يكاد يوجد حقيقة إلّا و يتعدّد صورتها ، وأنما وضعت الالفاظ للارواح و الحقايق ، و لوجود هما في القوالب يستعمل الالفاظ على الحقيقة لاتّحاد ما بينهما ، مثلاً لفظ القلم و روحه عبارة عن آلة نقش الصّور في الالواح ، من دون ان يعتبر فيها كونها من قصب او حديد ، او غير ذلك ، بل ولا ان يكون جسماً ، ولا كون النقش محسوساً ، و هكذا لفظ الصّراط وضع لحقيقة يؤدّي سلوكه إلى المقصود ، و هذا روح لفظ الصّراط ، وله قوالب : منها الطّرق في البوادي و البلاد المعدّة للسلوك من بعضها إلى بعض ، و كذا طرق سائر المقاصد و من هذه الافراد الطّريق إلى معرفة الله ، و قربه و جواره في الجنّة ، و هو العمل بالدين و الشريعة ، و معرفة الامام و طاعته ، و معرفة خصوص أمير المؤمنين ، و الصّورة الانسانية اى اوصافه ، و اخلاقه و حدوده في الدّنيا ، و منها جسر جهنّم ، فمن الطرق الموصلة إلى ذلك في الدّنيا ، ما هو مستقيم ، و هو الطّريق الذي لا يتصوّر ان يوجد بين مقام القاصد و المقصد طريق أقرب منه ، و منها ما ليس كذلك ، و الأوّل واحد ، و الثّاني يتعدّد إلى ما شاء الله من الطّرق المعوجة ، بحسب انفس الخلائق غير الأكمل منهم ، ولكن بعض هذه قريب من الاستقامة و بعضها اقرب ، و هكذا بعضها بعيد و بعضها ابعد ، حتّى ينتهى الى طريق ابغض الخلائق ، و ابعدهم من الله ، و هو ابليس و اخوانه في المبطونية ، و الأكمل طريقة إلى الله أقرب من الكل ، و هو الذي يكون معرفته بالله تعالى و باسمائه و صفاته و افعاله ، أكمل المعارف ، و اخلافه احسن الأخلاق ، و مزاجه اعدل الامزجة ، هذا بالنسبة إلى الأقرب الواقعي من بين الطّرق كلّها ، و أمّا بالنسبة إلى كل فرد فرد ، فأقرب طرقه يلاحظ الى حاله الفعلي ، و تفصيل هذا الاجمال : ان كلّ انسان

له قوس نزول من عالم الغيب الى هذا العالم ، و قوس صعود منه الى عالم الغيب ، والاسان من حين تولده ، بل من اول خلق نطقه ، بل تجربته في هذا العالم ، سائر الى عالم الغيب ، نعم مادام لم يلج فيه الروح ، فسيره في هذا العالم ، و من بعد ما ولج فيه الروح ، سيره في عوالم الغيب بروحه ، اما سير تجربته الى عالم الغيب ، من جهة ترقيه من عالم الجماد الى النبتات ، حتى يصير غذاء للانسان ، فيصير الغذاء جزء بدن انسان ثم يصير نطفة ، ثم علقه ، ثم عظماً ، فكسونا العظام لحماً ، فخلقناه خلقاً آخر ، فتبارك الله احسن الخالقين ، وهكذا يترقي بعد ولادته بكمال شعوره حتى يصل الى اوان البلوغ ، وعند ذلك يكمل عقله ، بحيث يشرف بتعريف التكليف ، وعند ذلك يتمين له أن يختار السير في عوالم الغيب الى طريق السعادة ، و القرب و المعرفة و الجنة ، او الى طريق الشقاوة و البعد ، والجهل و مهوى ذركات السجين ، بارادته لانه يكشف له بطريق العقل و الشرع عن التجددين ، اي طريقي السعادة و الشقاوة ، و الجنة و النار ، و القرب و البعد ، فيختار السعادة بتحصيل اخلاق الروحانيين ، و تكميل ملكات المقرئين ، و معارف اهل اليقين من الايمان بالله ، وملائكته و كتبه و رسله ، واليوم الآخر حتى يلحق بالمعطين ، او الشقاوة بالاشتغال بالشهوات ، و سلوك طريقة الشياطين في اعمال الجبل ، والخداع في تحصيل أسباب الالتذات ، والانهماك في شهوات هذه الدنيا الدنية و زخارفها بالكفر بالله ، و ملاءكته و كتبه و رسله ، و اليوم الآخر و جحده ، و الخلود الى الأرض حتى يلحق بحزب الشياطين ، في مهوى ذركات السجين ، و كل حركاته الاختيارية ، مؤثرة في روحه ، و حقيقته ، و فليه اثرأ مرقاً باله من الله ، و من الروحانية ، او مبعداً حتى المباحات ، و كل اثر يحصل في الروح والقلب بمنزلة قدم في السير الى الجنة او النار ، فان كانت هذه الحركة

ازيد الحركات المفروضة في هذا الان له في حصول القرب ، و الرّوحانية ، و
أسرع في الايصال ، فهو سير في اقرب الطرق ، و لا يفقد نقص الحركة في حصول
القرب ، و بطوئه ، يكون الطريق بعيداً ، ومن الحكمة الالهية أنّه جعل
لكل عمل مؤثر في القلب قرباً ، أو بعداً تأثيراً في التوفيق ، و الخذلان ،
فان عمل الخير يجعل القلب صالحاً ، ومستعداً لانتشاء اعمال الخير . ويسمى
ذلك توفيقاً ، وعمل الشر يجعله مستعداً لانتشاء اعمال الشر . ويسمى خذلاناً ،
و عند التوفيق يظهر غلبة الملاءكة الموكلين لالهام الخير في القلب ، على الشياطين
الموسوسة فيه بالشر ، و عند الخذلان يظهر غلبتهم على الملاءكة ، فقلب المؤمن
دائماً بين اصبعي الرّحمن ، يقلبها على طبق أثرات أعمالها الماضية ، ويحصل من
هذه التقلبات السير ، أمّا إلى جنة اوانار ، فالسائر هو الرّوح الانساني ، و
سيره حركاته المائلة إلى الخير ، او الشرّ في نفسه ، يضع قدمه على رأسه ، و
رأسه على قدمه ، و حاصل سيره حصول الاوصاف الرّوحانية او الطبيعية ، و
أثر الحاصل حصول القرب ، أو العبد ، ثمّ أنّ منشأ هذه الحركات المؤثرة
في القلب ، ايضاً صفات القلب السّابقة على الحركات ، من مراتب المعرفة ،
و العلم ، و الكفر ، و الجهل اللّازمة لا لوصاف الذاتية المقتضية لها ، و
بعبارة اخرى الصفات التي اقتضتها ذات الانسان ، و تعيّن لها بحكم الحكيم
تعالى عند تعيّن انيته ، و ايجاد ماهيته في الخارج ، فانّ لسان حال كلّ
ماهية ، سائل من الجواد الحكيم ، أن يهب له ما يناسبها من الصفات ، و
سؤال لسان الحال لا يردّ أبداً ، و هذه الصفات الذّاتية ، اقتضت صفات
اخرى مؤثرة في أعمال الجوارح المؤثرة ايضاً في تقلّب القلب ، و تأثيره
بالأثرات النّورية الرّوحية أو الظلمانية الطبيعية ، و كلّ أعمال الجوارح
أنما يوجد بحكم الحكيم تعالى بواسطة ارادة العامل ، و الاوصاف المؤثرة

في ارادة الخير والشر ، وأنما هي ماساله انيته ، وماهيته عن الجواد الحكيم ، أن يهبها له فهو باقتضاء ماهيته سئل ربه أن يؤتبه تدقيق سلوك طريق السعادة ، والجنة والقرب والزلزلي ، أو خذلان سلوك طريق الشقاء والنار والبعد ، وهذا أخذ وجوه قولهم : لا جبر ولا تفويض ، بل أمرين الأمرين ، ووجه نسبة الخير إلى الله والشر إلى العبد ، ونسبة خلقهما معاً إلى الله ، واذنهم مدت هذه المقدمات ، تبين منها صحة اطلاق الصراط على الصورة الانسانية ، اي صفاتها ، واطلاقه على الامام ، وعلى هدا ، وعلى الشريعة ، و على جسر جهنم ، فان كلها طريق إلى الجنة ، وإلى عالم النور والزلزلي ، ثم ان الطريق المستقيم المطلق ، ليس إلا لمن كان معارفه بالله ، وباسمائه و صفاته ، وأفعاله ، وماله كنهه و كتبه ورسله و شرايعه ، حتى علم كل حركة وسكون مطابقاً لما في الواقع ، مما حكم به و حكمه و كيفه ، حكمة الحكيم تعالى ، وأخلافه كلها معتدلة بين الافراط والتفريط ، لا تميل عن الاعتدال مقدار ذرة إلى الطرفين ، و مزاجه أعدل الامزجة ، لان المزاج ايضاً تأثيراً في الافعال والأعمال ، نظير تأثير الاخلاق فيها ، و مع ذلك يساعده التوفيق والعصمة من الله ، حتى يكون سلوكه في أقرب الطرق حقيقة ، و انما شرطنا مع ما ذكر التوفيق والعصمة ، لان الالحوادث الكونية ايضاً تأثيراً في ذلك ، و هو لا يستقيم إلا بهما ، ولذلك ابتدأ الله المعصومين بالروح القدس ، بل تولى الله بلطفه رياضة قلوبهم بالخوف والرجاء ، كما اشير اليه في بعض الزيارات و الطريق المستقيم لكل مكلف هو أقرب ما يمكن له بلحاظ خصوص صفاته الذاتية من الطرق المؤدية إلى مقام قربه الممكن له في حقه ، و هو ان يكون جميع حركاته الاختيارية انفع له في مرتبته من ايصاله إلى رضا ربه ، حتى أنه لو فرض ان اشتغاله بصلوة ليالي رجب ، انفع له من اشتغاله بمطالعة

الكتب العلمية ، أو بالعكس ، أو افطاره مع قوة العبادات انفع له من صومه ، من جهة الضعف ، كان أقرب طرقه الانفع ، بل و يمكن ان يكون في بعض الاحيان له ترك الأعمال الخيرية انفع ، كما ورد في ذلك ، ان العبد قد يحرم ليلة اوليئتين من التهجّد ، لئلا يدخله العجب ، بل و روى انه قد يتبلى بالكم لحفظه من العجب الذي هو اخسر منه ، وبالجملّة الصراط المستقيم لكل نفس في كلّ يوم ، بل في كلّ نفس ، وحرّكة وسكون ما يكون انفع له بالنسبة إلى حاله الحاضر وما بعده في سلوك طريق الخير والسعادة ، فمن وفق لذلك : فهداية خاصّة من الله تعالى وإلا فهذه العلوم الاكسابيّة لا يحيط بجهات هذا المراد ، و لعلّ لذلك و رداه : ادقّ من الشعر ، و لصعوبة العمل بعد الهداية ، و رداه احد من السيّف ، ثم إنّ الذي في رواية امير المؤمنين عليه السلام إنّ المراد في طلب الهداية في هذه السّورة ، إنّما هو الثّبات على الهداية السابقة ، و اذا يمكن ان يكون المقصود من الصّراط ، الايمان كما يشير إليه بعض الروايات ، او يكون هذا المراد مختصاً به ، و بامثاله من المعصومين فانهم لا يتفاوت احوالهم في الهداية بانواعها ، و جهاتها ، فيكون مطلوبهم ، و مسئولهم ان يهديهم الله في اللاحق مثل ما يهديهم في السابق ، و هذا معنى الثّبات ، و أمّا امثالنا فالمتطلب ان يزيدنا ربنا هدايتنا في الاثمة على السّافة ، حتى نهتدى إلى السير في حظائر القدس : و السلوك في مقامات الانس بانظماس آثار العلايق الجسمانيّة والطبيعيّة ، و ظهور انوار التجليات الالهية الجماليّة والجلاليّة ، و انكشاف الاسرار الغيبية ،

هذا ولا يذهب عليك ، ان كلّ جاد ونبات ، و حيوان مالم يصل إلى حدّ الانسان المكلف ، إنّما سيره وحرّكته من اول مكوثه بحرّكته الكمّية و الكيفيّة ، بل الصّور الجوهرية على صراط مستقيم ، بمعنى خروجه تدريجاً

من القوة إلى الفعل ، حتى ينتهى إلى كماله اللّائق بنوعه ، و شخصه في
 الفعليّات اللّائقة به ، ان لم يمنعه مانع وأما الانسان بعد الوصول إلى اوان
 الاختيار المعبر في التشكيل ، فقد يخرج في سيره النفساني من القوى إلى
 الفعليّات اللّائقة بنوع الانسان ، من دون تدخل فعليّة مخالفة لتوجهه ،
 بين تلك الفعليّات حتى يصل إلى اقصى درجات المراتب من الفعليّة اللّائقة
 بالانسان الكامل ، وهذا قادر ، وهذا هو السّائر في الصراط المستقيم الانساني
 و الاغلب إنّما يخرج بعد وجود الحركة الاختيارية فيه من القوى إلى
 الفعليّات ، مع تدخل الفعليّات الغير اللّائقة ، فيكون سيره لاعلى الصراط
 المستقيم الانساني ، بل قد يكون سيره بسوء اختياره في الاعوجاج ، بحيث
 ينتهى به إلى اخر مراتب من الفعليّات اللّائقة للبهائم و السباع ، بل
 الشّياطين ، وقد يقف فيمنح بصورته الفعليّة التي هو عليها ، يعود بالله من
 خزي الدنيا والاخرة ، ثم إنّك سمعت في الاخبار ، إنّ الصّورة الانسانية هو
 الصراط المستقيم إلى كل خير ، وذلك ان حركة الانسان نحو كما لانه التي
 فيها كل خير وسعادة ، إنّما هو بالحركة الكيفيّة والحركة الجوهرية ،
 فالطريق في ذلك هي مراتب الكيف ، والصّور المتعاقبة على الجوهر الانساني
 من الملكات الشريفة ، وانوار المعارف الرّبّانية ، فالسالك جوهر الانسان ،
 والمقصد كماله ، والطريق تحصيل هذه الملكات ، وانوار المعارف والعلوم ،
 ففي هذه الحركة يوجد الطريق بنفس السّير ، لافله ولا بعده ، ثم ان نور
 المعرفة عبارة عن ظهور مراتب النفس والروح ، والعقل ، فالنور بلحاظ طريق ،
 و بلحاظ مقصد ، و بلحاظ سالك ، ثم ان حقيقة على عليه السلام و حقيقة الاثمة
عليه السلام من جهة انها نور الانوار ، واصل كل نور ، وهو نور الله في العالمين ،
 فهو في الحقيقة صراط الله المستقيم ، بالاتّجوز ، وهو وجه الله الذي إليه يتوجّه

الأولياء وهو جنب الله الذي إليه مصير العباد ، كما في الزبارة الجامعة ، وإياب الخلق إليكم .

صراط الذين انعمت عليهم هذا تفصيل للمراد من الصراط المستقيم وهم شيعة أمير المؤمنين من الأمة وصراطهم بعينه أخلاقهم ، وأوصافهم وأعمالهم التي أشار إلى جعلها هو عليه السلام حين سئل الهمام عن ذلك ، فقال : هم العارفون بالله ، العاملون بأمر الله ، أهل الفضائل ، الناطقون بالصواب مأكولهم القوت وملبسهم الاقتصاد ومشيمهم التواضع ، ثم أن وصف الصراط المستقيم بذلك ، يمكن أن يكون للإرشاد إلى حقيقة الذي هو عبارة عما بين الإفراط والتفريط في حق الولي ، وما بين الغالي والقالى ، والاقتصاد في الأخلاق أو في حق الغير لدفع توهم أن يراد به صراط كل نفس إلى كماله اللائق بشخصه الذي يقتضيه ذاته ، ولوازم ذاته بحكم اقتضاء أسماء الله تعالى له ، مثلاً الصراط المستقيم ليس من جهة ماهيته وصفاته الذاتية وما يوصله إلى أسفل الدرجات ، فكانه يقول : أهدنا الصراط المستقيم الذي استقامته واقعية ، موصلة إلى رضاك وجوارك ، وهو صراط الذين انعمت عليهم ، من شيعة أمير المؤمنين ، لا إلى صراطى الذي استقامته موصلة إلى ما يقتضيه ذاتي وصفاتي ، وبعبارة أخرى أهدني إلى الصراط الذي يقتضيه فضلك ، وانعامك لا إلى ما يقتضيه عدلك ، وهو صراط الذين انعمت عليهم بولاية أمير المؤمنين .

غير المغضوب عليهم ، من الضالين والمنكرين .

ولا الضالين فيه بالغلو ، ثم أن تغيير الأسلوب في غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، مع ما قبلها حيث ، قال في الأول : الذين انعمت عليهم ، ولم يقل في الثاني : غير الذين غضبت عليهم ، لعله للإشارة إلى أن النعمة نسبتها إليه تعالى أصلي ابتدائي والغضب تبعي من جهة اقتضاء صفات العبد ذلك ، كما

اليه الاشارة في قوله تعالى : ما اصابك من حسنة فمن الله ، وما اصابك من سيئة فمن نفسك . هذا

و في ثواب الاعمال باسناده عن ابي عبد الله عليه السلام انه قال : اسم الله الاعظم ، يقطع في ام الكتاب ،

عن العياشي عن النبي صلى الله عليه وآله ان " ام الكتاب افضل سورة انزلها الله في كتابه ، وهي شفاء من كل داء إلا السقام اي الموت ،

اقول اطلاق ام الكتاب لعلّه لاشتماله لكل ما في الكتاب ، كما ورد التصريح ، به فيما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : كل ما في القرآن في الحمد ، وكل ما في الحمد في البسملة ، وكل ما في البسملة في الباء ، وكل ما في الباء في النقطة ، وانا النقطة تحت الباء .

وروي ايضاً بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تميز العابد من المعبود ،
أقول : مقام العبودية المطلقة ، مقام الولاية ، لانه درجة الفقر المطلق
وبعدها مقام الالوهية .

كما روي عن النبي صلى الله عليه وآله الفقر فخرى ، ولعلّه المراد من قول القائل :
إذا تمّ الفقر ، فهو الله ، يلحظ دلالة الفاء على التعقيب ، بل لعلّه المراد من
قول الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة : العبودية جوهرة كنهها الربوبية ،
وهذا كله من شئون ما ذكرناه سابقاً عند ذكرنا لهذا الخبر انه يعرف
من بعض الاخبار ،

ان الله تعالى خلق عالم الحروف في قبال ساير العوالم ، فالالف كما
في بعضها للاشارة إلى مقام الالوهية ، والباء اشارة إلى مرتبة المخلوق الاول ،
والنقطة اشاره إلى جهة انيته ونهايته ،

وعن العيون عن الصادق عليه السلام عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : لقد

سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله عز وجل: قسمت فاتحة الكتاب بيني ، وبين عبدي فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قال جل جلاله : بدء عبدي ، باسمي ، وحق علي أن اسم أموره ، وأبارك له في أحواله ، وإذا قال : الحمد لله رب العالمين ، قال جل جلاله : حمدني عبدي ، و علم أن النعم التي له من عندي ، وأن البلاء التي اندفعت عنه فتطوأت لي ، أشهدكم أنني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة ، وأدفع عنه بلاء الآخرة ، كما دفعت عنه بلاء الدنيا ، وإذا قال : الرحمن الرحيم ، قل جل جلاله : شهد بانني الرحمن الرحيم ، أشهدكم لأوفرن من نعمتي حظّه ، ولأجزلن من عطائي نصيبه ، فإذا قال : مالك يوم الدين .

قال الله تعالى : أشهدكم كما اعترف بانني الملك يوم الدين ، لاستهان يوم الحساب حسابه ، ولأقبلن حسناته ، ولأجاوزن عن سيئاته ، فإذا قال العبد : أياك نعبد ، قال الله : صدق عبدي أياي يعبد ، أشهدكم لأثيبنه على عبادته ثواباً يقبضه كل من خالفه في عبادته ، لي ، فإذا قال : وأياك نستعين ، قال الله تعالى : يي استعان ، والي التجأ ، أشهدكم لأعيننه على أمره ، ولأغيننه في شأينه ، ولأخذن بيده يوم نوابه ، فإذا قال : أهدنا الصراط المستقيم ، إلى آخر السورة ، قال الله : هذا لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، فقد أستجبت لعبدي ، وأعطيته ما أمل ، وأمنتّه مما منه وجل .

أقول سبحانه من كريم ، ما أكرمه : أين الغافلون ، أين العالمون ، ليتدروا موقع هذا الكرم ، ويوحدوه سبحانه في هذه الجهة من عطية كرمه أيضاً ، كما وحدوه في سائر صفاته العليا ، ويحكموا عقولهم فيما يجب عليهم في شكر هذه الكرامة العظمى ، ويعترفوا بأنهم لو صرفوا تمام ممرهم في شكرها لما أدوا شيئاً من حقّه الواجب ، كيف وهنا جل جلاله من لطفه و

عنايته اوجب لعبيده هؤلاء الاذلاء ، الصلوة ، وأذن لهم في ذكره وعبادته ، و جعل عبادتهم سبباً لمغفرة ذنوبهم ، واصلاح عيوبهم ، وترقياتهم إلى الدرجات العلى ، وشرّفهم في تكليفهم بالصلوة ، بهذا التشريف ، ثم يرضي لهم أن ينجوه في صلواتهم ، ويترك جوابهم ، ويقنع بجزائهم عن جوابهم ، بل ولا يرضى جوابهم بمقدار سؤالهم ، ويزيد في اكرامهم بالجواب عن المساوات .
وفي بعض الأخبار ان الله تبارك وتعالى يقول بعد القراءة : ان له بكل حرف درجة من فلان و فلان ، يعدّ الجواهر ، ودرجة من نورى على مايبالي من لفظ الخبر .

قل هو الله أحد عن ألباقر عليه السلام .

قل ، اي ^(١) أظهر ما أوحينا اليك ، وبغشاك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ، ليهتدي بها من القى السمع وهوشيد ، وهواسم مكنتى مشاربه إلى الغائب ، فالهاء تنبيهه على معنى ثابت ، والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس الخ .

أقول لفظه : هو اسم الذات في مرتبة غيب الغيوب ، ولفظة الجلالة أيضاً اسم للذات ، ولكن من حيث الجامعيته لجميع الصفات الكمالية .
الاحد ، أي الفرد المتفرد الذي ، لا ينبعث من شيء ، أى أحدي المعني ، لا ينقسم في عقل ، ولا وهم ، ولا وجود .

الله الصمد ، أي السيد المصمود اليه ، والذي لا جوف له ، والذي لا يأكل ولا يشرب ، والذي لا ينام ، والدائم الذي لم يزل ولا يزال ، والفرد بالالهيته ، المتعالى عن صفات الخلق .

وعن الصادق عليه السلام ، عن أبيه أنه كتب اهل البصرة الى الحسين عليه السلام

ابن علي عليه السلام ، يسئلونه عن الصمد ، فقال : كتب اليهم : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدى رسول الله عليه السلام يقول من قال في القرآن بغير علم ، فليتبؤ مقعده من النار ، وأن الله فسر الصمد ، فقال : قل هو الله أحد ، الله الصمد ، ثم فسر ، فقال : لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد .

لم يلد ، لم يخرج منه شيء كشيء كالولد ، وسائر الاشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ، ولا شيء لطيف كالنفس ، ولا تشعب منه البدوات كالسنة والنوم ، والخطرة ، والهم والحزن ، والضحك ، والبكاء ، والخوف ، والرجاء ، والرغبة ، والسامة ، والجوع ، والشبع ، تعالى عن أن يخرج منه شيء ، وأن يتولد منه شيء ، كشيء أولطيف .

ولم يولد ، لم يتولد من شيء ، ولم يخرج من شيء كما يخرج الاشياء ، الكثيفة من عناصرها ، كالشيء من الشيء ، والدابة من الدابة ، والنبات من الأرض ، والماء من الينابيع ، والثمار من الاشجار ولا كما يخرج الاشياء اللطيفة من مراكزها ، كالبصر من العين ، والسمع من الاذن ، والشم من الانف ، والذوق من الفم ، والكلام من اللسان ، والمعرفة والتمييز من القلب ، والنار من الحجر ، لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ، ولا في شيء ، ولا على شيء ، مبدع الاشياء ، وخالقها ، ومنشيء الأشياء بقدرته ، بتلاشي ما خلق لا فناء بمشيئته ، ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه ، فذاكم الله الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

ولم يكن له كفواً أحد ، وعن الصادق عليه السلام أنه ورد وفد من فلسطين على الباقر عليه السلام ، فسئلوه عن مسائل ، فاجابهم ، ثم سئلوه عن تفسير الصمد . فقال : في الصمد خمسة أحرف فالالف دليل على أئسته ، وهو قوله :

شهد الله أنه لا إله إلا هو ، و ذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس
واللآم دليل على الهيته ، بانه هو الله ، والالف واللام يدعمان ،
ولا يظهر ان على الحواس ، ولا يقعان في السمع ، ويظهران في الكتابة ، دليلان
على أن الهيته باطنه ، خافية لا تدرك بالحواس ، ولا يقع في لسان واصف ،
ولا في اذن سامع لان تفسير الاله ، هو الذي اله الخلق عن درك ساهيته ، وكيفيته
بحسب أوبوهم ، لابل هو مبدع الاوهام ، وخالق الحواس ، و إنما يظهر ذلك
عند الكتابة ، فهو دليل على ان الله أظهر ربوبيته في ابداع الخلق ، وتركيب
ارواحهم اللطيفة في اجسادهم الكثيفة ، فاذا نظر العبد إلى نفسه ، لم يروحه ،
كما ان لام الصمد لا يتبين ، ولا يدخل في حاسة من حواسه الخمس ، فاذا
نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفى ، ولطف ، فمتى تفكر العبد في ماهية الباري ،
وكيفيته ، اله فيه ، وتحير ، ولم تحط فكرته بشيء يتصور له لانه عز وجل
خالق الصور ، فاذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه خالقهم ، ومركب ارواحهم في
أجسادهم .

وأمّا الصاد ، فدليل على انه عز وجل صادق ، وقوله صدق وكلامه
صدق ودعى عباده على اتباع الصدق بالصدق ، ووعد بالصدق دار الصدق .
و أمّا الميم فدليل على دوام ملكه ، وأنه عز وجل دائم تعالى عن الكون
و الزوال ، بل هو عز وجل مكوّن الكائنات الذي كان بتكوينه كائن .
ثم قال عليه السلام : لو وجدت لعلمي ألفى اثنائي الله عز وجل حمله ،
لنشرت التوحيد والاسلام والايمان ، والدين والشرايع من الصمد ، وكيف
لي بذلك ، ولم يجد جدتي أمير المؤمنين عليه السلام حمله لعلمه ، حتى كان
يتنفس الصعداء . ويقول ، على المنبر : سلولي قبل أن تفقدوني ، فان بين
الجوانح مني لعلماً جماً ، هاماً ، الا لاجد من يحمله ، و أنسي عليكم من الله

الحجة البالغة .

أقول : هذه جملة ما تبسّر لي إلى الآن من أخبارهم في تفسير السّورة ، ولعلّ ما لم أذكر أزيد مما ذكرت ، ولكن في ذلك كفاية لمن عقل ، وتفكر فيها بنور من الله ، فلفظة هو إشارة إلى مرتبة غيب الغيوب ، ولفظة الله إلى مرتبة ظهور الاسماء اجمالاً ، ولفظة الاحد إلى تفرّده الحقيقي من مرتبة الاسماء ، ولفظة الصمد إلى كيفية تفرّده ، وأصالته ، وأنّ مبدئيته للأشياء ليس كمبدئية سائر الأشياء بعضها لبعض ، وأنّ الوجود الحقيقي يختصّ به ، والأشياء كلّها قائمة بقيوميته وقدرته وليست احاطته للأشياء كاحاطة بعضها ببعض ، حتّى العقل بالمعقولات ، فإنّ احاطة كلّ منها إلى غيره يشبه باحاطة المجهول لما في جوفه . إلّا الله المحيط الصمد الذي ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، هذا .

والأخبار في فضلها ، وفضل قرائتها كثيرة .

وفيها ، أن من قرّأها تلك مرّات ، فكأنه قرأ القرآن كلّهُ .

وفيها أن من مضى عليه جمعة ، ولم يقرأ بقل هو الله أحد ، ثمّ مات مات

على دين أبي لهب .

وفيها : أن من أصابه مرض ، أو شدّة فلم يقرأ في مرضه أو شدّته بقل

هو الله أحد ، ثمّ مات في مرضه وفي تلك الشدّة التي تزلت به فهو من أهل النار .

وفيها أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فشكى إليه الفقر ، وضيق المعاش

فقال له رسول الله ﷺ إذا دخلت بيتك فسلم أن كان فيه أحد ، وإن لم يكن

فيه أحد فسلم ، وأقرأ قل هو الله أحد مرّة واحدة ، ففعل الرجل فافاض

الله عليه رزقا ، حتّى افاض علي جيرانه .

وفيها ان من يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يدع ان يقرء في دير الفريضة
بقل هو الله احد ، فاته من قرئها جمع له خير الدنيا والاخرة ، وغفر الله له ،
ولو اديه وما ولدا ،

اقول اجمال ما دلت عليه هذه الاخبار من معاني الفاظ هذه السورة ،
ان هو اشارة إلى الذات الغائبة عن الحواس والاولهام ، والله اى المعبود المفزع
الذي تحير الخلق عن درك ماهيته ،

الاحداى الفرد الحقيقى الواقى معنى وخارجاً ، الاحدى المعنى لا ينقسم
في وهم ، ولا عقل ولا وجود ، الصمد اى السيد المصمود الذي لا جوف له ، والذى
لم يخرج من شيء ، ولا يخرج منه شيء منشاء الاشياء ، وخالقها ،
ولم يكن له كفواً احد ، هذا كفى للقراءة ،

واما تكبير الر كوع ، ولعل المناسب ان يقصد به تكبيره تعالى من
مجاويز ان يقدر احدان يقوم بعبادته ، و يكون قصده من رفع اليد أيضاً ،
التبرى من هذا الاعتقاد ، فينحط عن حال القيام للر كوع ، والتواضع عن
قوته وقدرته ، وارادته ويتأدب لله بهذا الخضوع ، ويذكر ذكر الر كوع ،
ويريد من تسبيحه تنزيه ربه عن الشريك في الارادة ،

ثم ان تسبيحه تعالى إنما هو قضية صفاته الجلالية السلبية ،
و اصل صفاته الجلالية السلبية ، راجع إلى سلب الحدود ، و سلب الحدود
راجع إلى سلب السلوب ، و مصداق سلب السلوب فيه تعالى ليس الاسعة
الوجود ، هذا بخلاف تنزيه الممكنات ، فان السلوب الراجعة إليها ،
إنما هو بسلب الوجودات التي هي منتزعة من حدود وجوداتها ، لا من
وجوداتها ، فتسبيحه تعالى ، إنما هو بما يحمده ، فلذلك يقرن تسبيحه في
الاغلب بحمده ، كما في تسبيح الر كوع والسجود ، ومن ذلك قوله تعالى :

فسيح بحمد ربك ، هذا حقيقة تنزيهه تعالى ان يعتقد العبد بسلب النقايس بجميع وجوهها عن الله جل جلاله ، بقلبه ويعمل بمقتضى ذلك بجوارحه ، وهو يقتضى كمال اغلب الصفات الحسنة في العبد ، من الاخلاص ، و الصدق ، والتوكل ، والتسليم ، والرضا ، والتوحيد ، لان العبد إذا اعتقد كماله تعالى من جميع الوجوه ، لابد ان يعتقد كمال قدرته ، وعنايته وعلمه ، وتوحيده تعالى في ذلك كله ، فلا مناص له إلا من هذه الصفات المذكورة ، لانه ان لم يعتقد الضر والنفع من غيره ، لا يراقبه في اعماله ، و افعاله ابدأ ، و ذلك يتم به الاخلاص ، والصدق ، و إذا عرف علمه تعالى بصلاح نفسه ، و كمال عنايته في حقّه وقدرته الكلمة على اصلاحه ، يتم له الثلاثة الاخيرة ، و إذا اعتقد كماله من حيث انتفاء الشريك ، ومن حيث انتفاء الانقسام والتجزية في الوهم ، والعقل والوجود لتمام له التوحيد بمعنييه الذين ، يجوز ان عليه تعالى ، كما وجد في كلام أمير المؤمنين ، و سيد الموحدين عليه السلام في تفسير الوحدة ، التي تجوز على الله ، واجاله ان ما يليق أن يراد من معنى الواحد عليه تعالى ، اثنان .

احدهما انه لاشريك له .

وثانيهما انه احدى المعنى ، و كلا المعنيين قضية سلب النقايس ، التي هي اعداد الكمال ، فعال التسبيح في العبد ، ان يكون قلبه معتقداً في ربه الكمال من جميع الوجوه ، ويكون جميع حركاته ، وسكناته ناشية من هذه المعرفة ، هذا في التسبيح الكامل المطلق ، و أما التسبيح المقيّد ، فهو أيضاً بحسب القيود ، مثلاً التسبيح الرّكوعي يشبه ان يكون تنزيهاً من نفس الشّركة في الحول ، والقوّة والارادة ، كما يشعر بذلك .

ما في مصباح الشريعة ، قال الصادق عليه السلام لا يركع عبد لله تعالى

ركوعاً على الحقيقة، إلا زينته الله بنور بهائه وأظله في ظلال كبريائه، وكساه كسوة
اصفيائه، والركوع أول السجود ثان، ومن اتى بالأول صلح للثاني، وفي
الركوع أدب، وفي السجود قرب، ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب،
فاركع ركوع خاضع لله عز وجل بقلبه، متذلل وجل تحت سلطانه، خاضع
لله بجوارحه، خضع خائف حزين على ما يفوته من فوايد الركوعين.

وحكى ابن ربيع بن حثيم كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركوع واحد،
فاذا أصبح يرف، فيقول: أوّء سبق المخلصون، وقطع بنا، واستوف ركوعك
باستواء ظهرك، وانحطّ عن همتك في القيام بخدمته، ألا بعونه وفرّ بالقلب
عن وسوسة الشيطان، وخدايعه ومكائده، فإن الله رفع عباده بقدر تواضعهم
له، ويهديهم إلى أصول التواضع، والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمتهم
على سرايرهم - انتهى.

أقول: تأمل في هذه الكلمات، وتحقق بما فيها يكفيك في هذا المقام
فإن تأملت في قوله الركوع أول، والسجود ثان، وفي الركوع أدب،
وفي السجود قرب، عرفت وجه ما ذكرته من الاستشمار، فإن التبصر عن
الحول والقوة، والتوكل والتسليم، التي هي فضيلة التنزيه عن الشريك
في الحول والقوة والأزادة من الأدب، ومقام الفناء الذي لازمه القرب، الذي
هو عبارة عن التنزيه السجودي من القرب، وأيضاً قوله: وانحطّ عن همتك
في القيام بخدمته إلا بعونه، كالصريح في أن المراد من الركوع هو الإشارة
بالتبصر عما ذكر، وتنزيه الرب عن الشريك فيها، وأيضاً الجزاء الذي
ذكر أولاً لمن اتى بحقيقة الركوع، إنما يناسب ما ذكرنا من التبصر،
لأنه المناسب بنور البهاء، والاستقلال في ظلال الكبرياء.

وبالجملة فمن كان مراعيّاً للأسباب وناظراً في الأمور يتديره وحواله

وقوته ، ومعتمداً عليها فهو لم يركع بحقيقة الركوع ، ولم ينزه الله بتنزيهه
الركوعي ، وان اطال الركوع وسبح مائة مرة .

وبالجملة حقيقة الركوع وروحه ان يكون قلب العبد على صفة التوكل
وعمله عمل المتوكلين ، ولا يرى مدبراً ، بل ولا فاعلاً بالاستقلال الا الله ، ويتبرئ
عن الحول والقوة ، ويكون كعبه وتشبثه للاسباب من جهة الامر ، ولا
يمكن لمثل هذا ان يكون في كسبه حريصاً ، ولا اخذاً للحرام ولا الشبهات
بل ولا يمسك ولا ينفق إلا الله ، وبامر الله ، بل يكون الانفاق والامساك عنده
على السواء ، بل ويسوى عنده الوجود والعدم ، والفقر والغنا ، وعند ذلك
يتولى الله تدبير اموراته بنفسه ، ولا يكله إلى غيره ،

وأما القيام عن الركوع فليكن النية فيه الارتفاع بالله على اعدائه
بعد التواضع له .

وبرفع اليد لتكبيره التبرئ عن التواضع لاعدائه ثم إنّه يستحب
الاستيفاء بالركوع باستواء الظهر ، وان يمد عنقه ، ناوياً بأنى امنت لك ،
وان ضربت عنقي ، ثم يرفع راسك راجياً القبول خضوعك ، وتسبيحك وحمدك ،
وناوياً الارتفاع على اعدائه بحوله وقوته ، ومؤكداً لرجائك ، بقول سمع الله
من حده ، أي اجاب الله لمن حده ، مردفاً ذلك بالحمد والشكر ، بقول الحمد لله
رب العالمين ، ثم تزيد في الخشوع والتذلل إلى ربك بعد الارتفاع على اعدائه
بقول اهل الكبرياء والعظمة ، والجلود والجبروت ، كانتك بعد ما قمت للعبودية ،
اقتضى ذلك ، ان تبرئ من حولك وقوتك ، في القيام بعبوديته بالركوع ،
وتنزهه تعالى عن الشريك في الحول والقوة ، واقتضى ذلك ان تظهر انك
مع ذلك ترتفع على اعدائه ، واعداء اوليائه بحوله وقوته ، واقتضى ذلك أيضاً
ان تذكر بعد الارتفاع ذلك ، وكبريائه وعظمته في ذلك الارتفاع ، فيتم لك

آداب العبودية علماً وعملاً ، ثم تترقى عن رؤية آداء حق ادب العبودية ،
فتشرف بمقام القرب ، فكبر ربك عن الشريك ، فكانه إذا حصل لك القرب ،
تجلى لك انوار جمال الاحدية ، و اضمحلت عنده وجودات جميع الخلايق ،
فكبرت ربك عن أن يكون له شريك في الكمال و خربت ساجداً لعظمته ،
محتجبا عن جميع الاشياء ، ومنزهاً له عن كل ما يتوهم من النقايس المضادة
للكمال ، حتى الشريك في الوجود الحقيقي ، فكانك لا ترى في الوجود إلا الله ،
وان وجودات جميع الممكنات كسراب بقية يحسبه الظان ماء ، وترى ان
وجود العالم كانه وجود خيالي ، والوجود الحقيقي المعني الخارجى هو وجوده
تعالى ، بل ولاتلفت إلى غيره ابداً .

في مصباح الشريعة قال الصادق عليه السلام : ما خسروا الله تعالى قط من اتى
بحقيقة السجود ، ولو كان في العمر مرة واحدة ، وما افلح من خلا بربه في
مثل ذلك الحال تشبهاً بمخادع نفسه ، غافل لاه عن ما اعد الله للساجدين ،
من البشر «نخل أنس» العاجل ، و راحة الاجل ، ولا بعد عن الله ابداً من احسن
تقربه في السجود ولا قرب إليه ابداً من اساء ادبه ، وضيع حرمة بتعلق قلبه بسواه
في حال سجوده ، فاسجد سجود متواضع لله ، ذليل عام انه خاق من تراب
يطؤه الخلق ، وانه ركب من نطفة يستقذرها كل احد ، وقد جعل الله معنى
السجود سبب التقرب إليه بالقلب ، و السر و الروح ، فمن قرب منه بعد
عن غيره ، الا ترى في الظاهر ، انه لا يستوى حال السجود ، إلا بالتوازي
عن جميع الاشياء ، والاحتجاب عن كل ما تراه العيون ، كذلك امر الباطن ،
فمن كان قلبه متعلقاً في صلوته بشيء ، دون الله فهو قريب من ذلك الشيء ،
بعيد عن حقيقة ما اراد الله منه في صلوته ، قال الله : ما جعل الله لرجل من قلبين
في حوفه ، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : قال الله تعالى : لا اطلع على قلب عبدي ،
فاعلم فيه حب الاخلاص لطاعتي لوجهي ، و ابتغاء مرضاتي ، إلا توليت

تفويده ، و سياسته و تقربت منه ، و من اشتغل في صلوته بغيرى ، فهو من المستهزئين بنفسه ، مكتوب اسمه في ديوان الخاسرين إنتهى .

أقول تأمل في الفاظ الرواية ، لعلك تجد لها دالة على ما ذكرناه من معنى حقيقة السجود ، فإن المعنى الذي من اتى به ، ولو في مره مرة واحدة لم يخسر ، لا يناسب إلا بما ذكرنا كما يشير اليه قوله من انس العاجل ، والانس لا يكون الابتجلي المطلوب ووصاله ، و كذا قوله : خلا برية ، و كذا قوله : وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب اليه بالقلب ، والسر و الروح وليس في غير ما ذكرنا من المعنى هذه الخاصة فان التقرب بالسر والروح ، لا يكون إلا بما ذكرنا ، و ان كان ظاهر قوله : ممن كان قلبه متعلقا في صلوه بشىء دون الله ، فهو قريب بذلك الشىء اهـ ، ان المراد حضور القلب الذى يلزم في جميع أحوال الصلوة ، من أفعالها وأقوالها ولكن الذى يعطيه حق التأمل ، ان هذا الذى ذكرنا خيراً ، كأنه صيغ لبيان امر عام لجميع اجزاء الصلوة ، و هو الحضور ، و ذلك أيضاً يقتضى ان يكون حال السجود كما ذكرنا ، لان حضور القلب في القيام مثلاً يقتضى الالتفات الى مقام العبودية و الروبوية ، و في الركوع يقتضى الالتفات إلى الغير ، وإلى أن الحول و القوة الحقيقية منفية عنهم ، و الحضور المناسب للسجود ، هو بالفناء عن الكل ، والحضور عند الرب تعالى ، و هذا عين ما ذكرنا من المعنى .

وبالجملة التواري ، والاحتجاب عن الكل بالبدن بهيئة السجود الظاهرية ، و التوارى بالقلب و السر و الروح ، لا يكون إلا بما ذكرنا . هذا ولا يذهب عليك ، ما في الرواية الاخيرة ، من وعد الله لمحبة

الاخلاص ، فضلاً عن المخلصين ، و ان كنت تعجز عن نفس الاخلاص ، فاحذر لاحالة عن التواني من حب الاخلاص ، فتحرم من كرامة تولى الله جل جلاله تدبير امورك ، فتكون في ضلوتك من المستهزئين بنفسك ، و تلحق

بالخاسرين .

ثم ان السجود من افضل الاعمال البدنية وأجابه للنور .
كما روى عن الصادق عليه السلام : وجدت النور في البكاء والسجدة .
وروى أيضاً أنه أقرب حالات العبد إلى الله ، لاسيما إذا كان جايعاً
وباكياً .

ورود فيه فضائل جمّة .

منها أنه سئل جماعة عن رسول الله ﷺ أن يضمن لهم على ربهم الجنة ،
فقال : على ان تعينوني بطول السجود ، قالوا : نعم فضمن لهم الجنة .
و منها ما روى ، أنه قيل للصادق عليه السلام : لم اتخذ الله إبراهيم خليلاً
قال : لكثرة سجوده على الأرض .

وروى أيضاً في الصحيح ، أن العبد اذا صلى ثم سجد سجدة الشكر ،
فتح الرب تعالى الحجاب بين العبد ، وبين الملائكة ، فيقول : يا ملائكتي
أنظروا إلى عبيدي ، أدنى فريضتي ، وأتم عهدي ، ثم سجدي شكر أعلى ما
أنعمت به عليه ، ملائكتي ما ذاله قال : فيقول الملائكة : يا ربنا رحمتك ، ثم
يقول الرب تبارك وتعالى : ثم ماذا ؟ فيقول الملائكة : يا ربنا جنتك ،
فيقول الله تبارك وتعالى : ثم ماذا ؟ فيقول الملائكة كفاية مهماته ، فيقول
الرب ثم ماذا ؟ قال : فلا يبقى من الخير شيء الا قالته الملائكة ، فيقول الله
تبارك وتعالى : ثم ماذا ؟ فيقول الملائكة : يا ربنا لا علم لنا ، قال : فيقول الله
تبارك وتعالى : اشكر له كما شكر لي ، وأقبل إليه واريه وجيبي .

أقول : في هذه الرواية كفاية لمن كان له قلب ، أو ألقى السمع وهو شهيد .
أقول : روى عن أصحاب الائمة من طول السجود ، أمر عظيم هنيئاً لهم ،

ولمن تبعهم .

مثل ما روى عن الكشي أنه وجد في كتاب أبي عبد الله الشاذاني بخطه ، سمعت أبا محمد الفضل بن شاذان يقول : دخلت العراق فرأيت واحدا يعاتب صاحبه ، ويقول له : انت رجل عليك عيال ، تحتاج ان تكسب عليهم ، وما آمن أن يذهب عينك من طول السجود ، قال : فلما أكثر عليه ، قال : أكثر علي ويحك لو ذهب عين احد من طول السجود ، لذهبت عين ابن أبي عمير ، ما نظرتك برجل سجد سجدة الشكر بعد صلوة الفجر ، فما رفع رأسه الا عند الزوال .
وروي أيضاً عنه .

قال : و ذكر أبو القاسم نضر بن الصباح عن الفضل بن شاذان ، قال : دخلت على محمد بن أبي عمير ، وهو ساجد فاطال السجود ، فلما رفع رأسه ، و ذكر له طول سجوده ، قال : كيف لوراية جميل بن دراج ، ثم حدثه إنه دخل علي جميل بن دراج فوجده ساجداً ، فاطال السجود جداً ، فلما رفع رأسه ، قال له محمد بن أبي عمير : أطلت السجود ، فقال : كيف لوراية معروف بن خربوز .
هذا و طول سجود السجّاد ، والكاظم معروف .

أقول : كان لي شيخ جليل عامل عارف كامل قدس الله تربته ، مارايت له نظيراً في المراتب المذكورة ، سئلته عن عمل مجرب يؤثر في اصلاح القلب ، و جلب المعارف ، فقال قدس سره العزيز ، مارايت عملاً مؤثراً في ذلك مثل المداومة على سجدة طويلة في كل يوم و ليلة مرة واحدة ، يقال فيها : لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، بقوله : و هو يرى نفسه مسجونة في سجن الطبيعة ، و مقيدة بقيود الاخلاق الرذيلة ، مقرراً بانك لم تفعل ذلك بي ، ولم تظلمني ، و أنا الذي ظلمت نفسي و اوقعتها في هذا الحال ، و قراءة سورة القدر في ليلة الجمعة ، و في عصرها

مائة مرة ، و كان أصحابه عاملين بذلك ، كل منهم على حسب مجاهدته .
و سمع عن بعضهم ، أنه كان يقوله : ثلاثة آلاف مرة .
و بالجملة هذه السجدة ، و بركاتها معروفة عند العاملين بها ، ولكن
بشرط المداومة و كيف كان سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى السجدة الاولى ،
قال : تأويلها اللهم أنك منها خلقتنا ، يعنى من الأرض ، و تأويل رفع رأسك
و منها ، اخرجتنا ، و السجدة الثانية ، واليهاتعبدنا ، و رفع رأسك ، و منها
تخرجنا تارة اخرى .

أقول : و الذي يفهم من تفسير الامام ، ان النية من رفع الرأس في
السجدة الاولى ، قصد الارتفاع على اعداء الله ، و اعداء أوليائه .

و يمكن الجمع ، بان الأول اشارة الى مطلق الخروج الى الدنيا ، و
الثاني اشارة الى حكمه ، و هو الايمان بالله ، و بأوليائه .

ثم ان السجود من جهة أنه صورة مقام الفناء ، الذي هو أقصى درجات
الاستكانة ، ولذا ناسب أن يوضع فيه اعز الاعضاء على أرفع الأشياء ، ووجب
أن يذكر الله عند مسيحه باسمه الاعلى ، فاذا امى العبد بذلك ، فرق قلبه ،
وطهر لبه برد الفرع على اصله ، و وضع نفسه موضعه ، شملته العناية الربانية
لان عنايته تتسارع الى مواضع الذل ، و مراكز الاضطراب ، و اي ذل اذل من مقام
الفناء ، و أي اضطراب اشد من اضطراب وجه العبودية ، ثم انه اذا اتم سنن
العبودية بالفناء عن نفسه ، ثم الارتفاع بربه ، كبر و سأل ربه مغفرة ذنوبه ،
و تقصيره و قصوره في درجات أحوال الارتفاع ، فانه غامض علماً و عملاً ،
لكونه موافقاً لهوى النفس ، ثم يؤكد ذله بعد الارتفاع بالسجدة الثانية ،
و تسبيح ربه الأعلى بحمده ، فكانه اتم فناءه عن نفسه ، بالفناء عن جميع
آثاره ، فاستحق بذلك أقصى مقامات العبودية ، و مقام الشهود ، و البقاء

الابدی ، فيرفع رأسه ، تأذّياً للقيام بالعبودية ، والبقاء بالله في مقام الشهود ، فيشهد فيه بالتوحيد ، و يقرنه بالشهادة بالرّسالة ، فيصلي على النّبي وآله ، شكر النعمة هدايتهم بذلك المقام الاسنى ، أو يقصد بها التحية بحضور مجلس الحضرة ، فيخصّ بها مقرّبي ملك الحضرة .

ثمّ يفهم للرّكعة الثّانية ، ويزيد فيها القنوت بعد السّورة ، و يطيل فيه جدّاً ، ويختار من الدّعوات الواردة فيه ، وفي غيره الزّما وأجلّها ، وما يؤثّر في رقة القلب ، ويراعي في ذلك شرايط الدّعاء ما يمكنه ، فمن اطال قنوته ، وأحسن دعائه فيه ، فقد احرز حظّه من كل السّعادات ، فإنّ الدّعاء من اوسع أبواب الرّحمة ، وهو طريق مستقلّ قبال طرق الخير كلّها إلى جميع السّعادات ، وأنا اخترت لقنوت الصّبح والمغرب دعوات من ادعية ائمتنا عليهم السلام ، و لو في غير القنوت ، ولا بأس به .

وإذا جلست للتّشهد بعد هذه الافعال الدّقيقة ، والاسرار العميقة المشتملة على الاخطار الجسيمة ، فاستشعر الخوف التّام ، و الرّهبة والحياء ، والوجل ، من ان يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه ، فاجعل يدك صفراً من فوايدها ، إلّا أن يتدارك الله برحمته ، و يقبل عملك النّاقص بفضله ، و أرجع إلى مبدء الامر ، وأصل الدّين ، واستمسك بكلمة التّوحيد ، وحصن الله الذي من دخله كان امناً ، ان لم يكن حصل في يدك غيره ، و اشدّ له بالوحدانية ، و احضر رسوله الكريم ، و نبيه العظيم بيالك ، و اهدله بالعبودية ، و الرّسالة ، وصلّ عليه وهلى اله مجدّداً عهد الله باعادة كلمتي الشهادة ، متعرّضاً بها لتأسيس مراتب العبادة ، فإنّها أوّل الوسائل ، و اساس الفواضل ، مترقباً لاجابته عليه السلام بصلواتك عشراً من صلوته ، إذا قسمت بحقيقة صلاتك عليه ، التي لو وصل إليك واحد منها ، افلحت أبداً .

وفي مصباح الشريعة ، التّشهاد ثناء على الله ، فكان عبداً لله في السرّ ، خاضعاً له في الفعل ، كما أنّك عبد له في القول ، والدّعوى ، وأوصل صدق لسانك بصفا صدره سرّاً ، فإنّه خلقك عبداً ، وأمرّك ان تعبد به بقلبك ، و لسانك و جوارحك ، وأنّ تحقّق عبوديتك له ، بربوبيّته ، وتعلم أنّ نواصي الخلق بيده ، فليس لهم نفس ؛ ولا لحظة إلّا بقدرته ؛ ومشيتّه ، وأنهم عاجزون عن اتیان اقل شيء في مملكته ، إلّا بإذنه وأرادته .

أقول : ولا تغفل عمّا في هذه الكلمات الشريفة من الاشارات ، لاسيّما قوله و تحقّق عبوديتك له بربوبيّته ، فإن تحقّق العبوديّة بالربوبية ، إنّما يتمّ بالتفويض الكامل ، والتسليم المطلق من جميع الجهات ، ولا يتحقّق ذلك إلّا بأن يعلم العبد ان لافس ، ولالْحظة إلّا بقدرته ، ومشيتّه و إذا علم ذلك ، واعتقد به اعتقاداً مباشراً لقلبه ، وعلماً صادقاً مؤثراً في أفعاله وأعماله ، لا يرى في الوجود مؤثراً إلّا الله ، ولا في الكون فاعلاً غيرّه ، وحينئذ ينقطع إلى ربّه ، ويفتح طمعه عن النّاس ، وعن حوله وقوّته ، فيتّمسّك له التّوحيد العلمي ، فيكون في شهادته بالتّوحيد ، صادقاً وأما من لا يرى الخير إلّا في المال مثلاً ولا يرى معطياً ، ولا مانعاً إلّا النّاس ، فهو مضادّ لتّوحيد الله ، و منافق في شهادته بأن لا اله إلّا الله ، والله يشهد انّ المنافقين لكاذبون ، فإنّ الله و أنا اليمرا بعموم مصيبة عظم رزئها ، وجلّ عقابها .

أقول : و من هذا الباب .

ما روى عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنّه لا يجد عبد طعم الايمان ، حتّى يعلم أنّ الضار والنّافع هو الله ، و مثل هذا العبد لا يكون بمافي يده اوثق منه بما عند الله ، و يسموّى عنده الوجود والعدم ، و الغنى والفقر ، وأما من يرى الاسباب ، ولم ير مسبب الاسباب ، ولا يطمئنّ على ضمان الله ، فهو حقيق

بان بعد عابداً لها ، لآله اللهم إلا ان يكون إيمانه اعتقاداً جازماً ، ويكون
عدم تأثير إيمانه في عمله من جهة مرض قلبه ، وضعفه ، و استيلاء الجبن عليه ،
و انزعاجه بسبب الاوهام الغالبة عليه ، فان القلب قد ينزعج تبعاً للوهم ، و
طاعة له من غير نقصان في الاعتقاد ، كانز عليه من ان يبيت مع ميت في بيت ،
أو في قبر مع قطعه بان الميت مثل ساير الجمادات ، لا يقدر على شيء هذا ،
ولا تفعل مما اشير اليه في امر الصلوة ، و هي امور : منها ان صلواتك للنبي
ﷺ من قبيل صلواتك لله ، كما يفهم ذلك ، من قوله : أوصل - اه .

و هذا كذلك ، لان الصلوة خدمة ، و عبودية ، و ميل و رغبة من العبد
إلى الله ، و ذلك بالنسبة إلى الله ، انما هو بالصلوة ، و هكذا صلوة النبي
ﷺ خدمة ، و تواضع ، و ميل و رغبة الى حضرة رسول الله ﷺ ، و صورة
ذلك كله واحدة ، انما هو بالصلوة المسنونة له من الله .

و منها لزوم و صل صلواته بصلوة الله ، و طاعته بطاعته ، لأنه بعد الله
جل جلاله ولي نعم الله على عباده و واسطة فيضه الاقدس ، و خليفة الله ، و
جنب الله و بابه ، و وجهه الذي يتوجه إليه الاولياء ، و بعده خلفائه المعصومون :
أمير المؤمنين ، و الاحد عشر من اولاده .

و منها ان في معرفة حرمة بركات ، و فوائد ، و ان من لم يعرفه فانه
فوائد صلواته ، فان معرفتهم ﷺ من مهمات الأمور .

و قدروى في ذلك اخبار جلية ، فارجع إلى ما روى في معرفتهم بالنورانية ،
بل صح قول من قال : ان الخير كله في كمال معرفتهم لانه لاسبيل الى
معرفة كنه الذات عز وجل فالمرقة الممكنة في حقنا التي هي اسعد السعادات ،
و أفضل مقامات الدين كلها ، بل لافضيلة مثلها انما هي معرفة الاسماء ، و
هم اسماء الله الحسنى ، بل الاسم الاعظم ليس إلا حقيقتهم ، فمن عرف حقيقتهم

بالمعرفة الشخصية ، فقد فازونال ، ولم ذلك : ان المعرفة اتما هي بالوصول إلى المعروف ، و القرب منه ، وهذا هو المقصد الاسنى والكرامة العظمى ، التي لامر تقي فوقها ، لافى الدنيا ، ولا في الآخرة .

ثم ان في فضيلة صلواته صلى الله عليه وآله ، وردت أخبار متواترة ، ويكفى منها خبر واحد مستفيض ، و هو انه صلى الله عليه وآله و عدلن صلى عليه واحداً أن يصلي عليه عشرأ ، بل في رواية الكافي ، باسناده عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : إذا ذكر النبي صلى الله عليه وآله فأكثرُوا الصلوة عليه ، فانه من صلى على النبي صلوة واحدة ، صلى الله عليه الف صلوة ، في الف صف من الملائكة ، ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على العبد ، لصلوة الله عليه ، و صلوة ملائكته ، فمن لم يرغب في هذا ، فهو جاهل مغرور ، فقد بره الله منه ، و رسوله ، و أهل بيته . و روى فيه في حديث ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله من ذكرت عنده ، فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله .

أقول : من كان مصلياً على رسول الله صلى الله عليه وآله ، ويسلم لأهالة ، يراقب ان لا يضاد في ذلك بعمله ، فان روح الصلوة التحية والاكرام ، و روح السلام ما يحكى لك في مصباح الشريعة ، و هذان المعنيان اتما يخالفان بالأيذاء و الشقاق ، و إذا صليت عليه وآله ، و سلمت بلسانك فراقب ، ان لا تؤذيه بعملك ، فيخالف قولك في لسانك ، لعملك بلسانك ، و غيره من جوارحك ، فان الأخبار و ردت بعرض اممالك على رسول الله صلى الله عليه وآله والائمة عليهم السلام ، فما ظنك بهم ، إذا رآوا منك القبايح والمعصية ، و إذا رآوا في عملك الظلم على شيعتهم ، و عترتهم ، أما يؤذيه ذلك ؟ وليس مضاداً أو مخالفاً مع الصلوة والسلام عليهم ، و إذا كان لسانك مخالفاً لعملك ، و قلبك ، كان نفاقاً تستجير من ذلك إلى الله . و قد حكى من بعض أهل المراقبة : انه كان يدعو لجماعة من اخوانه

المؤمنين مدّة ، و اتفق له أنّه مات ابوه فورث منه مالا ، قال : أما كنت
اواسي أخواني بالدعاء بالنعم الباقية : كيف ابخل عنهم من عروض الدنيا
الغانية ، فقس ارثه من أبيه بين من كان يدعولهم .

أقول : من يحسد اخاه ببعض زخارف هذه الدنيا ، كيف يمكن له
ان يرفب ان يعطيه الله كرامات عوالم الآخرة ، و من لا يقدر ان يرى في أخيه
شيئاً من النعم الخسيسة ، كيف يشاق الى ان يصل إليه النعم الجليلة الفاخرة ؟
وهل يكون هذا إلا خلفا ، والذي يترأى من بذل الناس الدعاء بالجنة و
بخلهم وحسدكم في غير ذلك ، إمّا من جهة عدم اعتقاده في تأثير دعائهم ، وإمّا
من جهة عدم اطمينانهم بوجود النعم الآخروية .

وكيف كان في مصباح الشريعة : معنى التسليم في دبر كلّ صلوة
معني الامان ، اي من اتى بأمر الله تعالى ، و سنة نبيه خاضعاً له ، و خاشعاً
فيه ، فله الامان من بلاء الدنيا ، والبراءة من عذاب الآخرة ، و السلام اسم
من اسماء الله تعالى ، أودعه خلقه ليستعملوا معناه في المعاملات ، والأمانات ،
والألفاقات ، و تصديق مصاحبتهم ومجالستهم فيما بينهم ، وصحة معاشرهم ،
فأن اردت أن تضع السلام موضعه ، و تؤدّي معناه ، فاتق الله و ليسلم منك
دينك ، و قلبك و عقلك ، لا تدنسها بظلم المعاصي ، و لتسلم منك حفظتك ،
لا تبرمهم ، ولا تملهم ، ولا توحشهم منك بسوء معاملتك معهم ، ثم مع صديقك ،
ثم مع عدوك ، فإن لم يسلم منه من هو أقرب اليه ، فالأبعد أولى ، ومن
لا يضع السلام موضعه هذا ، فلا سلام ولا تسليم ، وكان كاذباً في سلامه ، وان
افشاء في خلقه .

أقول : تظن يا عاقل من هذه الكلمات بحكم تسليمك على الناس ،
و قلبك لا يجب له سلامة جميع النعم ، او بعضها ، هل هذا الاتفاق ؟ وهل

للمسلم ان يتوقع مثل هذا السلام ، ما اعد الله للمسلم من الكرامات ، و
هكذا تقول في لسانك : السلام عليك ورحمة الله وبركاته ، وتؤذيه بعملك وفعلك
فتفتن من ذلك على موقع سلامك لنبيك ، واثمتك ^{عليك} في صلواتك ، او
في زيارتك ، فان من ظلم الناس وشيعتهم وفرقتهم ، واخذ منهم مالا ، و
زارهم ^{عليه} بذلك المال ، لاسيما اذا كان ملبساً بعين هذا المال ، عند التسليم ،
او بوقت اداء التسليم ، فما حكم سلامه ، لاسيما اذا كان مع مخالفتة في
الباطن ، مخالفاً لرضاء في الزّي والهيئة أيضاً ، بأن يكون لبس لباس اعدائه ،
ومتشبهه باعدائه في اللباس والهيئة ، وروج بذلك اعداء الدين ، وخلاف
احكام الله ، فهل سلامه في هذا الحال سلام وحمية ، او هو مستهزى بنفسه ؟
بل يمكن ان يكون بعض هذه التسليمات ، والزّيارات بمثابة السّهام على
قلوبهم الزّكية ، و العياذ بالله ، واللّجاء اليه من امثال هذه الفضايح في
الزّيارات ، التي هي من افضل القربات ، قل : هل نفيتكم بالاخسرين اعمالا ،
الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا ، وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا .
هذا ولا تنفع في تشهّدك بقدر الواجب تبعاً للمعارف ، و اعمل فيه
لا محالة بعض فقرات التشهّد الكبير ، وكذا لا تدع في سلامك التسليم على
الائمة ، بما ورد ، وعلى الانبياء والملائكة ، فان تبعية السلف صاروا اعضاء
لا ينجو منها الا الواحدي ، واتسع مجراها حتّى في العبادات ، والقربات ،
مثلا ارى الشيعة مولعين لذكر الشهادة بالولاية في اذانهم ، مع اعتقادهم
انه لم يرد به رواية ، وان كان هذا الاعتقاد باطلا ، ويتركون السلام على
الائمة في صلواتهم ، مع اعتقادهم باستحبابه ، وهل هذا الا من جهة التعارف ،
وعدمه .

هذا وقد ازمني بعد ماسطرت هذه الجملة ، ان اذكر ما ورد في هذا

المعنى من الرّوايات ، في تفسير الامام عليه السلام قال إذا توجه المؤمن في مصلاه ليصلي ، قال الله عز وجل "ملاء كتبه : يا ملائكتي اماترون الى عبدي هذا ، قد انقطع عن جميع الخلايق إلي" ، وامل رحمتي وجودي وراقتي ، اشهدكم اني اخصه برحمتي ، وكراماتي ، واذافع يده ، وقال : الله اكبر ، اثنى على الله ، قال الله ملاء كتبه : يا عبادي اما ترونه كيف كبرني ، وعظمني ، ونزّهني عن ان يكون لي شريك ، او شبيه ، او نظير ، ورفع يده ، وبرء مما يقوله اعدائي : من الاشركه باني ؟ اشهدكم اني ساكبره ، واعظمه في دارجلالي ، وأزهره في تنزهات داركرامتي ، وأبرئه من آثامه ومن ذنوبه ، ومن عذاب جهنم ومن نيرانها ، وإذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقرء فاتحة الكتاب وسورة ، قال الله ملاء كتبه : اماترون عبدي ؟ كيف ملئت ذبقرائة كلامي أشهدكم ملاء كتي ، لا قولن له يوم القيمة أقرء في جنائي ، وارق درجاتي ، ولايزال يقرء ويرقى بعدد كل حرف درجة من ذهب ، ودرجة من فضة ، ودرجة من لؤلؤ ، ودرجة من جوهر ، ودرجة من زبرجد اخضر ، ودرجة من زمرّد اخضر ، ودرجة من نور رب العزة ، فاذا ركع قال الله تعالى ملاء كتبه ، يا ملاء كتي كيف تواضع لجلال عظمتي ؟ أشهدكم لاعظمته في دار كبريائي وجلالي ، فاذا رفع رأسه من الرّكوع ، قال الله تعالى ملاء كتبه : يا ملاء كتي اماترون كيف يقول ؟ ارفع من أعدائك كما اتواضع لأوليائك ، وأنتصب لخدمتك ، اشهدكم ياملاء كتي لأجعلن جميل العاقبة له ، ولاسيّرتّه إلى جنائي ، فاذا سجد قال الله تعالى ملاء كتبه : ياملاء كتي اماترون كيف تواضع بعد ارتفاعه ، وقال اني ، وان كنت جليلا مكيّنًا في دنياك ، فانا ذليل عند الحق إذا ظهر لي ، سوف ارفعه ، و مادفع به الباطل ، فاذا رفع رأسه من السجدة الاولى ، قال الله تعالى ياملاء كتي اما ترونه كيف قال : اني و

ان تواضعت لك فسوف اخلط الاتصاف في طاعتك بالذل بين يديك ، فاذا سجد ثانية ، قال الله تعالى لملاء كته : أما ترون عبيدي ؟ هذا كيف اعاد التواضع ، لمي لاعيدن اليه رحمتي ، فاذا رفع رأسه قائماً ، قال الله تعالى : يا ملاء كتي لارفعنه بتواضعه ، كما ارتفع إلي صلوته ، ثم لا يزال يقول الله تعالى لملاء كته هكذا في كل ركعة ، حتى إذا قعد في التشهد الاول ، والتشهد الثاني ، قال الله تعالى : يا ملاء كتي ، قد قضى خدمتي وعبادتي ، وقعدتيني على و يصلي علي محمد نبيي ، لأثنين عليه في ملكوت السموات و الارض ، و لاصليين على روحه في الارواح ، فاذا صلى على أمير المؤمنين في صلوته ، قال الله : يا عبيد لاصليين عليك ، كما صليت عليه ، ولا جعلته شفيك ، كما استشفعت به ، فاذا سلم من صلوته ، سلم الله عليه وملاء كته .

أقول : سبحان هذا الرب الودود ، العطوف الرحيم الرؤف ، و سبحانه من كريم ما العطفه ، و من لطيف ما أكرمه .

و منها ما في كتاب اللثالي ، فقد روى انه سئل ما الحكمة في انه جعل للصلوات الاذان ، و لم يكن لساير العبادات إذان ولا اقامة ؟ قال عليه السلام : لان الصلوة شبيهة بأحوال يوم القيمة ، لان الاذان شبيه بالنفخة الاولى لموت الخلائق ، و الاقامة شبيه بالنفخة الثانية ، كما قال الله تعالى : واستمع يوم ينادى المنادى من مكان قريب و القيام إلى الصلوة شبيه بقيام الخلائق ، كما قال الله .

يوم يقوم الناس لرب العالمين ، و رفع الايدي والتكبيره الاولى شبيه برفع الايدي لأخذ الكتاب يوم القيمة ، و قراءة الكتب بين يدي رب العالمين .

كما قال تعالى :

اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً ، والرَّكُوعُ شبيه بخضوع
الخلايق لربِّ العالمين ، كما قال تعالى :
وعزت الوجوه للحَيِّ القيُّوم ، والسُّجُودُ شبيه بالسُّجُود لربِّ العالمين ،
كما قال عزَّ ذكره .

يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السُّجُود ، والتَّشَهُّدُ شبيه بالجلوس
يدى ربِّ العالمين ، كما قال تعالى :

فريق فى الجنة وفريق فى السعير.

ومنها ما فى اخبار المراجع ، من كون كَيْفِيَّةَ معراجِهِ ﷺ منطبقاً
مع كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ ، من الاذان ، والوضوء إلى آخر الصَّلَاةِ ، وفيما رَوَاهُ فِي
الكافي ، بعد ذكر تشريع الاذان والاقامة باجزائهما إلى السماء الرابعة ،
ثم قيل لي : ارفع رأسك يا محمد ، فرفعت رأسي ، فإذا اطباق السماء قد خرقت ،
و الحجب قد رفعت ، ثم قال لي : طأطأ رأسك أنظر ماذا ترى ؟ فطأطأت رأسي
فنظرت إلى بيت مثل بيتكم هذا ، وحرم مثل حرم هذا البيت ، لوالقيت
شيئاً من يدي لم يقع الاعليه ، فقيل : يا محمد هذا الحرم ، وانت الحرام ، ولكل
مثل مثال ، ثم أوحى الله اليّ : يا محمد ادن من صاد ، واغسل مساجدك وطهرها ،
وصل لربك ، فدنى رسول الله ﷺ من صاد ، وهو ماء يسيل من ساق العرش
اليمن ، فتلقى رسول الله ﷺ الماء بيده اليمنى ، ومن أجل ذلك صار الوضوء باليمين ،
ثم أوحى الله اليه ان اغسل وجهك ، فانك تنظر الى عظمتي ، ثم اغسل
ذراعيك اليمنى واليسرى ، فانك تلقى بينك كلامي ، ثم امسح رأسك بفضل
ما بقى في يدك من الماء ، ورجليك إلى كعبك ، فانني ابارك عليك و اوطئك
موطئاً لم يطأه احد غيرك ، فهذا علّة الاذان والوضوء ، ثم أوحى الله تعالى
إليه : يا محمد استقبل الحجر الاسود ، وكبّر على عدد حجبي ، فمن أجل ذلك

صار التكبير سبعاً ، لان الحجب سبع فافتتح عند افتتاح الحجب ، فمن أجل ذلك صار الافتتاح ستة ، والحجب متطابقة بينهما بحار النور ، وذلك النور الذي أنزله الله تعالى على محمد ﷺ فمن أجل ذلك صار الافتتاح ثلث مرات ، لافتتاح الحجب ثلاث مرات ، فصار التكبير سبعاً ، والافتتاح ثلاثاً ، فلما فرغ من التكبير والافتتاح ، اوحى الله إليه سم باسمي ، فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم في أول السورة ، ثم اوحى الله إليه ان أحمدي ، فلما قال : الحمد لله رب العالمين ، قال النبي في نفسه شكراً ، فاوحى الله إليه : قطعت ذكرى ، فسم باسمي فمن أجل ذلك جعل في الحمد لله الرحمن الرحيم مرتين فلما بلغ والاضأتين ، قال : الحمد لله رب العالمين شكراً ، فاوحى الله إليه قطعت ذكرى ، فسم باسمي ، فمن أجل ذلك جعل بسم الله الرحمن الرحيم ، ثم اوحى الله إليه ان اقرأ يا محمد ، لن الله تعالى هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً احد ، ثم امسك عنه ، فقال رسول الله ﷺ : كذلك الله ربّي ، كذلك الله ربنا ، فلما قال : ذلك اوحى الله إليه اركع لربك يا محمد ﷺ ، فركع فاوحى الله إليه وهو اركع ، قل : سبحان ربّي العظيم و بحمده ، ففعل ذلك ثلثاً ، ثم اوحى الله إليه ان ارفع رأسك يا محمد ﷺ ، ففعل رسول الله ﷺ ، وقام منتصباً ، فاوحى الله عز وجل إليه ، ان اسجد لربك يا محمد ، فخر رسول الله ﷺ ساجداً ، فاوحى الله عز وجل إليه ، قل سبحان ربّي الأعلى و بحمده ، يفعل ذلك ثلاثاً ، ثم اوحى الله إليه استوجالساً يا محمد ، ففعل ، فلما رفع رأسه من السجود ، واستوى جالساً نظر إلى عظمته تجلّت له ، فخر ساجداً من تلقاء نفسه ، لا لامر امر به ، فسبح ايضاً ثلاثاً ، ثم اوحى الله إليه ارفع رأسك ، انتصب قائماً ففعل فلم ير ما كان من العظمة إلى ان قال بعد الركعة الثانية : ارفع رأسك يا محمد ثبتك

ربك ، فلما ذهب ليقوم ، قيل : اجلس ، فجلس ، فأوحى الله إليه : يا محمد إذا ما انعمت عليك ، فسم باسمي ، فالهم بان قال : بسم الله ، والله ، ولا إله إلا الله ، والأسماء الحسنی كلها لله تعالى ، ثم أوحى الله إليه ، يا محمد صل على نفسك ، وعلى أهل بيتك ، فقال : صلى الله على وعلى أهل بيتي ، ثم التفت ، فإذا بصوف من الملكة والمرسلين ، فقيل : يا محمد سلم عليهم ، فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فأوحى الله إليه : انما السلم والتحية ، والرحمة والبركات لك ولذريتك .

أقول ، كفي بهذه الأخبار للعاقل في الاطمینان ، بان تنشرح الصلوة انما هو لامر عظيم ، وهو حقيقة معراج المؤمن ، و مطابق لاحوال يوم القيمة ، بل مطابق لاجوال المبدء .

كما بدد كم تعودون ، وإذا عرف العبد ذلك ، فله ان يعظم امرها غاية جد ، ويتشمر في تكميلها بكل ميسوره ، ويلتجأ في ذلك إلى الله تعالى حق الالتجاء ، و يقطع بعجزه وقصوره ، وتقصيره واضطراره إلى عنايته : فانه تعالى قادر على ما يشاء من الفضل ، والعذل معه و به ، فان طالبه باستحقاق الصدق و الاخلاص حجب ، ورد صلوته ، وان عطف عليه بفضله ورحمته قبل منه عمله ، و ان كان قليلا ناقصا ، واجزل عليه ثوابا عظيما ، وان علم الله من قلبه صدق الالتجاء اكرمه ، بتوفيقه وتأييده ، واعانه في توفية مراده ، فانه كريم يحب الكرامة لعباده المضطربين إليه ، المحترفين إلى بابه ، وقد قال في كتابه :

أمن بجيب المضطرب إذا دعاه .

فصل في التعقيب وهو من المهمات ، و من مكملات الصلوة ، وقد ورد فيه اشياء كثيرة ، من القرآن والاذكار ، والادعية والصلوة ، وقد تعرض لجمعها جماعة من علمائنا ، وتصانيفهم في ذلك كثيرة معمولة ، ولكنني انتخبت

من ذلك بعضها لأهل العلم ، الذين أوقاتهم مشغولة للعلم ، افادة واستفادة ، بعضها واردة بخصوص التعقيب ، و بعضها لاختصاصيتها بذلك .

منها : الصلوات بعد التكبيرات الثلاث ، وصورتها : اللهم صل على محمد وآل محمد ، حتى لا يبقى من صلواتك شيء ، وارحم على محمد وآل محمد ، حتى لا يبقى من رحمتك شيء ، وبارك على محمد وآل محمد ، حتى لا يبقى من البركات شيء . وسلم على محمد وآل محمد ، حتى لا يبقى من السلام شيء .

والدعاء على حجة الله ، امام المؤمنين جعل الله تعالى فرجه وحورته : وعجل لوليكت الفرج ، وارثا فيه ، وفي اهل بيته ، وشعبته ، ورعيته ، وعامتة ، وخاصته ، ما يأمل ، وفي اعدائه ما يحذر .

واتبعته بدعاء شيخى والدي ، وجماعة من خاصتي من الارحام واخوان الصفا ، ومهوم المؤمنين .

ثم بماورد عن الباقر عليه السلام : اللهم اني اسالك من كل خير احاط به علمك ، و اعوذ بك من كل سوء احاط به علمك ، اللهم اني اسالك عافيتك في اموري كلها ، و اعوذ بك من خزي الدنيا وعذاب الآخرة .

واتبعته بماورد من قولهم : اللهم اني اسالك الجنة ، والحدود العين ، برحمتك يا ارحم الراحمين .

فاتبعته بماورد : اللهم اهدني من عندك ، وافض علي من فضلك ، وانشر علي من رحمتك ، وانزل علي من بركاتك ، وكرمه ثلاثاً .

ثم تسبيح الزهراء عليها السلام ، والاخبار الواردة في فضله كثيرة ، لا بأس بالاشارة إلى خبر واحد ، وهو ما روى عن الصادق عليه السلام قال : تسبيح فاطمة في كل يوم ، في دبر كل صلوة ، احب الى الله من صلوة الف ركعة في كل يوم . واتبعته بقراءة الفاتحة ، وآية الكرسي ، وآية شهادته ، وآية الملك إلى

قوله بغير حساب ، فمن النبي ﷺ أنه قال : لما أراد الله أن ينزل فاتحة الكتاب ، وآية الكرسي ، وشهد الله ، وقل اللهم مالك الملك إلى قوله بغير حساب ، تدلّ على العرش ، ليس بينهم وبين الله حجاب ، فقلن يا رب تهبطنا إلى دار الذنوب ، وإلى من يعصيك ، ونحن متعلقات بالطهور والقدس ، فقال سبحانه : وعزّتي وجلالي ما من عبد قهره كنّ في دبر كل صلوة إلا أسكنته حظيرة القدس ، على ما كان فيه ، وإلا نظرت إليه بعيني المكنونة في كل يوم سبعين مرة ، وإلا قضيت له في كل يوم سبعين حاجة ، أدناها المغفرة ، وإلا أعذته من كل عدو ، ونصرته عليه ، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا الموت .

ثم اتبعها بقول : سبحان الله كلما سبح الله شيء وكما يجب الله أن يسبح ، وكما هو أهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، والحمد لله كلما حمد الله شيء ، وكما يجب الله أن يحمد ، وكما هو أهله ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، ولا إله إلا الله كلما هلل الله شيء ، وكما يجب الله أن يهلل ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، والله أكبر كلما كبر الله شيء ، وكما يجب الله أن يكبر ، وكما ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، على كل نعمة أنعم بها عليّ ، وعلى كل أحد ممن كان أو يكون إلى يوم القيمة ، اللهم انني أسألك أن تصلي على محمد وآل محمد ، وأسألك خيرا ما أرجو ، وخيرا ما لا أرجو ، وأعوذ بك من شرّ ما أحذر ومن شرّ ما لا أحذر .

و اتبعته بقرائة سورة التوحيد ، ثلث مرات ، هدية إلى صاحب الزمان عليه السلام .

و اتبعها بقول اللهم عرفني نفسك ، فاتك أن لم تعرفني نفسك لم

اعرف رسولك ، اللهم عرفني رسولك ، فانك ان لم تعرفني رسولك لم اعرف
حجتك ، اللهم عرفني حجتك ، فانك ان لم تعرفني حجتك ضللت عن
ديني .

وهذا التفصيل اخترته من جملة ما ورد خصوصاً وعموماً لتعقيب الصلوات
الخمس ، و قدوردت في الاخبار لها فضل عظيم ، طوبى لمن تفصيلها للاختصار .
ولكن لصلوة الصبح زيادة في المروي ، والمختار .
وهو دعاء العهد ، وعشر مرات اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ،
الها واحداً واحداً فرداً صمداً ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً .
وعشر مرات ، اللهم ما اصبحت لي من نعمة او عافية في دين اودنيا ،
فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ، ولك الشكر بها على يارب حتى ترضى ،
وبعد الرضا .

واثنى عشر مرات ، سورة التوحيد ، وسبع مرات بسم الله الرحمن
الرحيم ، لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، وابتدء كل يوم بين يدي
عجلتي و نسياني بسم الله و بالله ، ماشاء الله لا قوة الا بالله .
وعشر مرات سبحان الله العظيم و بحمده ، لاحول ولا قوة الا بالله .
وثلاث مرات ، سبحان الله الميزان ، و انتهى العلم ، ومبلغ الرضا ،
وزنة العرش .

وثلاث مرات اللهم انت ربي لا شريك لك ، اصبحنا واصبح الملك لله
سبحان الله و بحمده ، و سبحان الله العظيم ، و استغفر الله الذي لا اله الا هو
الحق القيوم ، ذو الجلال والاكرام ، واسئله ان يصلي على محمد وآل محمد ، وان
يتوب على توبة عبد ذليل خائف فقير ، بائس مسكين مستكين مستجير ، لا يملك
لنفسه نفعا ، ولا ضرراً ، ولا موتاً ، ولا حياً ولا نشوراً .

واستغفر الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ، بديع السموات والأرض
من جميع جرمي وظلمي ، وأسراني دنلي نفسي وأتوب إليه .
و سبعون مرة ، استغفر الله ربي ، وأتوب إليه .
و عشر مرات أعوذ بالله السميع العليم ، من همزات الشياطين ، و
أعوذ بك رب أن يحضرون ، أن الله هو السميع العليم .
و مائة مرة ، لا إله إلا الله ، وازيد عليها عشرأ .
واتبعنها بدعاء الصباح المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام .
و هذه كلها في الادعية ، والأذكار .
و أفضل منها التفتكر ، لاسيما بعد صلوة الصبح ، والمغرب ، وهو على
وجوه .

منها الفكر في محاسبة النفس ، فيما سبق من تقصيراته ، و ترتيب
وظايف يومه الحاضر ، والتدبير لدفع الصوارف ، والعوايق الشاغلة عن الخير ،
واحضار النيات الصالحة في أعمال يومه ، في نفسه ، و معاملته للمسلمين ، و
التفكر في نعم الله ، وآلائه الظاهرة ، والباطنة ، لتزيد معرفته بها ، و شكره
عليها وفي عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الله ، وخوفه من التعرض
لموجباتها ، و الفكر في الموت على التفصيل الذي اشير إليه في محله ، او معرفة
النفس ، و اسرار الكون ، و في صفات الله و اسمائه ، ان كان من اهل هذا
التفكر ، و ان التفكر في هذه الأمور له شعب كثيرة ، و لكل أهل
مخصوص به .

وفي الخبر تفكر ساعة خير من عبادة سنة .

وفيه خير من عبادة سبعين سنة ، و لعل اختلاف المثوبة من جهة اختلاف
انواعه ، والسر في كونه خيراً من العبادة بالأعمال ، ان فيه معنى الذكّر ، و

حقيقته مع زيادة أمرين أعظمين وهما زيادة المعرفة والمحبة إذ الفكر مفتاح المعرفة وهو سبب انكشاف المعروف وشهوده ، وهو موجب للمحبة إذ لا يحب القلب إلا من يعتقد جماله وجلاله ، وخيره ، ولا يمكن ذلك إلا بمعرفة صفاته الجميلة والجليلة ، ومفتاحها الفكر ، والذكر أيضا يورث المحبة ، ولكن فرق ما بين الحبين فرق الخبر والعيان فإن الفكر مفتاح الكشف والشهود ، ولا يتأتى من الذكر ذلك ، وإن كان يورث حب الأس بكثرة الذكر وعن المهمات بعد التعقيب ، سجدة الشكر لتوفيق أداء الصلوة ، وورد فيها من الفضل العظيم ماضى .

ومن المهمات أيضاً النوافل ، وبها يتم ما نقص في الفرض من الاقبال ، وقد ورد فيها تأكيد شديد ، وينبغى أن لا يتركها ، ولو كان باقلاً ما يجب من الاجزاء ولو كان في حال المشى إلى الحوائج ، ووقت نوافل الظهريين تمام اليوم على الأقوى .

و بالجملة ورد الحث الأكيد للنوافل حتى عبر في بعضها عن تركها بالمعصية ، وفي بعضها فعلها من علائم الشيعة ، وللعبد المراقب طراسم العبودية في حق النوافل جد عظيم ، لسر لطيف ، وهوان أداء الحقوق الواجبة من جهة أن في تركها عقاباً كأنه طاعة إجبارية ، وأداء النوافل كأنه طاعة اختيارية ، وهي في نظر المراقب أهم من هذه الجهة بل المواظبة ، والاحتتام على النوافل يكشف عن كمال نية العبد في الواجبات أيضاً ، فكان المواظبة على النوافل ليشهد حاله بأنه أتم مقصد بأداء الواجبات امتثال الأمر ، ووجه الرب تعالى ، ولم يفعلها بمجرد خوف العقوبة .

و من النوافل المؤكدة ، صلوة الليل ، وما أدركك ماضية الليل ، و هي نور من الظلمة ، و انس من الوحشة ، و خلوة من الكثرة .

وعن الصادق عليه السلام انه امر ضات للرّب ، وحبّ الملائكة ، و سنة الانبياء ، ونور المعرفة ، واصل الايمان ، وراحة الابدان ، وكرهه الشيطان و سلاح على الاعداء واجابة الدعاء وقبول الاعمال ، وبركة في الرزق ، وشفيع بين صاحبها و بين ملك الموت ، وسراج في قبره ، وفراش تحت جنبه ، وجواب على منكرو تكبير ، ومونس وزاير في قبره الى يوم القيمة ، واذا كان يوم القيامة كان ظلا فوقه ، و تاجاً على رأسه ، ولباساً على بدنه ، ونوراً يسمى بين يديه . وستراً بينه وبين النار ، و حجة بينه وبين الله تعالى ، وثقلاً في الميزان ، وجوازاً على الصراط ، ومفتاحاً الجنة .

وفي رواية ان الله تعالى اوحى الى بعض الصّديقين ، ان لي عباداً من عبادي يحبوني ، فاحبهم ، و يشتاقون اليّ فاشتاق اليهم ، و يذكروني و اذكّرهم ، وينظرون اليّ ، وأنظر اليهم ، فان حدوث طريقتهم احببتك ، وان عدلت عنهم مقتك ، قال : يارب وما علامتهم ؟ قال : يراعون الظلال بالنهار ، كما يراعى الراعي الشفيع غنمه ، ويحنّون الى غروب الشمس ، كما يحنّ الطير الى وكره عند الغروب فاذا جنّهم الليل ، واختلط الظلام ، وفرشت الفرش ، ونصبت الاسرة و خلّى كلّ حبيب مع حبيبه ، نصبوا الى اقدامهم ، وفرشوا وجوههم : وناجوني بكلامي ، و تملّقوا اليّ بانعامي ، فبين صارخ وبكاء ، ومتأوّه وشاك ، و بين قائم وقاعد ، وراكع وساجد ، بعيني ما يتحملون من اجلى ، وبسمعى ما يشتكون من حبي ، اول ما اعطيهم ثلاث اقذف من نوري في قلوبهم ، فيخبرون عني ، كما اخبر عنهم ، والثانية لو كانت السموات والارضون و ما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم .

والثالثة اقبل بوجهي اليهم ، افيرى من اقبلت بوجهي عليه ، يعلم احد ما اريدان اعطيه .

و فيها ان البيوت التي يصلي فيها بالليل ، وتلى فيها القرآن ، تضيء
لأهل السماء ، كما تضيء الكواكب لأهل الأرض .

و قال رسول الله ﷺ في وصيته لأمر المؤمنين عليهم السلام : عليك بصلوة
الليل ، و عليك بصلوة الليل ، و عليك بصلوة الليل .

وقال : الأمرن إلى المصلين بالليل ، فاتهم احسن الناس وجوهاً ،
لأنهم صلّوا بالليل لله سبحانه ، فكساهم من نوره .

أقول الأخبار في فضيلتها متواترة ، سوى ما نزل فيها من الآيات .
ولو لم يكن منها إلا قوله تعالى : و من الليل فتهجد به نافلة لك ،
عسى ربك ان يبعثك مقاماً محموداً ، لكفى ، فسبحان الله ما عظم شأنها واجل
خطرها ، حيث جعل جزائها المقام المحمود ، وانا كتنى من ذكر أخبار فضيلتها
بهذه الجملة ، و من اراد التفصيل فليراجع إلى ما فصلتها .

في كتاب السير إلى الله .

وأشير مما ورد في خزي من استخف بها وتركها ، إلى ما رواه في البلد
الأمين من قول الصادق عليه السلام : ليس من شيعتنا من لم يصل صلوة الليل ، و
إلى ما ورد عنه عليه السلام قوله عليه السلام : ابغض الخلق إلى الله جيفة بالليل ، و بطلان
بالنهار .

و ما ورد عن النبي ﷺ قال : و ما نام احدا الليل كله الا بال
الشيطان في اذنه ، وجاء يوم القيمة مقلساً ، و ما من احداً وله ملك يوقظ من
نومه كل ليل مرتين ، يقول : يا عبد الله اقم لتذكر ربك ، ففى الثالثة ان
لم يتنبه يبول الشيطان في اذنه

أقول لا يمكن كافر بهذه الأخبار و امن بها واتى اشهد الله

اتى أعرف من المنتهجين من كان يسمع من يوقظه ، و يناديه وقت

تهجدته في اوائل أمره ، بلفظة آفا .
فيقوم لورده .

و ان كان لك قلب برّ بما استشعرت بساير ماورد في اثراتها ، وبالجمله ان كنت مؤمناً بهذه الفضائل لصلوة اللّيل ، لا تتركها ، ولا تنسيتها قطعاً فانّ الانسان لحبّ الخير لشديد ، أما سمعت قوله في الحديث القدسي : ويحسّنون إلى غروب الشمس ، كما يحسن الطير إلى وكره وقت الغروب ، فانّ من آمن بصلوة اللّيل ببعض هذه الفضائل ، كيف لا يحسن إلى مجيئه وقتها ، اليس هذا الانسان من يبذل في التقرب إلى سلاطين الدّنيا ، و اشرافها ، والخلوة معهم ، ماله وأهله ، بل يتنافس في ذلك يبذل روحه ، و حيوته .

والله تعالى يقول : والمؤمنون اشدّ حبّاً لله ، ولا تصغ الى من يعتذر عن تركها بغلبة النّوم ، و عدم الانتباه ، لانّ هذا العذر مردود بوجوه .
منها قول أمير المؤمنين عليه السلام لمن قال له : إني نمت البارحة من وري ، قال عليه السلام : أنت رجل قيدت ذنوبك .

ومنها انّ النّوم عن مثل هذا الامر العظيم غير ممكن ، غالباً الا ترى هذا الخلق الطّالبين إلى الدّنيا ، لودعي احدى سلطان زمانه الى خلوته في جوف اللّيل ، لا ينام عن وقت دعوته ، بل لا ينام في أوّل الوقت ايضاً ، ويشغل بفكر مجلسه ، وصحبته مع السّلاطان ، و انت إذا تأملت في أحوال نفسك ، تقطع بأنك إذا استيقنت بأنّه يأتيك في جوف اللّيل من يعطيك بالف تومان ، لا تقدر ان تنام من شوقك إلى هذا المال ، و من خوف فوته بنومك .

ومنها انّك قادر لاحالة على أن تنام عند من يوقظك ، إلى ان تعتاد ذلك ، فلست بمعذور ، وبالجمله النّوم عن مثل هذا الخير خزي ، لا يقاس به خزي في الدّنيا أبداً .

والنائمون عن صلاة الليل طوائف : طائفة منهم يشتغلون أول الليل إلى قريب الانتصاف في مجالسهم ، بالخوض فيما لا يعني ، بل الخوض فيما ينهى عنه ، بل الخوض باغتياب المسلمين ، وبل وبل ، وبأكلون ، ويشربون حتى إذا بلغت الحلقوم ، ثم ينامون في انعم فراش ، واروح مكان ، وهذا النائم لا بد أن ينام من صلاة الليل ، لأنه من أول الليل انما هيأ أسباب النوم باختياره ، بل يمكن ان يقال انه لم ينام بعزم الانتباه ، بل ولا برجائه ، لأن زيادة الأكل والشرب ، يسير سبباً لبخاخة المعدة ، وسكر الدماغ ، وذلك موجب لكثرة النوم ، والاستيقاظ في أول الليل من أسباب النوم في آخره ، وهكذا معصية أول الليل من أسباب النوم في آخره ، وهكذا الفراش الناعم ، والمكان المرواح ، يورث زيادة النوم ، وقل الانتباه ، ومثل هذا الشخص إذا اعتذر بعدم الانتباه ، فعذره مردود .

مثله من شرب دواء يزيل عقله في وقت الصلوة ثم اعتذر بأنني لم اعقل وقت الصلوة .

نعم قد ينام من نهيلاً للانتباه بالتخلي من هذه الأسباب ، بل بالتوسل بما ورد في الأخبار في الاستيقاظ ، والانتباه لطفاً من الله اللطيف عليه في سياسته أمر عبوديته ، حفظاً له من العجب ، أو تعريضاً له بزيادة الاجر من كثرة اسف فوت التهجيد ، وفضاء لما فات عنه ، وزيادة ، ولكن الذي يستفاد من الاخبار ، ان ذلك لا يكون إلا قليلاً ، ليلة اوليتين .

أما من نام عنها لمرض ، او لعذر سماوي ، فهو أيضاً على وجهين : أحدهما : من جهة اللطف الالهي كما مر ، فابتلاء بالمرض ، او غيره من الاعذار ، ونومه بهذا الحال ، والابتلاء أفضل عنده من صلاته و تهجده . وقد ورد في الاخبار ان مثل هذا العبد ، يكتب مثل الذي كان يعمل

سابقاً قبل إبتلائه بل ، وفي بعضها أن محرابه ومصلاه ، وأبواب السماء التي كان يرفع منها عمله ، إنما تبكى عليه .

و ثانيهما : من باب الخزي ، والنكال بسبب كثرة ذنوبه التي صارت سبباً لسلب توفيقه .

ثم أن من الناس من اتهم الخبيث من جهة اليمين ، ففرقه بترك التهجد بخصيل إن إشتغاله بالمطالعة في العلوم أفضل ، وربما اشتغل من أوّل الليل إلى آخره ، وقام عن فريضة الصبح متغيلاً إن مطالعته أفضل من صلواته ، والأغلب في ذلك الاعتراض .

لأنّ تحصيل العلوم ، وإن كان أفضل بمراتب من العبادات البدئية ، ولكن له شروط .

منها كونها من العلوم النافعة .

ومنها كون التحصيل على الترتيب الشرعي ، ولا يكون على خلافه كتحصيل العلم الذي وجوبه كفائي ، وترك الذي وجوبه عيني .

مثلاً إذا أمكن للإنسان العلم بالمسائل بطريق التقليد ، والعلم بتركية النفس أيضاً بطريق التقليد ، أو الاجتهاد ، ترك علم تركية النفس رأساً ، و اشتغل بتحصيل المسائل بطريق الاجتهاد ، فإن ذلك غير جائز ، وهكذا إذا فرغ من تحصيل العلوم اللازمة عيناً ، وأراد الاشتغال بالعلوم الواجبة كفاية ، فليكن ما يشتغل به من ذلك أهمها ، فإن اشتغل بغير الأهم ، وترك الأهم ، لاسيما إذا كان ذلك الاختيار من جهة الميل النفساني ، لا يكون ذلك عبادة لله ، و أيضاً قد يشتغل الإنسان بعد ملاحظة هذه الوجوه في الأهم ، وليكن أكثر إشتغاله من مقدّمات هذا الأهم في غير الأهم منها ، بل في غير اللازم تماماً بعد عند العامة من الفضائل .

ومنها كون تحصيلها قربة إلى الله ، وهذا من أشكال الشرايط ، و
أغضاها ، فيها هلك من هلك ، وبالجمله كون تحصيل العلوم مرضياً لله ، وعبادة
خالصة لله لا يوجد في الخارج الا نادراً ، و ظنني انه لا يوجد في مائة الف واحد ،
وكان بعض اخواني المحصلين من الاتقياء ، يقول : انا بعدما امكنتني ان اشرك
الله جلّ جلاله في تحصيلي العلوم ، فضلاً عن ان يكون خالصاً لوجه الكريم ،
ولعمري ان هذا حال اغلب المتقين من المحصلين ، وان لم يشعروا به ، وكيف
لغير المتقين الذين لهم في تحصيل العلوم اغراض فاسدة ، من التمكن و
الاستيلاء بالعلوم على الحكم في الاموال ، والاعراض ، والنفوس بالاهواء ، و
العياذ بالله ، واللجاء إليه من هذه المهالك ، ثم الاغترار ، وخيال ان هذا التحصيل
أفضل من التهجّد ، و صلوة اللّيل ، كيف و المتّقون إنما يعالجون تصحيح
نفسهم في تحصيل علومهم بصلوة اللّيل ، و التهجّد ، و التضرّع في جوف
اللّيل ، ولعمري ان هذا الطريق في تصحيح النيات الواجبة العينية لاسد
الطرق ، وانه العروة الوثقى التي لا انفصام لها .

وحكى لي شيخني وسنادي في العلوم الحقة ، انه ما وصل احد من
طلاب الآخرة إلى شيء من المقامات الدينية ، إلا من المتجهدين ، و ظنني
انني بعد ما سمعته ، منه وجدته في رواية ايضاً ، هذا و ما روينا عن الصادق
عليه السلام من قوله عليه السلام ، ليس من شيعتنا بل وفي غير هذه الرواية ، ليس منا
من لم يصل بصلوة اللّيل ، كاف في دفع هذه الوسوسة ، ولقد اجاد شيخنا العلامة
الانصاري (ره) في جواب من سئله عن ترجيح المطالعة ، و صلوة اللّيل ، قال
في جوابه : يا هذا هل تشرب القرشه ؟ قال : نعم قال : صل صلوة اللّيل مكان
قرشتين ، هذا جواب متين فيه تعريض على فساد هذا التخيل ، وانه من
الغرور بوجه ملبح ، فكانه قال : انك اذا كنت بهذا المثابة من المراقبة في

الأحوال ، والاخلاص في الأعمال ، حتى استشكل عليك الامر في صلوة الليل من جهة اتهمار جوحة بالنسبة إلى المطالعة ، وتحصيل العلوم ، كيف خفى عليك أنك تشتغل بشرب القرشة التي اختلفت الاقوال في أنه حرام ، او مكروه ، او مباح ، كيف لاحظت المعارضة بين المندوبين من جهة ضيق الوقت عنهما معا وانت مشتغل بما هو حرام ، او مكروه ، او مباح ، فيالله من هذا الخطب الفظيع ، ان يدلس الخبيث على العلماء ، ان اشتغاله بمطالعة هذه العلوم المعلومة المرسومة ، التي اغلبها لا يمكن تصحيح قصد لها شرعى بوجه من الوجوه الصحيحة ، أفضل من الاستغفار في الاسحار ، والخلوة مع العزيز الغفار ، كيف و العلم الذي لا يبعث الانسان على التهجّد ، هو علم لانور فيه ، ولا ثمرة له ، ولا خير ، والعلم على ما قاله الصادق عليه السلام ، ملازم مع الخشية ، وصاحب الخشية لا يمكنه ترك التهجّد ويفزع إليها من خشيته .

و ايضا المؤمن انما يرى صلوة الليل ازيد اثرا في تحصيل العلم من المطالعة وقد كان شيخنا (ره) اوصى لنا ان نلتجأ إلى الله ، وتنسج إليه عند محيرنا في المطالب العلمية ، وقد جرت بنا ذلك والسرى في كون التهجّد ، والدعاء من أسباب تحصيل العلم ، ان العلم كما صرح به في بعض الروايات ، ليس بكثرة التعلم ، بل نور يقذفه الله في قلب من يشاء ، والتهجّد انما ينور القلب ، ويثبت النور في قلب المؤمن ، وهكذا المناجات في الليل ، كما روى عن الصادق عليه السلام انه لما غلب على العبد سيده في جوف الليل المظلم ، وناجاه اثبت الله النور في قلبه فاذ قال يارب يارب ناداه الجليل جل جلاله : لبيك عبدى سلنى اعطك وتوكل على كفاك الحديث ، وكيف كان من كان له تتبع ما في اخبار أهل البيت عليه السلام ، وأحوال السلف من مشايخنا العظام (ره) لا يشك في ان صلوة الليل ليس ضد التحصيل العلم ، بل من أسبابه القوية ، وكثير ما عرفنا من المحصلين ،

من كان من المتجهدين ، وصار ذلك سبباً لاستقامة فهمه ، وجودة ذهنه في الوصول إلى المطالب الحقّة في المسائل العلميّة ، وارتقى إلى المراتب العالية من العلم ، بخلاف الطالبين منهم المجدين في مطالعة الكتب العلميّة ، وقلّما خرج منهم صاحب ملكة مستقيمة ، نعم ربّما يوجد فيهم ايضاً مدقق مشكك ، ولكن لا يكون محققاً ، ولا يكون في علمه بركة كاملة ، بل يقلّ خيره ونوره ، ولا يوفق لفوائد العلم هذا .

وقد خرجنا في هذا المقام عما أردنا من الإيجاز لعقده كان في قلبي من قديم الأيام ، عفى الله عن القول بالاهواء ، وعن طغيان القلم .
ثم ان المؤمن لا بد ان يكون في أوّل يومه و أوّل ليله في فكر تهجده ، وتهيئة أسبابه بالنوم في النهار ، وأوّل الليل ، ونهيته أسبابه من المكان المناسب ، وكتب الدعوات ، وماء الوضوء والسواك ، والسراج وقراءة آية قل إنما انا بشر - اه .

أقول : هذا من المنجزات عند المتجهدين ، وورد ايضاً عن النبي ﷺ من اراد قيام الليل : واعد مضجعه فليقل اللهم لا تؤمني مكره ، ولا تنسني ذكرك ، ولا تجعلني من الغافلين ، أقوم ساعة كذا وكذا فاتّه يوكل الله به ملكاً ينسبه في تلك الساعة .

وبالجملة من جهة ان الحال في أوّل الليل ، مؤثرة في توفيق آخر الليل ، لا بد لطالب التهجّد الجّد في القيام على وظائف آداب النوم على مرضات الربّ تعالى ، ليوافقه على مرضاته في آداب القيام و التهجد ، ومن الوظائف المهمّة ان يحاسب نفسه عند نومه من أوّل قيامه في الليلة الماضية ، إلى حاله الحاضر محاسبة كاملة ، كما قرّر في محله ، ثم ليعلم ان النوم اخ الموت ، و ان عند النوم يقبض الله روحه ، ويتوفاه كما يتوفى في روح الميت ،

ويذكر بل و يقرء قوله تعالى : «الله يتوفى الانفس حين موتها ، و التي لم تمت في منامها» فيأخذ عند النوم عدّة الموت الصغير ، ويعلم انه ان لم يعد الله روحه إلى بدنه ، فهو ميت لا يقوم أبداً ، و ان اعاده فبفضل جديد ، فيقول من قلبه ولسانه : رب ارجعون لعلّي اعمل صالحا ، ويتذكر إن النّائمين كلهم يقولون ذلك ، بلسان حالهم و كثيرا منهم يرد عليه ، بقوله تعالى : كلا انها كلمة هو قائلها ، و من ورائه برزخ إلى يوم يبعثون ، وينام على طهارة و ذكر ، ويعمل باهمّ ما و رد في هذا الحال ، من الادعية والاذكار مسلماً روحه ، ونفسه و قلبه و قاله ، واموره كلها لله ، ويقول بلسان حاله و روح إلى الله .
و أمّا الوظايف المروية .

فمنها التسمية في اول الدّخول إلى الفراش ، و قراءة آية آمن الرسول -هـ- ، عن ظهر القلب ، ملتفتاً إلى ما فيها من الاشارة إلى تفضله جلّت الأده إلى هذه الأمة بشفاعه رسول الله ﷺ ، و متشكراً بقلبه نعمة ربه و شفاعه نبيه ﷺ .

ثم تسبيح الزّهرات ﷺ ، ثم قراءة الفاتحة ، و قراءة سورة التّوحيد تلك مرّات ، أو أحد عشر مرّة ، و يقول : يفعل الله ما يشاء بقدرته ، و يحكم ما يريد بعزّته ثلاث مرّات ، ثم يقرء آية الكرسي ، و آية شهد الله ، ثم يستغفر بما ورد ، ثم يقرء التّسبيحات الاربع ، ثم يسأل على النبي ﷺ و آله ﷺ ، و على الانبياء الماضين صلوات الله عليهم اجمعين .

وقد ورد لذلك كلّ فضائل لا يحصى ، و ينام على طرفه الايمن مستقبل القبلة ، كما ينام الميت في قبره ، و يذكر الله بعد ذلك ، و يتوجّه إليه حتّى يغلب عليه النوم في حال الذّكر ، و إذا نام هكذا فهو في عبادة ، بل روحه عند الله ، و في كنفه ، و ظلّ عطوخته ، بل هذا النوم اعلى و اشنع من نقطة

الغافلين ، وإذ انام هكذا يرجي ان يمن عليه جل جلاله ببعض الكرامات و
 البشارات الخاصة بالرؤيا ، وغيرها كما ورد في الآية الشريفة « ولهم البشـرى
 في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة » وفسرت في الاخبار بالرؤيا الصالحة ، و
 اشهد بالله اني اعرف من زار بعض الائمة عليهم السلام في الرؤيا ، وسئله عن بعض
 المعارف الجلية ، والاسرار الخفية ، واجيب بما قرأت به عينه ، ومن انكشف
 له في الرؤيا عن حقيقة نفسه . ورأى كأنه قد تلاشت العوالم ، وطلع مكانها
 روحه و نفسه ، ورأى كأن نفسه متحدة بحقيقة ملك الموت ، وانتبه من نومه ،
 وهو على هذا الحال ، ورأى بعد الانتباه ان روحه كأنها تجذب بدنـها اليها ،
 وهاله ذلك ، ونادى ضجيعته : يا فلانة يا فلانة حتى ذهب عنه هذا الحال ، و
 هذا الحال هو عبارة عن معرفة النفس التي هي طريقة إلى معرفة الرب كما
 في الاخبار المستفيضة ، وغير ذلك من امثاله ، وبالجملة يمكن للمجاهدان
 يكتسب في نومه مالا يكتسب في اليقظة من العوالم الروحانية ، ثم انه إذا
 نام على ذلك فله ان يتذكر كلما انتبه قبل وقت قيامه ، بما ورد وغيره
 يقول عند مغلقه على فراشه : ، التسبيحات الاربع او الثلاث باسقاط اولها
 وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى : وقليل من الليل ما يهجمون ، قال :
 كان القوم ينامون ، ولكن كلما انقلب احدهم ، قال : الحمد لله ، ولا اله الا
 الله ، والله اكبر ، وإذا استيقظ للقيام ، فله ان يتذكر بذلك فضل الله عليه
 بحياة جديدة ، ويختر قبل ان يجلس ساجداً ، ويقول في سجوده : بعض ما
 ورد ، وايسرها ان يقول : الحمد لله الذي رد علي روحي لابعده واشكره
 او يقوله : قبل السجدة بمجرّد الانتباه على فراشه ، ثم يسجد ، ويقرأ فيه
 قوله عليه السلام : الحمد لله الذي بعثنى من مرقدى هذا ، ولو شاء لجعله ساكناً
 الى يوم القيمة ، الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلقاً لمن اراد ان يذكر ،

او اراد شكوراً ، الحمد لله الذي جعل الليل لباساً ، والنوم سباتاً ، وجعل الليل والنهار نشوراً ، لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين ، الحمد لله الذي لا يخبوء منه النجوم ، ولا تكن منه المستور ، ولا يخفى عليه ما في الصدور ، ثم يجلس من السجدة ، ويقول : حسبي الرب من العباد ، حسبي الذي هو حسبي منذ كنت حسبي ، حسبي الله ونعم الوكيل ، واذا التفت العبد على نعمة هذه المعية الجديدة ، وحمد الله عليها ، فليقتسم الفرصة ، ويكون جده ورجائه في ان يحصل في حياته هذه حياتاً باقية ، لاموت بعدها بدياً ، وليعلم ان حياته هذه بمنزلة رأس مال اعطاه الله تعالى ليتجر به ، وان امكنه ان ينتفع به انفس الامتعة ، فعليه ان لا يتسامح في ذلك ، وليعلم ايضاً انه ليس في الوجود ولا في الوهم موجود انفع وانفس ، واكمل وابهى واشرف واجود من الله ، ولا نظيره ، بل ولا نفع ولا نفاسة ، ولا جمال ولا بهاء ، ولا شرف ، ولا وجود ، بل ولا وجود الا في الله ومن الله ، والله ، فاذا لا يليق للمطلوبية بالذات عند العاقل الا الله ، وكل مطلوب سواء مطلوبية منه ، سواء في الدنيا ، او في الآخرة ، ولا شرف ولا كمال ولا لذة الا منه وبه ، والذات الاشياء ، وابهجها قربه ، ومعرفة ، واذا ايهتم العاقل الا لطلبه ، ويترك غيره ، ويصرف همه ، وهمته عن جميع الاشياء اليه ، ثم الى مرضاته ، قل الله ثم ذرهم ، وبالجمله يجعل همه الاهم ، بل جميع همه في الله ، ولا يصرف عمره في طلب شيء غيره من المشتبهات النفسانية وامور الدار ، اما الاولى ، فلان الاشتغال بها من جهة كدرها ، وعدم بقائها ومضادتها بالذات الروحانية الواقعية خسران عظيم ، واما الثانية فلان همها ، والشتغل بها مع ما فيه من هلاك القلب ، وتفرق الحواس ، ومضادتها بالذات كره ، والفكر قذى في عين العبودية ، ونقيض للتوكل ، لا فائدة فيه ، لان

المقدّر كائن ، والهمّ فضول وخسران ، وإذا عرف الانسان ذلك معرفة شخصية حقيقية ، وصار وجدانياً له كما عرف اهل الدنيا لذاتها ، يكون قلبه وروحه وسرّه كلّها مستغرقة في محبة الله ، ويسرى ذلك على اعضائه وجوارحه ، ويكون جميع ماسواه عنده احقر ، وادون ممّا يطّنه برجله ، بل قد يكون مستغرق الهمّ ، والقلب في حضرته حتّى يتعطل قلبه عن ذكر ماسواه ، وعن الالتفات الى غيره ، وعقله عن التدبّر في اموره ، ويحصل له شبه الهمّان كما روى ذلك في بعض حالات امير المؤمنين عليه السلام ، واشير اليه في حديث المعراج بقوله : واستغرق قلبه بمعرفته ، ثمّ لا قوم له مقام عقله .

وبالجملة مفتاح خير الخير ، واسعد السعد ، معرفة الله ، ومحبة الله ، والذات الذات ، وابهج البهجات في الانس بالله .
هذا وقد خرجنا من وظيفة الكتاب بذكر هذه الجملة ، فلنعد على وظيفتنا .

ونقول : قد ورد في تفصيل كيفية سلوة الليل ، و التهجد عن ائمة الدين ، آداب ووظائف مفصلة ، و ادعية و مناجات عالية المضامين مناسبة لشئون الاحوال الحاضرة ، ملائمة لاحوال جميع السالكين الى الله ، من ذوى المقامات المختلفة ، فمن ارادها فليراجع الى كتاب سلوة البحار .

ولنا في هذا المقام كلمة ، وهي ان يراقب العبد حاله ، ويختار ما يناسبه ويؤثر فيه من تلك الوظائف ، وقد كان السلف من اهل الله يجدّون في تحصيل الرقة ، و سائر الاحوال السنية ببعض الحالات ، من لبس المسوح ، وشدّ الايدي الى الاعناق ، والتمرّغ في التراب ، وتقريب انفسهم و اعضاء بدنهم الى النار ، وحتّ التراب على رؤسهم ، والدخول في القبور ، ونداء الاموات

والتكلم مع انفسهم ، والخطاب لها بعبادات القرآن ، واختيار الدعوات
والمناجات المؤثرة المحركة للقلوب ، كل ذلك لاستجلاب الاحوال المطلوبة
التي هي من اهم ما يجب مراعاته ، وان يحترز عن مخالفة الحال ، مع ما يناجي
به الرب تعالى ، والكذب في مثل هذا الوقت ، وذلك الحال ، مثلاً اذا قرء
بعض مناجات السيد السجاد عليه السلام ، وقرء فيه قد ترى يا الهي فيض دمي
من خيفتك ، ووجيب قلبي من خشيتك ، وانتقام جوارحي من هيبتك ، كل
ذلك حياء مني لسوء عملي ، ولذلك خمد صوتي عن الجهر اليك اه .

وعينه جامدة من البكاء ، وقلبه ساكن من الخوف ، وخال من الخشية
وعاز من الهيبة وجوارحه على ما كان من الاستقامة ، ولم يؤثر الحياء فيه شيئاً
ولم يخمد صوته .

ليس هذا كذباً صريحا عن مشافهة وحضور الايخاف العبدان يجيبه
الله تعالى يا كاذب ؟ اما تستحي من هذا الكذب الصريح ؟ والدعاوى الباطلة
اتموهم اني لا ارى ظاهرك اوخفي على قلبك ، او ترى ان مخالفتي والكذب
في حضوري ، يجوز عليك ؟ اما وجدت اهون عليك مني ؟ اما كنت تستحي
من الناس ان يعلم كذبك عندهم ، وتخالف رضاهم في حضورهم ؟ ولا تحتشم
عن مخالفتي والكذب في حضوري في مقام مناجاتي استهنزني ولا تهاب مني ،
ولا تخاف قهرى وطمى واخذني ؟ وكيف بك اذا ظهر لك آثار قهرى ، واخذني
التي لا يقوم لها السموات السبع والارض ؟ وهكذا الى غير ذلك من مضامين
المناجات والدعوات التي ليس قلب الداعي متصفا بما يصف فيها من نفسه حتى :
لفظة استغفر الله .

روى عن أمير المؤمنين عليه السلام ، انه قال لقائل بحضرته استغفر الله :
تكلمتك امك اتدري ما الاستغفار ؟ ان الاستغفار درجة العليين ، وهو اسم واقع

على ستة معان .

اولها الندم على ما مضى .

والثاني العزم على ترك العود عليه ابدا .

والثالث ان تؤدى الى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله املس ، ليس عليك تبعه .

والرابع ان تعتمد الى كل فريضة عليك ضيعتها تؤدى حقها .

والخامس ان تعتمد الى اللحم الذى ثبت على السحت ، فتذيب بالاحزان حتى يلمص الجلد بالعظم ، ويفشأ بينهما لحم جديد .

السادس ان تذيق الجسم الم الطاعة ، كما اذقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : استغفر الله .

اقول : إذا كان الامر بهذه الدقة ، فليعالج المناجى دعواته ، ومناجاته بقصد المعنى الذى يناسب حاله ، وبالتجزؤ ، أو بغيره بما يجوز له قوله ، مثلاً إذا اراد في وتره أن يقول : استغفر الله و اتوب إليه ، يقصد من الاستغفار طلب المغفرة ، اى السّتر بالرحمة ،

ومن التوبة الرجوع إلى الله ، اى إلى ذكره وطلب مغفرته من الغفلة ، ولا يقصد معنى التوبة المطلقة ، ويفعل ذلك في جميع اذكاره ، ودعواته لأن لكل ذكر حقيقة واقعية ، يجب ان يكون قائله على صفته ، مثلاً للتسبيل والحمد ، والتسبيح والتكبير ، وغير ذلك حقايق يوصف بها قائلها ، مثلاً موحدا حامدا ، مسبّحاً مكبّراً ، فإذا خالف حقيقة قلب المهلّل التوحيد المطلق الكامل و ، هكذا لم يكن بقلبه ، وحقيقته حامدا ، ومكبّراً ، ومسبّحاً فليقصد عند ذكرها المعنى الخاص الذى يناسب حاله ، لا مطلقه الذى لا يتّصف به ، و ان كان

لا ينطبق حاله وصفته بما يقوله ، إلا بالتَّجَوُّزَ مثلاً يقصد بتوحيده الله ما يقابل قول المشركين والكافرين ، القائلين بعبادة الاوثان ، و اليزدان و الازريمن ، لا التوحيد الذى يناقض التَّوَكُّلَ ، مثلاً ، وهكذا يقصد بتكبيره ما يقابل قول القائلين بالجسم ، و القائلين بالتعطيل مثلاً ، لا حقيقة التكبير العملى الذى اشير اليه في رواية مصباح الشريعة ، حتى ينافيه عدم الالتذاذ بالمناجات ، فان حقيقة التكبير انما ينافي واقعاً مع عدم الالتذاذ بمناجاة الكبير ، لان الانسان مجبول في نفسه من الميل والرغبة الى الكبرياء ، والمعاملة معهم ، و مجالستهم ومناجاتهم وانسهم ، فاذا كان الله في قلبه اكبر من كل شيء ، او اكبر مما يوصف ، فلا بد ان يلتذ بمناجاته ، ويرغب الى ذكره ، والانس به ، و الخلوة معه ، واذا لم يوجد في قلبه اللذة و الرغبة ، يكشف ذلك عن عارض عن حقيقة تكبيره في قلبه ، و بالجملة .

قولك : اشهدان لاله الا الله ليس توحيداً حتى يشهد له قلبك ، واذا شهد القلب بالتوحيد ، لابد ان يترشح من توحيده على اعمالك واذا خالف القلب اللسان ، او العمل القلب ، لاتعد بهذه الشهادة موّحداً ، بل منافقاً ، و ان اتصف قلبك ببعض مراتب التوحيد ووجد في عملك آثاره بقدره ، خرجت بذلك من النفاق المطلق ، ولكن لا تكون بذلك موّحداً على الاطلاق ، فان ادّعت ذلك بقصد منك على ذلك ، حين قولك : اشهدان لا اله الا الله ، لا يقبل منك الدعوى بالاحقيقة ، فتدخل بذلك في بعض مراتب النفاق فالاولى ان تلتفت عند قولك ، ودعائك ، الى ما تقصد بها مما يناسب حالك ، ولا يكذبك في قصده قلبك وعملك ، ولو بنحو من التَّجَوُّزِ والانساع ، فالاولى للمتهجدان يكثر فكره في هذه المعارف ، ويحس نفسه على التفكر عن الذكر ، حتى يلجاء الحال الى الذكر والدعاء ، وهذا يقل فيه مخالفة اللسان مع القلب ،

لا سيما إذا كان عارفاً بمدخل الكذب ، و النفاق على أقواله وأفعاله .
ثم أن الذي ذكرنا من استجلاب بعض الأفعال ، الأحوال المرغوبة ،
من شد الأيدي إلى الأعناق ، وغيره لابد أن يراعى في ذلك أيضاً موافقته مع
الحال ، فإذا خالف الحال الصورة ، وذلك أيضاً من شعب النفاق ، نعم لا يجب
أن يكون الأقدام على هذه الأفعال عند الابتداء بها عن حقيقة كاملة ، لمن
يريد أن يعالج بها استكمال الحال ، و استجلاب الكمال ، ولكن لابد أن
يكون واحدة لبعض مراتب الحقيقة ، ومريداً بها كمال الحقيقة ، مثلاً إذا قام
عن نومه التي كانت على ما وصفناها من الوظائف ، و فعل عند انتباهه ما
ذكرنا ، و تفكر فيما ذكرناه ، لابد أن تؤثر ذلك في قلبه من الحسرة ،
و الخشية ، والمذلة ما تهبطه للجلوس على التراب ، و شد يديه إلى عنقه مثلاً ،
حتى يستجلب بذلك كمال هذه الأحوال ، وإلا فدن كان عند قيامه أيضاً قائماً ،
بل ميتاً عن روح ذكر الله ، ومستتهراً في ذكر الدنيا ، فلا ينبغي له أن يقدم
على بعض الأفعال الناشئة عن الأحوال السنية ، ولا ينتفع مثل صاحب هذا
القلب منها ، بل قد يتضرر ، و قد يكون مضحكاً أيضاً ، والأولى والأفضل في
ذلك أيضاً أن ينتهز ذلك عن أحوال القلب ، بعد كمالها ، وبعد امساكها ،
حتى يقلبه الحال في الأقدام عليه ، ولا بأس أن يفعله عن حال ما ، بقصد
استكمال الحال به .

روى في الأنوار عن أبي قدامة الشامي ، حكاية شاب استشهد في
الجهاد ، وفيه أن الشاب أوصي إليه حين أصيب أن يوصل خروجه إلى أمه ،
فمات وإذا دفنوا جثته ، رأوها وقد خرجت من القبر ، فإذا بطيور يرض ، وقموا
عند جنازته على الأرض ، واكلوا لحمه ، وبقيت عظامه ، فدفنوها ، فإذا جاء
أبو قدامة بخرجه إلى أمه ، ليدفع إليها الخرج ، سألته عن خبره ، فأخبرها

بقصة الطيور ، فحمدت الله ، ففتحت الخرج ، واخرجت منها مسحاً وغلاً
من حديد ، وقالت كان ابني إذا جنّه الليل ، لبس هذا المسح ، وغل نفسه
بهذا النل ، وناجى مولا ، ويقول في مناجاته : الهي احشرنى من حواصل
الطيور ، فاستجاب الله دعائه .

أقول : إذا كان حال العبد مثل حال هذا الشاب ، يليق به هذا العمل ،
ويؤثر فيه ذلك الاثر ، رزقنا الله مثل هذه الاحوال من فضله وكرمه ، بحق
المتجهدين من اوليائه ، واهل خلوته ، وانسه .

وبالجملة عمل العاملين ، سواء كان من الافوال او الافعال على وجود ثلاثة :
الاول ان يتنشى القول والفعل ، عن حال وصفة في القلب ، فان القلب
إذا احترق من الم موت الولد مثلاً ، لا بدّ ولا حيلة من النوح والبكاء ،
واظهار الحزان والاشجان ، وذلك كلّها تغلى من قلب الشكلى ، من غير تعمّل ،
وهكذا إذا احترق من الم الفراق ، لا بدّ من بثّ الشكوى ، واظهار الشوق
والعشق ، ويقول لسان حاله :

« چون شب آمد همه را دیده بیارامد و من

کوئی اندر بن مویم سر نشتر میشد »

وهكذا إذا استشمر تطلم الحبيب عليه ، و على احواله فلا محالة
يظهر التضرع ، والاستكانة والابتهال ، والملق بالسجود على التراب ،
والغرور على الاذقان ، ونحوها على قدر عظمة المحبوب ، واستشعار الجناية ،
والتقصير والقصور ، من نفس المحب ، و في ذلك قيل بالفارسية :

بسیار زبونیا بر خویش روا دارد درویش که بازاریش با محتشمی باشد
فكلما صدر قول ، او عمل من المتجهدين من صفة القلب ، سواء كان
توحيداً او عملاً ، او تسبیحاً او تكبيراً او ركوعاً او سجوداً ، او دعوى الشوق ،

او اظهر الانس ، او غير ذلك ، فهو المطلوب الاول ، و المقصد الاسنى من التهجّد ، والقيام ، والصلاة و العبادات كلّها .

و الثاني ان يخالف القلب العمل ، مخالفة تامّة كصلوة المنافقين ، و هم كسالى ، و كدعوى أكثر العامة مثلاً التوكل ، و كدعوى الفارغ من جميع مراتب المحبة الحب ، و اظهار الشوق ، وشكواه من الم الفراق ، فإنّ ذلك هو الذي لا يمتنع به صاحبه ، بل ويتضرّر به .

و الثالث أن يكون في القلب سفة من هذه المراتب ، ولكن لا على حدّ يبعث من غير تعمل على العمل المخصوص ، من قول وفعل ، وحينئذ ينبغي للعامل ان يعمل العمل قولاً ، وفعلاً مع قصد مقدار حاله ، وصفة قلبه ، و لو لم يصحّ دعواه إلا بالتجوّز ، و يستكمل بذلك حاله ، و قلبه ، و يستجلب بالعمل كمال الحال ، و ايتاء ان يقصد من فعله ، و قوله ازيد مما في قلبه ، فيكون كاذباً و منافقاً . و يسير سبباً للخذلان و الخسران ، هذا .

فليكن قيام العبد إلى تهجّده عن الشوق ، فإذا لا يرضى بالقليل ، و الافضل ان يجعل ذلك مقدار ما بيّنه كتاب الله لنبيه ﷺ ، وطائفة من المؤمنين الذين كانوا معه ، وان لم يوفق بهذا المقدار لاعذار عامة ، او خاصة فلا محالة ان يكون ذلك في الشتاء ، اربع ساعات او خمس ساعات ، وفي الصيف من الثلاث إلى ساعتين ، وان امكنه ان يقوم عند الانتصاف الذي هو مخصوص لاهل الخلوة ، حتّى يصلى اربع ركعات من صلوات الليل ، ويدعوا الله تعالى في الساعة الاولى من النصف الثاني ، في مهمّاته ، ثم ان غلبه النوم نام ساعة ، ثم يقوم ثانياً إلى اتمام ورده ، فان هذه الساعة ، ساعة مخصوصة لاجابة الدعاء ، وللخلوة مع الله تعالى .

كما ورد ذلك في خبر ^(١) ابن اذبه ، عن الصادق عليه السلام ، قال : ان في الليل لساعة لا يوافقها عبد مسلم ، يصلي ، ويدعو الله فيها الا استجاب له ، قال الراوي : قلت له : اصلحك الله ، واية ساعة هي من الليل ، قال : إذا مضى نصف الليل ، في السادس الاول ، من النصف الثاني .

وقد روى النوم بعد اربع ركعات منها ، عن رسول الله في بعض الليالي ، ثم القيام ثانياً ، ثم ان من مهمات أهل المحبة ، اكرام رسول الحبيب .
ولذلك انشأ دعوة أهل المراقبة سيّدنا الاوحد ، جزاء الله عن أمة جدّه ، جزاء المعلمين المنبشرين ، لجواب منادى الله تعالى في الليالي كلاماً لطيفاً جامعاً لمراسم هذا المقام ، مناسباً لاداء حق المنادى ، والتنداء .

وهو قوله : اللهم انني قد صدقت برؤيتك ، وبمحمد خاتم رسالتك ، وبهذا المنادى عن جوارك ، وإن لم تسمعه اذني ، فقد سمعه قلبي المصدّق بالأخبار المنضمّة لوعودك ، فانا أقول : مرحباً بك أيّها الملك الوارد علينا من مالكنّا الحكيم الكريم الجواد المحسن إلينا ، قد سمعنا بلسان حال عقولنا قولك ، عن معدن انجاح مسؤولنا ، هل من سائل فاعطيه سؤاله ، وانا سائل لكلّ ما احتاج إليه بما يقتضي دوام اقباله عليّ ، ودوام توفيقي للاقبال عليه ، وتمام احسانه إليّ ، وكمال ادبي بين يديه ، وان يحفظني و يحفظ عليّ كلّ ما احسن به إليّ ، و سمعنا أيّها الملك قولك ، عن مولينا الذي هو أهل لبلوغ مأمولنا ، هل من تائب فأتوب إليه ؟ وانا تائب اختياراً واضطراً ، لآتي عاجز ضعيف عن غضبه ، وعقابه ، ومضطر إلى رضاه و ثوابه ، فان صدقت نفسي في التوبة على التحقيق ، وإلا فلسان حالِي وعقلي تائب إليه ،

بكل طريق من طرق التوفيق ، وسمعنا قولك أيها الملك عن سيدنا
و سلطاننا ، الذي هو أهل لرحمتنا ، وقبولنا : هل من مستغفر ، فافغر له ؟
و انا مملوكة المستغفر من كل ما يكرهه مني المستجير به في العفو عني ،
فان صدق قلبي و لساني في الاستغفار ، و إلا فلسان حال عقلي ، و ما انا عليه
من الاضطراب ، و الاعسار ، و الانكسار يستغفر عني بين يدي جلالته ، و غفره
و رحمته ، و انا ذليل حقير بين يدي عزته ، و رأفته ، و قد جملت أيها الملك
ما قد ذكرتم من سؤالي ، و توبيتي و استغفاري ، و افتقاري ، و ذلّي و انكساري
امانة مسلمة إليك ، تمرّضها من باب الحلم و الرحمة ، و الكرم و الجود ،
على من انعم بك علينا ، و بعثك إلينا ، و فتح بين يدينا أبواب التوسّل إليه
فيما تعرضه عليه .

و قال : و إن لم تحفظ ما ذكرناه ، ولا تمسك لك ان تتلوه فاكثب في
رقعة . و تكون معك تحفظها ، كما تحفظ عزيزك ، و إذا كان في ذلك الاخير
من كل ليلة ، تخرجها بين يديك ، و تقول : أيها الملك المنادي عن ارحم
الراحمين ، و اكرم الاكرمين ، هذه قصتي قد سلّمتها إليك ، مالى لسان ولا
جنان ، يصلح للكلام اعرضه عليك .

أقول : التّعرض بجواب هذا المنادي ابشاً من قسط هذا السيّد الجليل
ره ، و لقد اجاد و اتى بما هو فوق المراد ولكن ظنّنى أنّه سقط منه بعد قوله
و محمّد خاتم رسالتك ذكر التصديق باوصيائه .

فالاولى ان يقال بعده ، و باوصيائه المعصومين الاثنى عشر ، حبّجك ،
و خلفاءك ، عليهم افضل صلاتك و سلامك .

ثمّ يعقبه بقوله : و بهذا المنادي ، و أنا أقول : و ان شاء ان يجمع بين

الامرين ، فليقل في ليلة الجمعة من اول الليل ، وفي سائر الليالي في اول الثلث الاخير .

اللهم صل على محمد وآل محمد ، بأفضل صلواتك ، وصل على هذا الملك الكريم الوارد علينا ، يندبنا إلى رحمتك ، ودعاك ، ومغفرتك ، وقبولك ، وفقنا لاجابته على وفق رضاك ، ومره ان يعرض استغفارنا ، ودعائنا ، وتوبتنا إلى حضرت جمالك ، من باب حلمك وكرم عفوك ، وجودك ومنك ، وعطفك وحنانك ، يا خنان ، يا منان ، يا ارحم الراحمين ، وصل على محمد وآله ، والحقنا بهم ، واعطنا افضل ما وعدته لاوليائهم ، صلواتك وسلامك عليهم اجمعين .

ثم ان الذي يجب بحكم العقل على العبد المراقب ، في وظائف جهات العبودية ، في تهجده خصوصاً ، وغيره من اوراده عموماً ، ان يأتم بائمة الدين ، من اهل بيت النبوة ﷺ ، ويجعل ما روى عنهم في ذلك اسوة لنفسه ، ومثالين عينيه ، بل يقيس في ذلك حاله مع احوالهم ، ويستكشف من ذلك حق ما يجب عليهم التمكن ، والتذلل ، والتضرع ، والابتهاال ، وانه إذا ثبت هذه التضرعات ، والتمكن ، والاعتراف منهم ، مع كونهم مقرين عند ، ومطيعين له لم يعصوا الله طرفه عين ابداً ، ولم يسهو عنه لحظة ابداً ، فما يكون حقنا مع سوء حالنا وذل مقامنا وتورطنا في سونة ذنوبنا واتصافنا بهذه الاخلاق الرذيلة مثلاً اذا تأمل في مناجات الائمة ، لسان ضراعتهم ، واعترافهم مع طهارتهم ، وعصمتهم فليحكم على نفسه من حق الضراعة والاعتراف ، بما يجب عليه بحكم القياس .

و أنا اذكر ما كان يناجى به الامام السجاد عليه السلام في السجدة ، بين

كل ركعتين من صلوة الليل فليكن عبرة لامثالنا ، فيما يجب من اداء حق
جهات العبودية ، روى ^(١) انه كان يسجد بين كل ركعتين سجدة في الشكر ،
ويقول فيها ، الهى وعزتك وجلالك ، وعظمتك ، لو اتى منذ بدعت فطرتي
من أول الدهر ، عبدتك دوام خلود ربوبيتك ، بكل شعرة في كل طرفة
عين ، سرمداً ابداً بحمد الخلاق ، وشكرهم اجمعين ، لكنت مفسراً في بلوغ
اداء شكر خفي نعمة من نعمك على ، ولوانى كربت معادن خديده
الدنيا بايادي ، وحرثت ارضها باشفار عيني ، وبكيت من خشيتك مثل
بحور السموات والارضين دماً وصديداً ، لكان ذلك قليلاً من كثير ما يجب من
حقك على ، ولو انك الهى عذبتني بعد ذلك ، بعذاب الخلاق اجمعين ،
وعظمت للنار خلقي ، وجسمي ، وملأت طبقات جهنم مني حتى لا يكون
في النار معذب غيري ، ولا يكون بجهنم حطب سواى ، لكان ذلك بعدلك
على ، قليلاً من كثير ما استوجبته من عقوبتك .

تأمل يا أخى في هذه الحال ، ممن رأى من حق شكر الله عليه .
مثل ما رآه عليه السلام ذكره في هذا الدعاء ، بعد القسم بعزة الله وجلاله ، ورأى
من استحقاق العقوبة ما ذكره عليه السلام ، كيف يكون حاله في حضور مولاه ،
وإذا كان هذا حاله عليه السلام مع طهارته وعبادته ، وزهده في الدنيا ، ومعرفة
ومحبته على مولاه ، وقربه منه ، فكيف يجب أن يكون حالنا مع ما نحن
عليه من هذه الاحوال ؟ فواسواته ، واحسرتاه على ما فرطنا في جنب الله ،
وقد كننا من الساخرين على أنفسنا ، وبالجمله اصل كل خسران الجهل ،
والغرور ، والذي اراه في نفسي ، وفي أمثالي من الجاهلين ، انه لو يبكى
ساعة من خوف الله ، وجرى من عينه عشرة مثاقيل من الدموع ، يجد من

نفسه حالاً أو طمأنينة كأنه أدّى حقّ شكر الله ، وازيد ، بل اذا انضمّ إليه احياء ليلة يتراى من حاله شبه دلال في اعماله ، ودعواته كأنه يرى حقاً لنفسه ، على الله ، وقس يا مغرور هذا الحال من عباداته وزهده ، ومثل ماله **عليه السلام** ، وبكى أربعين سنة ، وهوى رى جنائياته ، وقصوره في اداء حقّ العبوديّة ، بحيث لو عدّ به الله بعذاب الخلايق اجمعين ، وملاً طبقات جهنّم منه ، كان ذلك قليلاً بالنسبة إلى كثير ما يستوجبه من عقوبة الله ، فسبحان خالق النور ، والحمد لله هدأ ينبغي لكرم وجهه ، وعزّ جلاله في خلق هؤلاء الانوار الساطعة من اوليائه ، ومنه بهم ، وبمعرفتهم ، ولايتهم علينا ، وصلى الله عليهم صلوة ينبغي لكرم وجهه ، ونور بهاله ، وفيض جوده ، وكماله ، واستغفر الله برحمته ، وبشفاعتهم ، ان يغفر لنا عظام او زار الجهل ، والغرور ، واخرجنا بهم من الظلمات إلى النور باذنه ، وهدانا إلى الصراط المستقيم ، والحمد لله ربّ العالمين .

ثمّ انه ينبغي أن يكون همّ الرّجل في تملّيف المراقبة ، وبالعلاج في ذلك بكلّ ما يقدر عليه من الضّراعة ، والابتغال ، والتبّتّل ، والتبصّبص ، والبكاء ، والدّعاء ، ونداء الله باسمائه الجماليّة ، والسكوت ، والنظر إلى السماء ، والطراق الراس ، واحضار النفس إلى مجلس القود ، وتكرار القول : يا الهي ، وسيدي كيف نظرك إلى بين سكاّن الثّرى ، ام كيف سماعك على في دار الوحشه والبلا ، إلهي يا مولاي ليت شعري ما ذا تقول بدعائي ، ويكر ذلك كثيراً ، ثمّ يفرض نفسه حاضراً بين يدي الله تعالى ، ويقول : مخاطباً عن الحضور اتقول : لا ، ويكون التّلفّظ بلفظة لا ، انقل عليه من الجبال .

ثمّ يقول : فان قلت : لا ، فياويلي ياويلي ، وياغوثي وياغوثي ، ثمّ

يتفكر في خزي ردة تعالى في جميع عوالمه ، و آثاره في عقله ، و روحه ، و قلبه و بدنه ، ثم ينوح على ذلك كله واحد بعد واحد ، ويقول : فيا ويل عقلي ان حجب ربي ، وسيتدي كيف يكون حاله ، اذا اختلس عن مقام النور ، وشرف الحضور ، وعن درجة التمكن ، مطاع ثم أمين ، و صار عابداً للهوى ، و مطيعاً لخنزير الشهوة ، و خادماً لكلب الغضب ، و حجب عن مجاورة الاطيين ، و قرب رب العالمين ، فمسخ عن حقيقته ، فصار شيطاناً مقتناً ، و ابليساً مدلساً ، ثم يذكر ما يصل إلى روحه من النكال من ردة الملك المتعال ، و يقول : فيا ويل روحي ، ان منع عن جوار الله ، و التعلق بعز القدس ، و طرد عن مجلس الانس ، و حجب عن العليين ، و صار في مهوى دركات السجّين ، و قرن مع الشياطين ، ثم يذكر قلبه ، و يقول : يا ويل قلب من به مثل ما بيا ، اذا منع عن ذكر الرحمن ، و محبة الحنان المنان ، و مال إلى الشيطان و عشق هذه الدنيا الدنية و استهتر في حبها ، و وقع في حبها ، و اخلد إلى الارض ، فمثله كمثل للكلب ، ان تحمل عليه ، يلهث ، و اسود من ظلم المعاصي ، و اعتاض من ذكر الله بالتناسي ، و من العلوم بالوسواس ، فطبع عليه ، و لم يبق له طريق إلى الخلاص ، ثم ينوح على اجزاء بدنه واحداً بعد واحد ، و يخاطب رأسه ، و يقول : يا رأسي كيف بك من غضب الرحمن ، ان هذا بك في الدنيا ، و مسخك برأس القردة و الخنازير ، و اسود وجهك ، و فضحك بين العالمين ، او امي بصرك ، او اسم سمعك ، او اخرس لسانك ، او شوه خلقك ، اما رأيت و سمعت ، رؤساً كثيرة من العصاة ، غضب عليهم الرحمن ، و عذب بهم بذلك ، او بغيرها من المخاوي ، او أرسل إليهم نارا فاحرقها في الدنيا ، و ساقها بعده الى نار الآخرة ، او اختر اخذك بنا بعد الموت ، و ما بعد الموت اخزي و ادحى ، فياذا العقل و التعريف ، و الرأي و التصريف ، اما تذكر احوال القبر

و البلى ، و الدود و البلوي ؛ اذ اغتيت في الثرى ، سياً كل التراب لحملك ،
و يدخل الدود في انفك ، و يجرى حدقتك على خدك ، و تبدل من المنظر
النظيف ، و الجمال اللطيف ، إلى الحطب الكثيف ، فيزيل وجهك في الثرى ،
و يغتر في الغبراء ، فيرهقه قتر و ذلة ، و يؤس و مذلة ، و كبر و مثلة ، فانظر في
سرات عقلك جمال سورتك ، و تأمل في قبح منظرك ، و شوهتك ، و خذ من هذه
السوانح موعظتك ، ثم اعطف عنان فكرك الى عذاب الآخرة ، و الجحيم
و تدبر في الحميم ، الذي يصب على رأسك ، يصهر به ما في بطونهم و الجلود ،
و لهم مقامع من حديد ، ولقى في نار حراً شديداً ، و قعرها بعيد ، و حليتها
حديد ، و شرايها الحميم و الصديد .

و بالجملة ينوح على أجزائه واحداً بعد واحد ، و يذكر ما يفعل بها ،
ان كان من أهل العذاب ، و ان شاء أن يجعل نوحه كل ليلة بواحد منها ،
و ان شاء ، يقرء في بعض الليالي .

ما رواه الزهري من نوح السجادة على نفسه ، بالنثر و الشعر ،
و يجعل ليلة من لياليه أيضاً ينوح فيها على حياته ، فيذكر اولاً من جميل
صنع الله عليه ، و طول اناته ، و حسن طلبه ، و لطفه في دعوته إلى خلوته ،
و قربه و مجلس انسه ، ثم يذكر معاملته مع هذا الربّ الجليل ، و يتأمل
فيما يجب عليه في قبال هذه الكرامات العظيمة ، يندب ، و ينوح على مروئته
و حياته ، و وفائه ، و يقول : فواسواتاه و واخجلاه من افتضاحي ، و قلّة حياتي ،
هذا ربّي ، و سيّدي ، و منعمي ، ملك الملوك ، جبار الجبابرة ، أكرم
الأكرمين ، هو يدعوني إلى ذكره ، و مجالسته ، و الانس معه ، و هو ملك
الملوك ، اغنى الاغنياء اله الارض و السماء ، و أنا استثقل عن قبول هذه
الكرامات العظيمة ، و أنا أذلّ الأذلاء ، فقير من كل الجهات ، بل فقر محض ،

ولا شيء مفلس مرهون نعمه ، موجود بعنايته ، حتى بحيوته ، مرزوق بنعمه ، مقصر جان في خدمته ، كيف لولا حلمه عني ؟ وقد امهلني ، وشملي بستره ، وأكرمني بمعرفته ، وهداني السبيل إلى طاعته ، وسهل لي المسلك إلى كرامته ، واحضر في سبيل قربيته ، وحبب إليّ بنعمه ، وارسل لدعوتي إلى مجلس كرامته ، والاستيناس بمناجاته ، اكرم خلقه عنده واحبّ عباده إليه ، ولم يفتح في اكرامي بنعمة دون اخرى ، وكرامة فوق كرامة ، حتى اعزّني بارسال ملك في كل ليلة إلى دعوتي ، فكان جزائه مني ، ان كافأته عن الاحسان بالاسائة ، وقبح المعاملة ، حريصاً على ما اسخطه سريعاً إلى ما أبعد عن رضاه ، مستبطلاً لمزيد ، مستحظاً لميسور رزقه ، مستفضياً بجوائزه بعمل الفجّار ، كالراصد رحمة بعمل الاراز ، اتمنى عليه العظائم كالمذلّ الآمن من قصاص الجرائم ، فاتنا لله وانا إليه راجعون ، مصيبة عظم رزقها وجلّ عقابها ، فما اقبطني والأمين ، و افضحتني ، و اشنمني ، وما أقلّ حيائي ، وأعدم وفائي ، حين جاهرته بالكبائر ، مستخفياً عن اصاغر خلقه ، فلاراقبته ، و هو معي ، ولاراعيت حرمة ستره عليّ ، آه واسوء صباحاه ، باي وجه الفاء ، ام باي لسان اناجيه ؟ وقد نقضت العهد ، والايمان بعدتو كيدها ودعوته حين دعوته ، وانا مقتحم بالخطايا ، فاجابني و هو غنيّ عني ، وسكت عنه ، فابتدأني ، ودعاني ، ولم اجب ، و اقبل اليّ ، و اعرضت عنه ، فواسواتاه ، وقبح صديعاه ، آية جرئة تجرّت ، و اى تمزير عززت بنفسى ؟ فيالله من هذه العظائم الفظيمة ، والاحوال الشنيعة الفضيحة ، فوعزّتك وجلالك يا سيدي ومولاي ، وبيا ملجئى ومنجائى ، لو كان لى جلد على عذابك ، وقوة على انتقامك ، ما سالتك العفو عنيّ ، بل دعوتك إلى عذابي ، وعقابي سخطاً على نفسي ، ولؤمها ، كيف عصيتك بعد هذه الكرامات الجلييلة ، واقبلت

إليها ، واعرضت مدبرة عنك ، بعد هذه اللطاف الجميلة ، و يا سبحان هذا الربّ الوودود ، و يا سبحان هذا الحلم العظيم ، و يا سبحان هذا اللطف اللطيف ! فقد فتح لامثالي من العصاة اللثام ، و الطغاة الملائيم ، باب التوبة ، ولم يمنع عن الاوية ، و وعدلائثاب القبول ، و عفى عن السيئات ، و بدلها باضعافها من الحسنات ، و بالجملة يكون جده في اظهار حقيقة جنائياته ، و ما يعرفه من كرامات ربه ، ليكثر حسراته ، و جده و بكائه ، فيؤثر في نزول الرحمة ، و شمول الكرامة .

ثم انه من اهم المهمات ، ان يتوسل في آخر كل ليلة بغفراء الليلة ، و حاة الامة من المعصومين ، و يسلم عليهم و يستلهم أن يشفعوا له عند ربه بالقبول ، و تبدل السيئات بالحسنات ، و يجعلوه من شيعتهم و حزبهم و دعائهم ، و يرغبوا إلى الله في ان يرضى عنه ، و يقبله و يلحقه بهم ، و يجعله من شيعتهم المقرين ، و أوليائهم السابقين .

هذا ، و من مهمات امر الصلوة الجماعة ، و ورد فيها ، و في الترفيب عليها ، و الزجر عن تركها ، امر عظيم في اخبار المعصومين ، و هكذا في فضلها ، و عقوبة تركها ، فمن اراد تفصيلها ، فليراجع كتب الاخبار ، و أنا اشير إلى بعض ما ورد فيها ، بعد الاشارة إلى سرّ تشريعها .

فأقول الحكمة العظمى في تشريعها اتحاد قلوب المؤمنين في أمر الله و لذلك فوائد لا تحصى من قوة امر الاسلام و غيرها ، وله تأثير في تمكيد النفوس ، و قوتها في السير إلى الله ، و استعجاب الفيض الاقدس ، فان رحمة الله إذا نزلت لواحد من المجتمعين ، لا سيما إذا كان اجتماعهم و اتحادهم لله . و في الله ، يعمّ جميعهم ، و إن لم يكن غيره مستحقاً له ، و مثل اجتماع الطلوب ، احتمال المياه القليلة المتعددة ، إذا صارت بالاتصال كراً ، لا يقبل

النشجاسة ، ولا ينجسه شيء ، وله سرٌّ شريف ، ووجه لطيف في علم المعرفة ،
وأيضاً صلوة الجماعة كالصلوة الواحدة ، فإذا فرض كون بعض المسلمين واجداً
لبعض شرائط الفضيلة ، والكمال ، والآخر واجداً للبعض الآخر ، فالكريم
يعطي الفاقد أيضاً فضيلة صاحبه الواحد ، والعمدة في حكمة فضيلتها .

الامرآن الاولان ، وإذا يجب على العبد بحكم المراقبة ، ان يجد في
تقوية امر اتحاد القلوب ، مع اخوانه المؤمنين ، وصفاتها فكلكما زاد الاتحاد
والصفا ، زاد تأثر كل واحد منهم من نور صحبه ، وزادت الرِّوحانية ،
فانظر في مبالغة الشرع في هذا الامر ، وما ورد في مدح المواسين والمؤمنين
على أنفسهم ، ولو كان بهم خصاصة ، في القرآن والامر بصلة القاطع ،
وصل الهاجر ، وان يقول المحق " لغير المحق " أنت المحق " ، وأنا غير المحق " ،
وجعل الكذب في الاصلاح بين الاخوين مستحباً ، وندب المؤمنين في امر
الصفا ، بأن لا يخفي أحدهم اموره من أخيه الثقة لان في ذلك نوع اختلاف
بين القلوب ، ويضاد كمال الصفا ، وانظر إلى ما ورد في فضيلة التعاطف في
الله من الامر العظيم ، الذي يتحير العقول ، ويمجني ان اشير إلى عدة مما
ورد فيها :

منها ما رواه في الكافي عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : ان المؤمنين إذا
التقيا ، فتصافحا ، ادخل الله عز وجل يده بين أيديهما ، واقبل بوجهه على
أشدّهما حباً لصاحبه .

أقول : تأمل في هذه الرواية ، فان فيها لبلاغاً لان المتصافحين ، قد
يكون أحدهما من أهل الفضائل العظيمة ، والآخر من أهل المنصية ، وإذا
فرض ان هذا العاصي ، أحب المتقي أكثر من حبه للعاصي ، واقبل الله عليه
بوجهه ، دون المتقي كأنه يكف ذلك عن كون المحبة في الله ، اشدّ تأثيراً

عند الله من جميع الفضائل ، بل يكشف عن كون غيرها بالنسبة إليها كعدم ،
ولعمري ان هذا امر عظيم ، لا يقدر قدرها القادرون .

وروي فيه أيضاً في حديث ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : اما بلغك
الحديث ، ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : ان الله خلقاً عن يمين العرش ، بين
يدي الله ، وعن يمين الله ، وجوهم ابيض من الثلج ، واضوء من الشمس
الضاحية ، يسئل المسائل ما هؤلاء ؟ فيقال : هؤلاء الذين تتحاربون في جلال الله .
وروي فيه أيضاً عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله ، المتحابون
في الله ، يوم القيمة على ارض زبرجدة خضراء ، في ظل عرشه عن يمينه ، و كلنا
يديه يمين . وجوهم اشدّ بياضاً ، واضوء من الشمس الطالعة ، يغبطهم
بمنزلتهم كل ملك مقرب ، وكل نبي مرسل ، ويقول الناس : من هؤلاء ؟
فيقال : هؤلاء المتحابون في الله .

وروي في المستدرک عن مجموعة الشهيد (قدم) ، نقلاً من كتاب الانوار
لأبي علي ، محمد بن همام ، باسناده إلى معروف بن معروف ، صاحب أبي
طفيل الذي كان صاحب النبي صلى الله عليه وآله ، وأمير المؤمنين ، عن أبي جعفر عليه السلام
عن أبيه ، عن أبيه ، عن أبيه ، قال قال النبي صلى الله عليه وآله : من زار اخاه في الله ،
باهي الله به ملائكته ، حتى إذا لقيه ناداه ملك من السماء ، طبت وطاب
ممشاك ، حتى إذا حدثه قال الله للملكين : له عمل سبعين نبياً كلهم مجتهد
في طاعتي ، قد اهرق دمه في سبيلي ، حتى إذا ضاحكه قال الله للملاءكة :
أشهدكم عبادي ، اني اضحكه يوم تبيض وجوه ، و تسود وجوه ، حتى إذا
آكله قال الله عز وجل بخز ان جنسته ، وسكانهم كرائم ملائكته : أشهدكم
عبادي ، وخزنتي من خلقي ، وملائكتي ، اني أكرمه بالنظر إلى نوري ،
و جلالتي وكبريائي يوم القيامة ، و أشهدكم اني ممن ازكبه ، و اطهره

و اثيبه ، وارضيه ، واشفعه .

تدبر في هذه الرواية ، وهذا الجزاء جدًّا ، وإذا قد تمهّد لك ذلك ، فراقب أن يكون قلبك في صلوة الجماعة صافيًّا مع امامك ، و المأمومين ، لاسيما مع امامك الذي ورد فيه : أنه شفيحك ، فانظر من تشفعه ، ولذا قال الشهيد في شرح النفلية في معنى العالم الذي في رواية من صلّى مع امام عالم : إن المراد من العالم من كان عالماً بالله ، وبكتابه وسنة نبيه ، وما يتوقّف عليه من المقدّمات ، وعالمًا بكيفية تطهير القلب ، وتركبة النفس ، مع استعمالها ، وقال في آخر كلامه ، وإنما العلم الموجب للقرب والجنّة ، هو الاخير ، وذلك لأنّ الامام الذي طهر قلبه ، وزكّى نفسه يحبه لا محالة من يعرفه ، وهو أيضاً يحبّ المؤمنين بحبّ الله ، أشدّ من حبّهم له ، فيكون قلبه صافيًّا مع المؤمنين الذين ياتمون به وهكذا يكون قلوب المومنين معه في كمال الصفايل ويكون أصحابه أيضاً غالباً من أهل الصفا ، فيكون اجتماعهم في صلواتهم على مراد الله ، وأمّا من كان اجتماعه في صلواته بمجرد الصورة ، وكات القلوب مخالفة ، بل يكون بينها عداوة ، يريد كل واحد شرّ اخيه ، ويحاسنه في نعم الله ، لاسيما إذا كان ذلك بين المأموم والامام ، لا اظنّ أن يكون في هذه الجماعة نور ، ولهذا الاجتماع فضل عند الله ، فالعمدة في العبادات كونها مثاراً لصفات القلوب ، وتأثيراتها ، وتنويرها ، والعبادة إذا لم تؤثر في القلب ، لا يثمر إلا شيئاً قليلاً ملحقات بالعدم .

روى في الاحتجاج في جملة ما كتبه امامنا عليه السلام احنا فداه ، إلى الشيخ الجليل الشيخ المفيد ، ولو انّ عليه السلام وفقهم الله لطاعته ، على اجتماع من القلوب في الوفاء بالعهد عليهم ، لما تأخّر عنهم اليمن بلقائنا .
وقال عيسى : يا عبيد الدنيا ، تحلقون رؤسكم وتفسّرون قميصكم ،

و تنكسون رؤسكم ؟ ولا تنزعون الغلّ من قلوبكم .
و روى أيضاً ، أن من بعض ما وعظ الله تعالى عيسى ، و ان قلموا
اظفاركم عن كسب الحرام ، و اصمّوا اسماعكم من ذكر الخناء و اقبلوا
بقلوبكم فانني لست أريد صوركم .

و بالجملة الاهم اجتماع القلوب ، فمن وفق لصلوة الجماعة مع قوم
يكون قلوبهم مجتمعة في الله ، فليرج من كرم الله كل ما ورد في فضل الجماعة ،
و من كان اجتماعه مع قوم بينهم تباغض و تحاسد ، و رجوان يجزيه الله هذه
المثوبات التي وردت في الاخبار لصلوة الجماعة ، فهو مغرور و ليس رجائه
رجاء ، بل أمنية و غرور ، هذا .

و قد ورد في تفضيل امام الجماعة على المأموم ، ما يكشف عن حقيقة
ما ذكرناه من لزوم صفاء القلب مع الامام ، و هو ما رواه في المستدرک عن
كتاب تحف العقول ، في حديث طويل قال : و أمّا حق امامك في صلواتك ،
ان تعلم انه قد تقلّد السّفارة فيما بينك و بين الله ، و الوفاة إلى ربك ،
و تتكلم عنك ، و لم تتكلم عنه ، و دعا لك ، و لم تدع له ، و طلب فيك ، و لم
تطلب فيه ، و كفّاك هم المقام بين يدي الله ، و المسائلة فيك ، و لم تكفه ذلك ،
فان كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك ، و إن كان ائماً لم تمكن شريكه
فيه ، و لم يكن عليه فضل ، فوقي نفسك بنفسه ، و صلواتك بصلوته ، فتشكر
له ، على ذلك ، و لا حول و لا قوة إلا بالله .

أقول : لا يخفى على العاقل ، ان من وضع امام صلوته بهذا
الموضع ، و عامله معاملة السّفير الوافد المتكلم عنه ،
مع الله بذله كل الدنيا و روحه و يرى ذلك قليلاً في جنب
الله جلّ جلاله فضلا عن الصّفاء و الوفاء ...

بمعون الله وحسن توفيقه

الحمد لله رب العالمين خاتمه یافت طبع این کتاب جامع شریف که از آثار نفیسه علم الاعلام نابغة الزمان تارك مهلكات نفسانيه و واجد مرشات شرعيه قدسيه الهيه حجة الاسلام وعمدة المحققين وزبدة العلماء العالمين بحر التقى علم الهدا مرحوم حاج ميرزا جواد آقاى ملكى تبريزى طيب الله تربته و قدس الله روحه بر حسب قيام بعضى از صلحاء و اخيار اهل علم و معارف براى مرتبة ثالثه اين كتاب مستطاب بزينت طبع متحلى كريدو از اعلام و بزرگان كه طبع سابق را ملاحظه نموده اند و آگاه بر زحمات آنها كشته اند استدعا دارد كه هنگام مطالعه طلب مغفرت جهت متصديان مذكور خصوصاً وجود محترم آقا شيخ محمد صادق نصيرى كه فعلاً اوقات شريفشان در دار العلم قم مصروف درس و تدريس مي باشد بفرمايند الحق ايشان قرينة الى الله براى اين كتاب و تصحيح آن كمال كوشش را نموده اند .

والسلام على من اتبع الهدى و ترك الهوى و الصلوة والسلام على

خاتم الانبياء و ائمة الهدا غرة ماه رجب ۱۳۹۱

حياة المؤلف قدس سره

«اعلام الشيعة» ص ٣٢٩ ج ١ ط النجف) هو الشيخ الميرزا جواد آقا ابن الميرزا شفيح الملوكي التبريزي نزيل قم عالم فقيه وأخلاقى فاضل ورع ثقة كان في النجف الأشرف اشتغل فيها على اعلام الدين فقد اخذ مراتب السلوك عن الاخلاقى الشهير «المولى حسينقلبي الهمداني» واكمل نفسه عليه وتعلم في الفقه والاصول على العلامة الشيخ آقا رضا الهمداني وغيره من العلماء وغاذا الى ايران سنة ١٣٢٠ فاستوطن دارالايمان «قم» وقام بوظائف الشرع وكان مروّجاً للدين مرّياً للمؤمنين الى ان توفى يوم عيد الاضحى سنة «١٣٤٣» ورثاء تلميذه الشيخ اسماعيل بن الحسين المتخلص «بتائب» بقصيدة ارفع في آخرها عام وفاته و سماها بـ «لقصيدة الجوادية» وله تصانيف منها كتاب اسرار الصلوة طبع «١٣٣٩» على الحجر وطبع ثانياً بالحروف «١٣٨١» وهو ندا امام القاري وله ايضاً كتاب السير الى الله المطبوع قريباً من هذه السنة في عاصمة «طهران» وكتاب «اعمال السنة» لم يطبع بعد ونرجو المولى سبحانه ان يوفقنا لطبعه ونشره و اما استاده قدس سره فهو الشيخ المولى حسينقلبي بن رمضان الشوندي الدرجزيني الهمداني النجفي من اعظم العلماء واكابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الاخلاق في عصره تتلمذ على الشيخ المرتضي الانصاري في الفقه والاصول وعلى حاج المولى هادي السبزواري في العلوم العقلية وعلى رجل التقوى والمعرفة السيد علي التستري قدس سره في التهذيب و الاخلاق وفاق فيه اعلام الفن وشملت العناية الربانية فخرج به الى اعلى مقامات الانسانية وكان رضوان الله عليه من جزاري الصحابي الجليل جابر بن عبدالله الانصاري رحمه الله ومن اراد تفصيل ترجمته فليراجع «اعلام الشيعة الجزء الثاني من المجلد الاول» ص ٦٧٤ طبع النجف الاشرف .

